ذيل زهر الآداب

أو

جمع الجواهر في الملح والنوادر

لأبي إسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤٥٣

مصدر بكلمة

من قلم صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى
بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
شارع الخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥٢٥٢٢

انظر

فى آخره المستدرك

بقلم الأديب الفاضل البحاثة الأستاذ محمود محمد شاكر

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاتحة كل كتاب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه الأنجاب . وبعد : فقد وقعت لى نسخة كتاب « جمع الجواهر فى الملح والنوادر » فيما اشتريته من كتب المرحوم الشيخ محمد حفنى المهدى . فآثرت الاحتفاظ بها للنشر ، وكانت تأتى علىّ أيام فلا تبقى بيدى كتابا فخفت ذلك فأهديت منها نسخة « فوتغرافية » لدار الكتب المصرية ثم بدا لى أن أبيعها هذا الأصل خوفا من بيعه فيما أبيعه إلى مكتبات أوروبا . وكانت هذه النسخة بخط الأديب ابراهيم أفندى الاحدب الطرابلسى وقد طالعها الشيخ محمد حفنى المهدى وعلّق على هامشها و بين سطورها بتقييدات استحساناً لنوادرها وتفسيراً لبعض كلماتها أذكر منها الشيء القليل فيما علقته بذيل صفحات هذا المطبوع .

***

ولما كانت لى صلة قديمة قبل نقل مكتبتى من شارع الحلوجى — جوار جامع الأزهر المبارك — بفضيلة الأستاذ الكبير شيخ الأدب الشيخ عبد العزيز البشرى متعه الله بالصحة ، ولحسن الحظ تقابلت مع فضيلته فى دار الكتب المصرية و بيدى الملزمة الأولى منه فاستحسن عنايتى بطبعه فسألته حينئذ أن يتحف القراء بكلمة يبيّن بها جليل قدر الكتاب ، و يشوق أهل الأدب لمطالعته . وما عتم أن تم لى والحمد لله طبعه حتى وافانى خطابه بالبريد المستعجل وفى طيه كلمته التى حليت بها صدر الكتاب

***

ولقد عنيت بتصحيح هذا الكتاب بنفسى ثقة بالعلامة ابراهيم أفندى الأحدب الذى نسخه بخطه . و يظهر لى أنه نسخه عجلا ولم تتيسر له مقابلته ثانية حيث لم أجد ولا حرفا عليه إشارة التصحيح إلاّ بضع كلمات وضع قبالتها علامة

التوقف وعادتى أن أحافظ على الأصل كلمة كلمة فى سائر مطبوعاتى وأقيد ما استطيع تصحيحه مما أظنه خطأ فى ذيل الصفحات متتبعا المصادر التى ينقل عنها المؤلف .

***

وكان صديقى الأديب الفاضل البحاثة الاستاذ محمود محمد شاكر يودّ أن يعنى بما أنشره من الكتب الممتعة . فسألته قراءة الكتاب بعد طبعه فتفضل بذلك وأرسل الى المستدرك الذى يهم كل أديب استدراكه فجعلته تتمة للاصل

وصف الأصل

يقع الكتاب فى مجلد حجم الثمن فى ١٦٤ ورقة أى ٣٢٨ صفحة ، ومسطرة الصفحة ١٩ سطرا بخط مقارب لقلم الرقعة . جاء فى طرته بقلم الناسخ : كتاب جمع الجواهر فى الملح والنوادر — تأليف الشيخ الأديب البليغ المنشى أبى اسحاق ابراهيم ابن على المعروف بالحصرى . وجاء فى آخر صفحة منه عقب التمام : بقلم الفقير ابراهيم ابن الحاج على الأحدب الطرابلسى الحنفى فى سابع عشر جمادى الثانى سنة ١٢٧٤ ثم يلى ذلك بخط محمد حفنى المهدى

الحمد لله ، أتممت مطالعة هذا الكتاب « عقود الجواهر فى الملح والنوادر » للعلامة ابراهيم بن على الحصرى صاحب زهر الآداب ، وهو قروى (1) أى من القيروان كابن رشيق . وهو من أهل القرن الرابع فيما أظن . وكان اتمامى مطالعته بعد عصر يوم الجمعة ٢٩ محرم سنة ١٣٢٢ هجرية بمدينة حلوان من أعمال مديرية الجيزة بمنزل صديقنا محرم باشا شاهين ، وهذه النسخة هى بخط ناسخها الأديب الشهير والشاعر الخطير الشيخ ابراهيم الأحدب وهو من أهل زماننا أدركنا حياته رحمه الله وآباءنا علما ونسبا ؟

***

الى هنا اكتفى بهذه الكلمة واتبعها بترجمة المؤلف آملا أن أكون وفقت كما أردت فى خدمة الأدب واللغة العربية وعلى الله قصد السبيل ؟

---

(1) هكذا بخطه فى الأصل

ترجمة المؤلف

ابو اسحاق الحصرى احد الشعراء المبرزين فيه ، ومن علية الكتّاب والمجودين في التأليف ، ولتآليفه — وكلها فى الأدب — ميزة لها مكانتها

عنى بذكر أخباره واحواله معاصروه . فترجم له ابن رشيق فى كتابه الأنموذج ، وابن بسام فى الذخيرة ، والقاضى الرشيد بن الزبير فى الجنان ، ولم تقع لى هذه الكتب الثلاثة . ثم ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء ، والقاضى ابن خلكان فى وفيات الاعيان ؛ وهما لا يذكران إلا من له قدم فى العلم والأدب . وتبعهما الصلاح الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات[1]

ثم ترجم له من المتأخرين ابو عبد الله محمد بن محمد الاندلسى الشهير بالوزير فى كتابه الحلل السندسية وجميع ما أتى به عن وفيات الاعيان ، ثم الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب فى كتابه بساط العقيق ، والاستاذ خير الدين افندى الزركلى فى كتابه الاعلام ، وذكره المقرى عرضا فى مواضع من كتابه نفح الطيب ونقل لنا طرائف من أخباره ، وعبد القادر البغدادى صاحب خزانة الأدب بهامش نسخته معجم الادباء لياقوت

أوليته ووفاته

قال ابن خلكان : ابو اسحاق ابراهيم بن على بن تميم المعروف بالحصرى[2] القيروانى . وزاد ياقوت : الانصارى . وقال قال ابن رشيق : مات بالمنصورة من

---

(١) لم أقف على ترجمته فى الوافى لأن نسخته التى وقفت عليها فيها خروم كثيرة

(٢) الحصرى بضم الحاء المهملة وسكون الصاد وفى آخرها الراء هذه النسبة الى الحصر وهو جمع حصير (وقد) نسب جماعة الى عمل الحصر حكاه السمعانى فى كتاب الانساب وذكر جماعة كثيرون بهذه النسبة ، وكذا حكاه ابن خلكان وقال : نسبة الى عمل الحصر أو بيعها وتبعهما صاحب القاموس

ارض القيروان سنة ٤١٣ وقد جاوز الأشد ، وكذا حكى ابن خلكان عنه أنه توفى بالقيروان سنة ٤١٣ ثم قال وقال ابن بسام فى الذخيرة : بلغنى انه توفى سنة ٤٥٣ ثم قال وذكر القاضى الرشيد بن الزبير فى كتاب الجنان من الجزء الأول فى ترجمة ابى الحسن على بن عبد العزيز المعروف بالفكيك : أن الحصرى المذكور الف كتابه زهر الآداب فى سنة خمسين واربعمائة وقال وهذا يدل على صحة ماقاله ابن بسام . ونقل مثله المستشرق الأستاذ مرجليوث فى تعليقاته بذيل صفحات معجم الأدباء عن الصفدى عن القاضى الرشيد ولم يحك احد من المتأخرين خلافا فى ذلك ، كما انه لم ينقل لنا احد عن اوليته غير أن الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب قال فى بساط العقيق — اثناء وصفه بلاط المعز وحاشيته — : وقد احتوى هذا البلاط على اكثر من مائة شاعر بليغ نخص بالذكر من بينهم :

أولا ابا الحسن على بن ابى الرجال الشيبانى مربى المعز وكاتب سره وكان بمنصبة الوزير أو أقرب ، ثم الحسن بن رشيق ، ثم محمد بن ابى سعيد بن شرف القيروانى المتوفى سنة ٤٦٠ ، وأبا اسحاق ابراهيم الحصرى وتوفى سنة ٤٥٣ (وكان) اكبرهم سنا . قات : كانت ولادة ابن رشيق سنة ٣٩٠ وعلى هذا التقدير فان الحصرى ولد مابين سنة ٣٧٠ الى سنة ٣٨٠

مكانته فى الأدب وشعره

قال ياقوت نقلا عن ابن رشيق : وكان شاعرا نقادا ، عالما بتنزيل الكلام ، وتفصيل النظام ، يحب المجانسة والمطابقة ، ويرغب فى الاستعارة ، تشبها بابى تمام فى اشعاره وتتبعا لآثاره . وعنده من الطبع مالو أرسله على سبحيته لجرى جرى الماء ، ورق رقة الهواء ، كقوله فى بعض مقطعاته :

ياهل بكيت كما بكت   ورق الحمائم فى الغصون
هتفت سحيْرا والربى   للقطر رافعة الجفون

وكأنها صاغت على شجوى شجى تلك اللحون
ذكرتنى عهداً مضى للأنس منقطع القرين
فتصرمت أيامها وكأنها رجع الجفون

وله فى الغزل :

كتمت هواك حتى عيل صبرى وأدنتنى مكاتمتى لرمسى
ولم أقدر على اخفاء حالٍ يحول بها الأسى دون التأسى
وحبّك مالك لحظى ولفظي واظهارى واضمارى وحسى
فان أنطق ففيك جميع نطقى وإن أسكت ففيك حديث نفسى

وقوله أيضاً :

إنى أحبّك حبًّا ليس يبلغه همى ولا ينتهى فهمى إلى صفته
أقصى نهاية علمى فيه معرفتى بالعجز منى عن ادراك معرفته

ونقل ابن خلكان عن الأنموذج : كان شبان القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، ورؤس عندهم ، وشرف لديهم ، وسارت تأليفاته ، وانثالت عليه الصلات من الجهات . وأورد له نقلا عن أبى الحسن على بن بسام — صاحب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة — بيتين فى ضمن حكاية وهما :

أورد قلبى الردى لام عذار بدا
أسود كالكفر فى أبيض مثل الهدى

ونسب إليه ابن دحية قوله وحكاهما المقرى فى نفح الطيب :

ضاقت بلنسية بى وذاد عنى غموضى
رقص البراغيث فيها على غناء البعوض

وذكر المقرى : أن من عادات أهل الأندلس لبس البياض فى حالة الحزن .
وقال ولهذا قال الحصرى :

إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى لأنى قد حزنت على شبابى

وأنشد له أيضا قوله :

لو كنت زائرتى لراعك منظرى ورأيت بى ما يصنع التفريق
ولحال من دمعى وحرّ تنفسى بيني وبينك لجة وحريق

مؤلفاته

قال ياقوت : وله تآليف جيدة فى ملح الشعر والخبر . قال ابن رشيق : وقد كان أخذ فى عمل طبقات الشعراء على رتب الاسنان وكنت أصغر القوم سنا فصنعت :

رفقا أبا اسحاق بالعالم حصلت فى أضيق من خاتم
لو كان فضل السبق مندوحة فضّل إبليس على آدم

فبلغه البيتان فأمسك عنه واعتذر منه ، ومات وقد سد عليه باب الفكرة فيه ولم يصنع شيئا . ثم قال ياقوت : والذى أعرف انا من تصانيفه كتاب زهرة الآداب (1) وكتاب النورين اختصره منها وهما يتضمنان أخباراً وأشعاراً حسانا . قال الصفدى : ان اسمه نوْر الظرف ونور الطرف . وكتاب المصون والدر المكنون . وقال ابن خلكان : وله ديوان شعر وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب جمع فيه كل غريبة فى ٣ أجزاء وكتاب المصون فى سر الهوى المكنون فى مجلد واحد فيه ملح وآداب . وقال عبد القادر البغدادى : وله عندى كتاب الجواهر فى الملح والنوادر . وقال المقرى — وحكى قصة إبعاد ابن عباد عن ملكه — : لقيه الحصرى الشاعر فى طنجة وكان قد ألّف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه إلا وهو

(1) كذا قال ياقوت وأكده بقوله : اختصره منها أى من الزهرة . وكأن الحصرى اخذ هذه التسمية من كتاب الزهرة لأبى بكر محمد بن داود الظاهرى

على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصرى : ارفع ذلك البساط فخذ ماتجده فوالله ماأملك غيره فوجد تحته جملة مال فأخذه

مذهبه فى التأليف

نسج الحُصْرى كتابه هذا كما نسج كتابه زهر الآداب على طريقة الجاحظ فى البيان والتبيين وابى على القالى فى كتاب النوادر ويظهر لى انها طريقة للمتقدمين فقد حكى لنا المقرى فى نفح الطيب عند ذكر كتاب سراج الأدب لأبى عبد الله ابن ابى الخصال الشقورى رئيس كتّاب الاندلس قال : صنعه على منزع كتاب النوادر لابى على وزهر الآداب للحُصْرى

فالذى وقع لنا من مجموعة تآليفه الآن :

(١) كتاب زهرة الآداب كما حكاه ياقوت أو زهر الآداب وثمر الألباب كما سماه ابن خلكان ومَنْ بعده : وطبع هذا الكتاب بمصر أكثر من مرة وآخر طبعة له بعناية الدكتور زكى مبارك وتصحيحه بنفقة الحاج مصطفى افندى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى . وفى دار الكتب المصرية مجلد مخطوط منه فى آخره قطعة زائدة عن المطبوع وصلتنى من دمشق من نحو ثمانية أعوام ولعل من يتسنى له اعادة طبعه يستدركها

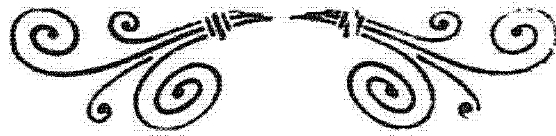
(٢) جمع الجواهر فى الملح والنوادر (وهو منشورنا هذا) وأول من ذكره لنا وانه امتلكه العلامة عبد القادر البغدادى صاحب خزانة الأدب وسماه « الجواهر فى الملح والنوادر » ثم العلامة ابراهيم افندى الأحدب — قبل أن تصل لنا نسخته — فى كتابه كشف المعانى والبيان عن رسائل بديع الزمان المطبوع سنة ١٨٩٠ م بيروت وهو الذى نحله « جمع الجواهر » وتبعه على التسمية الأستاذ خير الدين أفندى الزركلى فى كتابه الاعلام . وأما الحصرى فانه ذكر فى مقدمته : سألت

أطال الله بقاءك ... أن يجمع لك كتابا فى جواهر النوادر ولمح الملح . إلى آخر ماحكاه فى موضوع الكتاب

ولما كان الحصرى رحمه الله جرى فى كتابه زهر الآداب على إغفال المجون غير النزر القليل منه وعرض علينا فى كتابه هذا صوراً مختلفة من أنواعه قدرت أنه ألفه بعد الأول فجعلته ذيلا مع محافظتى على الطرة المخطوطة ، والله الموفق للصواب م

تحريرا فى العاشر من ذى القعدة سنة ١٣٥٣

محمد أمين الخانجى



كلمـــة

صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يتّسق لآلائه ، ويكافئ المزيد من نعمائه . والصلاة والسلام على من طلع على هذه الأمّة ، بأبلغ العظة والحكمة ، وعلى آله وأصحابه ، الذين تخلّقوا بأخلاقه ، وتأدبوا بآدابه .

وبعد : فان مما يحيّر الفكر ، ويبلغ بالنفس إلى منتهى العجب ، هو هذه المصنفات التى صارت إلينا مما دوّنه العلماء ، والحكماء ، وأصحاب الآداب ، وأهل الفنون من مطلع النهضة العربية الأسلامية إلى بضعة قرون خلت !

هذه المصنفات الحفيلة بقضايا العلوم ، ودقائق الفنون ، وروائع الآداب . يشتعبون فيها مذاهب العلماء ، ويثبتون ما رأوا فى كل مسألة وما قرروا ، وما استخرجوا فى كل معضلة وما استظهروا ، ويتتبّعون أصحاب الأدب ، فيُحْصون آثارهم ، ويتقصّون سيرهم وأخبارهم ، ويتحرّون روائع بدائهم فى أحاديثهم ومحاوراتهم ، وفى أسمارهم ومحاضراتهم ، وفى مناقلاتهم ومنادراتهم . وما انتضحت به قرائحهم من شعر بارع ، ومن نثر رائع ، ومن مثل جامع .

ولقد يتدسّسُون فى التقصّى إلى مداخلهم ، فيتلقّطون ما عسى أن يقع من هذا وراء الجدُر ، أو خلف السُّتر ، مما يضن أصحاب المروءات به على الابتذال ، إلاّ لصفوة الصحاب وخاصّة الآل !

ولقد زَخَرت كتب العربية بهذا إلى الحدّ الذى لا أحسب أن أمة قد انتهت فيه منتهى العرب !

ومناط العجب أشد العجب فى هذا أنهم فى كل ماتصرّفوا فيه من التواليف، فى نهضة الآداب والعلوم ، إنما كانوا مقطوعى الوسائل ، مبتوتى الذرائع : مشقة أية مشقة فى الأسفار . وجهد أى جهد فى جوب القفار ، فى تروّى الأخبار ، وتصيّد العزيز من الكتب والأسفار . وهيهات لايتم للمرء هـذا إلاّ بالشراء أو بالنسخ أو بالاستنساخ . ولقد تعلم مايقتضى هذا وهذا من ركوب الأهوال ، و بذل كرائم الأموال ، وطىّ الأيام والليال . ولقد يبذل كل ذلك فى إحراز كتاب واحد ، فما بالك بكتب عدّة ، وما بالك بتقصى آثار ، ونوادر وأخبار . تفرقت فى مختلف الآفاق والأقطار !. على قلة الغناء فى مثوبة المُثيب وجوازى المجيز ، إلاّ أن يكون الجهد أجمعه فى ابتغاء مرضاة الله تعالى فى إثبات شرعه ، أو الخلوص لوجه العلوم والآداب !.

ولو قد عرفت أن الأمام المحدث العظيم محمد بن إسماعيل البخارى ظل على متن السفر قرابة ثلاثة أشهر عانى فيها ما عانى من مشاق الارتحال ، واستهدف لما استهدف له من مهولات الأهوال ، كل أولئك فى رواية حديث واحد لم يصحّ فى النهاية عنده فنفاه ولم يثبته فى صحيحه — لو عرفت هذا لقدّرت مبلغ ما ضحّى به أولئك الرجال العظام للدين . وللعلوم والفنون والآداب جميعا . على أن ما انتهى إلينا من هـذه الثروات العلمية والأدبية التى استودعوها كتبهم ورسائلهم مما لايكاد يحصره الحد ، أو يتناوله العدّ !.

***

ولاشك أن من أعلام أصحاب الأدب الذين ثبتت أسماؤهم على وجه الزمان، وشادت الألسن بذكرهم فى كل مكان ، هو الامام العالم الأديب الشاعر الكاتب. أبو إسحق ابراهيم بن على بن تميم . المعروف بالحُصْرى ، القيروانى المالكى ، المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية . ولا أحسب امرءاً تعلّق بآداب العربية إلاّ ردّد النظر فى كتابه (زهر الآداب) وقلّب الفكر فيه ، وقطف من تلك الروضة المعطار ، كلّ مازكا من ورد وقرنفل و بهار .

والخضْرى ، كما يعرفه كل متأدب فى العربيـة رجـل واسع العلم ، عظيم الإطلاع ، نافذ الذوق ، بديع الاختيـار . يؤثر فى تواليفه إرسال القول ما دعت المناسبـة إليه . فيتبع الملحة الظريفة ؛ بالقصيدة البارعة . ويلحق النادرة الطريفة ؛ بالخطاب القاطع . فيتحول بقارئه من فن إلى فن ، ويستدرجه من حديث إلى حديث ، دون أن يتداخله الملل ، أو يحسّ انطواء الزمن ، بتجدد اللّذة ، وتغير الفكر على مختاف الصُوَر .

وهذا كتابه البارع الجامع : (جمع الجواهر ، فى الملح والنوادر) قد نظم فيه ما شاء الله أن ينتظم فى بابه مما يعزّ أن تقع عليه فى كتاب آخر . فاذا طلبت تفصيلا فى موضوعات الكتاب وأسلوب نظمه ، فاليك ما قال المؤلف نفسه فى صدر مقدمته :

« . . . . فأجبتك إلى ملتمسك بكتاب كمّلت نظامه ، وثقلت أعلامه ، بذهب يروق سبك إبريزه ، ويرقّ حوك تطريزه ، من نوادر المتقدمين والمتأخرين ، وجواهر العقلاء والمجانين ، وغرائب السُّقّاط والفضلاء ، وعجائب الأجواد والبخلاء ، وطُرَف الجهّال والعلماء ، وتحف المغفلين والفهماء ، ونتف الفلاسفة والحكماء ، وبدائع السؤال والقُصّاص ، وروائع العوام والخواصّ ، وفواكه الاشراف والسفلة ، ومنازه الطفيليين والأكلة ، وأخبار المخانيث والخصيان ، وآثار النساء والصبيان .

وأتيت به على سبيل الاختصار ، وطريق الاختيار ، وجعلته بتنويع الكلام ، كالمائدة الجامعة لفنون الطعام ، إذ همم الناس مفترقة ، وأغراضهم غير متفقة ، ولا أعلم حقيقة ما تستندره ، ولا محض ما تؤثره ، إذ لا يحيط بذلك إلاّ علام الغيوب ، المطلع على ما فى القلوب » .

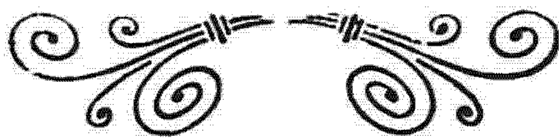
ولا شك أن نشر هـذا الكتاب وتناوله سيكون له أثره البعيد فى الأدب والمتأدبين بما يفسح فى ملكاتهم ، ويطبعهم بطول النظر فى بلاغاته على ناصح

البيان . إلى ما يُحضِر الكاتبين ما يُعوزهم فى كل باب من الاستشهاد بمثل سائر ، وحكمة بالغة ، وقول مأثور ، ونكتة بارعة . وغير ذلك مما يحلو فى التصرّف ، ويزيد فى حسن البيان .

وإذا كان لنا أن نغتبط بظهور هذا الكتاب النفيس وتيسُّره للأيدي فقد حق علينا أن نمحض الشكر للأستاذ الفاضل ، المجد الدائب ، صديقنا محمد أمين افندى الخانجى الذى لم يفتأ منذ ثلاثين سنة يُعنِّى النفس فى استخراج كل رائع من مجفوّات كتب الأقدمين فى العلوم والآداب ، وينشرها بعد علاجها بالضبط والتصحيح ، ويجلوها فى أحسن الصور من جودة الطبع والورق جميعا .

أسأل الله تعالى أن يُجزل له من الثواب ، ويحسن مكافأته على ما خدم العلوم والآداب ؟

عبد العزيز البشرى



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا محمد الرسول العربي المبين

وبعد فهذا كتابٌ يتقدَّمُ وحده إلى قرائه بفكاهته ودُعابته ومُلَحه وشعره الرائق. قد جَمَع فيه الحُصْريُّ من النوادر ما تفرَّق حتى صار كالرَّوضة المونقة فيها راحة النَّفْسِ، ولذَّةُ العين، وطيبُ النَّسْمة. وانفردَ عن أمثالِه من كتب المُلَح والنوادِر بحُسن الاختيار. ونقاءِ العبارة، وبديع الاستطرادِ من شعر إلى نادرة إلى تاريخٍ إلى ترسُّلٍ

هذا وقد كانت النسخة التى طبع عنها هذا الكتابُ سقيمةً فاجتهد السيد الفاضل محمد أمين الخانجى، فى تصحيحهِ جُهدَ الطاقة حتى إذا فرغ من طبعه أرادنى أن استدركَ عليهِ بعْدَ قراءته فاستخرجتُ الصوابُ لكثير ممَّا وقعَ فيه وتركتُ شيئاً تعدَّاهُ النظر. أو شيئاً منعنى من الاجتراء عليه استبهامهُ عليَّ حتى نعود بعون الله إلى طبعهِ مرَّةً أخرى فيخرجَ مبرَّأً من الخطأ. نقيًّا من العيبِ، والله المستعان.

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أضحك وأبكى ، وأمات وأحيا ، فعرفنا بلذة الفرح شدة الترح ، و بحلاوة الحياة مرارة الوفاة . قال الطائى :

أو ما رأيت منازل ابنة مالك رسمت له كيف الزفير رُسومُها
والحادثات وان أصابك بؤسها فهو الذى أدراك كيف نعيمها

***

اساءة دهر أذكرت حسن فعله ولولا الشرى لم يعرف الشهد زائقُهُ

وصلى الله على خير مبعوث ، وأكرم وارث وموروث ، محمد الذى أخرجنا من الضيق إلى الفسحة ، و بعث إلينا بالحنيفية السمحة ، ليضع عن ولد اسماعيل ، أغلال بنى اسرائيل ، بل ليرفع عن كل من دخل فى السلم ، من جملة العرب والعجم ، ما أصلع حمله وأضلع نقله ، صلى الله عليه صلاة تزلف لديه ، وتصعد فى الكلم الطيب اليه ، وعلى آله وصحبه وسلم .

سألت أطال الله بقاءك ، وحرس إخاءك ، من زكا بسقى مودتك زرعه ونما ، وعلا برْعى محبتك فرعه وسَما ، فانقاد اليك[1] قلبه بغير زمام ، وصح فيك حبه بغير سقام ، أن يجمع لك كتابا فى جواهر النوادر ولمح الملح ، وفواكه الفكاهات ومنازهِ المضحكات ، ترتاح اليه الأرواح وتطيب له القلوب ، وتفتق فيه الآذان وتشحذ به الأذهان ، و يطلق النفس من رباطها ، و يعيد اليها عادة نشاطها إذا انقبضت بعد انبساطها • فقد قيل : القلب إذا اكره عمى . وقال بكر بن عبد الله المزنى : لاتكدوا هذه القلوب ولا تهملوها . وخير الكلام ما كان عقيب جمام ، ومن اكره بصره عشى ، وعاودوا الفكرة عند نبوات القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة ،

---

(١) فى الأصل . إليه .

ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق؛ فان من ادمن قرع الباب ولج . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : انى لأستجم نفسى ببعض الباطل ليكون أقوى لها على الحق . وقال الحسن البصرى رحمه الله : حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدبول ، وارعوا هذه الانفس فانها طلعة ؛ وانكم ان لم ترعوها تنزع بكم إلى شر غاية . وقال ازدشير بن بابك : إن للقلوب محبة وللنفوس مللا؛ ففرقوا بين الحكمين يكون ذلك استجاما . وقال فى حكمة آل داود : لاينبغى للعاقل أن يخلى نفسه من أربع ؛ من عدة لمعاد ، و إصلاح لمعاش ، وفكر يقف به على ما يصلحه لما يفسده ، ولذة فى غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث . وقال أبو الفتح كشاجم :

عجبى ممن تعالت حاله ... وكفاه الله زلات الطلب
كيف لايقسم شطرى عمره ... بين حالين نعيم وأدب
ساعة يمتع فيها نفسه ... من غذاء وشراب منتخب
ودنو من دُمىً هنّ له ... حين يشتاق الى اللعب لعب
فاذا ما زال من ذا حظه ... فنشيد وحديث وكتب
ساعةٌ جدٌّ وأخرى لعبٌ ... فاذا ما غسق الليل انتصب
فقضى الدنيا نهاراً حقها ... وقضى لله ليلا ما يجب
تلك أعمال متى يعمل بها ... عامل يسعد ويرشد ويصب

فأجبتك إلى ملتمسك بكتاب كملت نظامه ، وثقلت أعلامه ، بذهب يروق سبك إبريزه ، و يرق حوك تطريزه ، من نوادر المتقدمين والمتأخرين ، وجواهر العقلاء والمجانين ، وغرائب السقاط والفضلاء ، وعجائب الأجواد والبخلاء ، وطرف الجهال والعلماء ، وتحف المغفلين والفهماء ، ونتف الفلاسفة والحكماء ، و بدائع السؤال والقصاص ، وروائع العوام والخواص ، وفواكه الأشراف والسفلة ، ومنازه الطفيليين والأكلة ، وأخبار المخانيث والخصيان ، وآثار النساء والصبيان .

وأتيت به على سبيل الاختصار، وطريق الاختيار، وجعلته بتنويع الكلام، كالمائدة الجامعة لفنون الطعام. إذ همم الناس مفترقة، وأغراضهم غير متفقة. ولا أعلم حقيقة ما تستندره، ولا محض ما تؤثره، إذ لا يحيط بذلك إلا علام الغيوب، المطلع على ما فى القلوب.

وقد تجنبت أن أهدى إليك، وأورد عليك، ما يخرج به قائله فى الدين عن اتباع سبيل المؤمنين. فمن أهل الالحاد والاهواء، من يسر حسوا فى ارتغاء. ويطلب مايشفى به من دائه، ويضحك خاصة أودائه، ويغر به من ضعفت نحيزته ونحفت غريزته، بما يكمنه، بألطف ما يمكنه، كمون الافحوان، فى أصول الريحان، إذا قابله بشمه، قتله بسمه. كما حكى الجاحظ عن الشرقى القطامى[1] أن ابن أبى عتيق لقى عائشة رضى الله عنها على بغلة. فقال: إلى أين يا أماه؟ فقالت له: أصلح بين حيين تقاتلا، فقال عزمت عليك إلا ما رجعت، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل حتى نرجع إلى يوم البغلة. وهذه حكاية أوردها الشرقى[1] لغله ودغله على وجه النادرة لتحفظ ويضحك منها، ويتعلق بها من ضعف عمله، وقل عزمه، فيكون ذلك أنجع وأنفع لما أراد من التعرض لعرض أم المؤمنين رضى الله عنها.

ومثل هذا كثير مما لو ذكرته، لدخلت فيما أنكرته. فقد قيل الراوية أحد الشاتمين، كما قيل السامع أحد القائلين. وقد قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وقد مر به عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد بن أبى بكر فلم يسلما عليه:

مساتراب الأرض منها خلقتما ... ومنها المعاد والرجوع إلى الحشر
ولا تعجبا أن ترجعا فتسلما ... فما حشى الانسان شراً من الكبر

وقال آخر:

إن كنت لا ترهب ذمى لما ... تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى إذ أنا منصت ... فيك لمسموع خنا القائل

(١) - (١) فى الأصل المشرفى.

فسامع السوء شريك له ومطعم المأكول كالآكل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل

وقد رام ابن قتيبة تسهيل السبيل فى مثل هذا . فقال : مهما مر بك من كلام تنفر عنه نفسك ، فلا تعرض عنه بوجهك ، فالقول منسوب إلى قائله ، والفعل عائد إلى فاعله . قلت : وليت شعرى ما اللذة فيما يضحك منه ؛ من هو معرض عنه ، إلا أن يدخل فى حد المستهزئين ، وحيز المتلاعبين . نعوذ بالله من الحور بعد الكور . وأنشد أبو نواس الجماز شعراً من أعابيثه ومجونه كفر فيه وقال للجماز : أين أنت من هذا الطراز ؟ قال : أنا لا أتعرض لمن أعضائى جنده يحرك على منها ساكناً ، أو يسكن متحركا فأهلك .

وقد طرد الجماز أصله فى التحرز مما تعلق عليه من شناعة ، أو تلزمه فيه تباعة ، فقال يمدح :

أقول بيتاً واحداً أكتفى بذكره من دون أبيات
إنّ على بن أبى جعفر أكرم أهل الأرض من آت

فقد سلم مما كاد يقع فيه أبو الخطاب عمرو بن عامر السعدى وقد أنشد موسى الهادى :

ياخير من عقدت كفّاه حجزته وخير من قلدته أمرها مضر

فانقلبت عيناه فى رأسه واحمر وجهه ، وقال : إلا مَن ويحك ؟ ولم يكن أبو الخطاب مستثنى أحداً ، وإنما جرى على مذهب الشعراء فى تفضيل الممدوح على أهل العصر . فلما رأى ما بوجه الهادى من إرادة الايقاع به قال ارتجالا :

إلاّ النبى رسول الله إنّ له فخراً وأنت بذاك الفخر تفتخر

فسرى عنه ووصله .

وقد جعلت ما عملت مدبجاً مدرجاً ، لتلذ النفس بالانتقال من حال إلى

حال ؛ فقد جبلت على محبة التحول ، وطبعت على اختيار التنقل . وقد قيل إن عبد الله بن طاهر لما أسر نصر بن شبيب بن كيسوم ، وأنفذه إلى المأمون ، جلس مجلسا أنصف فيه من وجوه القواد ، ومن أمراء الأجناد ، وضرب الأعناق وقطع الأيدى ، ورد كبار المظالم ، ثم قام وقد دلكت الشمس فتلقاه الخدم ، فأخذ هذا سيفه وهذا قباءه وهذا إزاره . فلما دخل دعا بنعل رقيقة فلبسها ، ثم رفع ثوبه على عاتقه وتوجه نحو البستان وهو يتغنى :

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

قال عيسى بن يزيد : وكنت جريئا عليه فجذبت ثوبه من عاتقه وقلت له : أتقعد بالغداة قعود كسرى أو قيصر أو ذى القرنين ، ثم تعمل الساعة عمل علوية ومخارق ؟ ! فرد ثوبه على عاتقه وهو يقول :

لابد للنفس إن كانت مصرّفة من أن تنقل من حال إلى حال

قال أبو القاسم بن جدار : كأنه ذهب إلى ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قام من بعض مجالسه الجليلة التى كان يدوّن فيها الدواوين ويمصر الأمصار ويقمع الأعداء ويؤيد الاسلام ، فدخل منزله ثم رفع صوته وهو يقول :

وكيف ثوائى بالمدينة بعد ما قضى وطرًا منها جميل بن معمر

فلحقه عبد الرحمن بن عوف فاستأذن عليه ، فقيل عبد الرحمن ياأمير المؤمنين بالباب فلما دخل عليه ، قال : ما صوت سمعته منك آنفاً ياأمير المؤمنين ؟ ! فقال يا أبا محمد إيها عنك فان الناس إذا خلوا قالوا . وقد قلت :

فرقت فى التأليف معتمداً ما كان لو قد شئت يأتلف

والعقد ما اختلفت جواهره إلا ليشرق حين يختلف

إن كان الشىء مع نظيره يذهب بنوره ، ويغض من بهائه ، ويخلق من روائه ، فقد زعموا أن المجرة كواكب مضيئة مجتمعة فكسف بعضها نور بعض ، فصارت

طريقاً فى السماء بيضاء . وقال ابن الرومى :

وبيضاء يخبو درها من بياضها ويذكو بها ياقوتها والزبرجد

إلا أن تندرج الحكاية فى الحكايات ، ويتسلسل البيت مع الأبيات ، فيكون الجمع أزين من القطع ، والتوصيل أحسن من التفصيل ، فأقرنها بأشكالها ، وأجملها مع أمثالها .

ولاختيار المطايبات والمداعبات ، وما انخرط فى سلكها من الملح والمزح . أصول لا يخرج فيها عنها ، وفصول لا يخرج بها منها . وقد يستندر الحار المنضج ، والبارد المثلج ، لأن إفراط البرد ، يعود به إلى الضد . ولذلك قال أبو نواس :

قل للزهيرى إن حدا وشدا أقلل وأكثر فأنت مهذار

سخنت من شدة البرودة حتى صرت عندى كأنك النار

لا يعجب السامعون من صفتى كذلك الثلج بارد حار

وفى كليلة ودمنة : لا ينبغى اللجاج فى إسقاط ذى الهمة والرأى وإزالته ؛ فانه إما شرس الطبيعة كالحية إن وطئت فلم تلسع لم يغتر بها فيعاد لوطئها ، وإما سمج الطبع كالصندل البارد ، وإن أفرط فى حكه عاد حاراً مؤذيا . وقالوا : إنما ملح القرد عند الناس لإفراط قبحه . وقد قال ابن الرومى فى الخصيان :

معشراً أشبهوا القرود ولكن خالفوها فى خفة الأرواح

لأن العبد إن أخصى استرخت معاقد عصبه ، وحدث فى طبعه نشاط فى الخدمة . فيحصل بين حالين متضادين لا يطيق المبالغة فيهما فيضيق صدره ، وتثقل روحه . وقد قال أبو تمام :

أمن عمى نزل الناس الربى فنجوا وأنتم نصب سبل القنة العرم

أم ذاك من همم جاشت وكم صفة حذا إليها غلو القوم فى الهمم

وكان يقال : من التوقى ترك الافراط فى التوقى ، وإنما الموت المحبب والسقم المغيب ، أن تقع النادرة فاترة فتخرج عن رتبة الهزل والجد ، ودرجة الحر والبرد ،

فيكون بها جهد الكرب على القلب كما قال أبو بكر الخوارزمى : أثقل من عذاب الفراق ، كتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطلعة الرقيب ، وقدح اللبلاب فى كف المريض ، ونظرة الذل إلى البغيض . وأشد من خراج بلا غلة ، ودواء بلا علة ، وطلعة الموت فى عين الكافر ، وقد ختم عمره فى الكبائر ، وأعظم من ليلة المسافر ، فى عين كانون الآخر ، على إكاف يابس ، تحت مطر و برد قارس . ومن أمثال البغداديين : هو أثقل من مغن وسط ، ومن مضحك وسط . وقال ابن الرومى يهجو احمد بن طيفور :

فقدتك يا ابن أبي طافر   وأطعمت فقدك من شاعر
فلست بسخن ولا بارد   وما بين ذين سوى الفاتر
وأنت كذاك تغنّي النفو   س تغنية الفاتر الخاتر

ومن شرط المسامر والمنادر: أن يكون خفيف الاشارة ، لطيف العبارة ، ظريفاً رشيقاً ، لبقاً رفيقاً ، غير فدم ولا ثقيل ، ولا عنيف ولا جهول ، قد لبس لكل حالة لباسها ، وركب لكل آلة أفراسها ، فطبق المفاصل ، وأصاب الشواكل ، وكان برائق حلاوته ، وفائق طلاوته ، يضع الهناء مواضع النقب ؛ و يعرف كيف يخرج مما يدخل فيه ، إذا خاف أن لايستحسن ما يأتيه . كما ذكر عن الفتح بن خاقان أنه كان مع المتوكل فرمى المتوكل عصفوراً فأخطأه . فقال : أحسنت يا أمير المؤمنين ، فنظر إليه نظرة منكرة . فقال: إلى الطائر حتى سلم، فضحك المتوكل . وذكر لبعض ولاة البصرة لما وليها حلاوة الجماز وأن أكثر نوادره على الطعام ، فأحضره وقدمت المائدة فأتى بنادرة فاخرة وأتبعها بأخرى فلم تستملح . فقال : لعل الأمير أنكر برد ما أتيت به ؟ و إنما احتذيت حذوه فى تقديم البوارد قبل الحوار .

ولا يجب أن يكون كلما طال كلامه ، انحل نظامه . بل يأتى فى آخر ما أحكمه ، بما ينسى ما تقدمه ، و إلا كان كما ذكر الجاحظ : أن الرشيد أحب أن ينظر إلى

شعيب القلال كيف يعمل فأدخل القصر وأتى بكل مايحتاج إليه من آلة العمل؛ فبينما هو يعمل إذ بصر بالرشيد فنهض قائماً. فقال له : دونك وما دعيت له فانى لم آتك لتقوم الى ، بل لتعمل بين يدى . فقال : وأنا أصلحك الله لم آتك ليسوء أدبى؛ و إنما أتيتك لأزداد أدباً ، فأعجب الرشيد به وقال له: بلغنى إنك إنما تعرضت لى حين كسدت صناعتك ؟ فقال: يا سيدى وما كساد عملى فى خلال وجهك ؛ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه. وقال : مارأيت أنطق منه ولا أعيا منه ، ينبغى أن يكون أعقل الناس وأجهل الناس . وكذلك كان .

ويجب إذا حكى النادرة الظريفة ، والحكمة اللطيفة ، أن لا يعربها فتثقل ، ولا يتجمجها فتجهل ، ولا يمطمطها فتبرد ، ولا يقطعها فتجمد . ولو أن قائلا حكى قول مزيد المدنى وقد أكل طعاماً فأثقله. فقيل له: تقيأه يذهب ما بك. فقال : خبز نقى ، ولحم جدى، والله لو وجدته قىء لأكلته . فلو أعطاه حقه من الاعراب فقال: خبز نقى ، ولحم جدى ، والله لو وجدته قيئاً لأكلته ، لخرج عن حده ، وأفلج من برده . وكذلك لو ذهب بما يحتاج إلى الإعراب من كلام الفصحاء والأعراب إلى اللحن لاستغث واسترث . كما ذكروا أن الحجاج بعث إلى والى البصرة أن اختر لى من عندك عشرة فصحاء فاختار رجالا فيهم كثير بن أبى كثير - وكان عربياً فصيحاً - قال كثير فقلت بم أفلت من الحجاج ثم قلت فى نفسى باللحن ؛ فلما دخلت عليه دعانى فقال : ما اسمك ؟ قلت كثير قال ابن من ؟ فقلت إن قلت ابن أبو كثير : خفت أن يتجاوزها ، فقلت ابن أبا كثير ، فقال اذهب فعليك لعنة الله وعلى من بعث بك ، جروا فى عنقه! فأخرجت . وقال رجل للحسن البصرى رحمه الله : ماتقول فى رجل مات وترك أبيه وأخيه ؟ فقال : أغيلمة إن فهمناهم لم يفهموا ، و إن علمناهم لم يعلموا ، قل ترك أباه وأخاه ، فقال له فما لأباه وأخاه ؟ فقال الحسن : قل لأبيه ولأخيه ، قال أرى كلما تابعتك خالفتنى .

ولكل صناعة آلة ، ولكل بضاعة حالة . وذم رجل رجلا فقال : أقداحه

محاجم ، ودعواته ملايم ، وكؤوسه محابر ، ونوادره بوادر . وقال الزبير رؤى الغاضري ينازع أشعب الطمع عند بعض الولاة . فقال : أيها الأمير إنه يريد أن يدخل على فى صناعتى ، ويشاركنى فى بضاعتى ، وهيئته هيأة قاض ، والأمير يضحك . وقال عمرو بن عثمان :

واشتياقى إلى أبى الخطاب وأحاديثه الرقاق العذاب

وإشاراته التى استعارت حزكات المهجور عند العتاب

ويجب على اللبيب المطرب أن لا يطيل فيمل ، ولا يقصر فيخل ، فللكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، قال احمد بن الطيب السرخسى تلميذ احمد بن اسحاق الكندى : كنت يوماً عند العباس بن خالد وكان ممن حبب إليه أن يتحدث فأقبل يحدثنى وينتقل من حديث إلى حديث ، وكان فى صحن منزله فلما بلغنا الشمس انتقلنا من موضع إلى موضع آخر حتى صار الظل فيئاً ، فلما أكثر وأضجر ومللت حسن الأدب فى حسن الاستماع ، وذكرت قول الأوزاعى : إن حسن الاستماع قوة للمحدث ، فقلت له إذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة على فيه ؛ فكيف بك وأنت المتكلم ؟ فقال : إن الكلام يحلل الفضول الغليظة التى تعرض فى اللهوات ، وأصل اللسان ، ومنابت الأسنان ، فوثبت وقلت ما أرانى معك الا أبايع العنقر إذ أنت تتعرض بى منذ اليوم ، والله لا أجاس ، واجتهد بى فلم أفعل . وقال احمد بن الطيب : كنا مرة عند بعض إخواننا فتكلم فأعجبه من نفسه الكلام ومنا حسن الاستماع ، حتى أفرط . فعرض لبعض من حضر ملل . فقال : إذا بارك الله فى شىء لم يفن ، وقد جعل الله فى حديث أخينا هذا البركة ، وقال عبد الله بن سالم فى رجل كثير الكلام :

لى صاحب فى حديثه بركه يزيد هذا السكون والحركه

لو قال لا فى قليل أحرفها لردها بالحروف مشتبكه

والتحفظ فى هذا الباب ، من أكبر الأسباب . لأن المنادر والمهاتر والمسامر

قد تمر له النادرة المضحكة ، والطيبة المتحركة ، فيستغرب المجلس ، وتطرب الأنفس ، فيدعوه ما استحسن منه ، واستندر عنه ، أن يعود إلى مثلها فينقص من حيث ظن أنه زاد ، ويفسد عليه ما أراد . وقد كتب أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري لمّا استحضره عضد الدولة للمنادمة ؛ وقفت على ما وصفته من بر الأمير بك ، وتوفره عليك ، وليس العجب أن يتناهى مثله في الكرم إلى أبعد غاياته ، وإنما العجب أن يقصر في مساعيه عن نيل المجد كله ، وحيازة الفضل بأجمعه ، وقد رجوت أن يكون ما يغرسه أجدر غرس بالزكاء ، وأضمنه للريع والنماء ، فارع ذلك واركب الاكثار في الخدمة طريقة تبعدك من الملال ، وتوسطك في الحضور بين الاكثار والاقلال ، ولا تسترسل كل الاسترسال ، فلأن تدعى من بعيد مرات ، خير من أن تقصى من قريب مرة . وليكن كلامك جواباً تتحرز فيه من الخطل والاسهاب ، ولا تعجبن بتأتي كلمة محمودة فيلح بك الاطناب ، توقعاً لمثلها فربما هدمت ما بنته الأولى . وبضاعتك في الشرب مزجاة ، وبالعقل يزَمُّ اللسان ويلزم السداد . فلا تستفزنك طربة الكرم على مايفسد تمييزك . والشفاعة لاتعرض لها فانها مخلقة للجاه ، فان اضطررت اليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها ، وتطالع موضعها ، فان وجدت النفس بالاجابة سمحة ، وإلى الاسعاف هشة ، فاظهر مافي نفسك غير محفف ، ولا توهم أن في الرد عليك ما يوحشك ، ولا في المنع ما يغيظك . وليكن انطلاق وجهك إذا دفعت عند حاجتك ، أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخف كلامك ولا يثقل على مستمعيه منك ، أقول ما أقوله غير واعظ ولا مرشد ؛ فقد كمل الله خصالك ، وفضلك على كل حالك ، لكن أنبه تنبيه المشارك واعلم للذكرى موقعاً لطيفاً . وذكر لعبد الله بن طاهر رجل يصلح للمنادمة فأحضره فأقبل يأتي بالأشياء في غير مواضعها . فقال : ياهذا إما أقللت فضولك أو دخولك .

وهذه النوادر أكرمك الله وإن وقع عليها اسم الهزل ، وأسقطت من عين العقل، عند من لايعلم مواقع الكلم ، ولا يفهم مواضع الحكم ، فليس ذلك بمروجها ، ولا بمبهرجها عند أهل العقول . وأولى التحصيل العارفين بمعاقد المعانى ، وقواعد المبانى ، وهل يستندر من المعمورين والمشهورين ، ويستظرف من المغفلين والمعقلين ، إلا ماخرج عن قدر أشكالهم ، وبعد من فكر أمثالهم . وإنما يذكر ما يستظرف ، لخروجه عما يعرف .

ومنها ما يدخل فى باب الطيب والاستندار . وقد قال الجاحظ : ليس شىء من الكلام يسقط البتة ، فسخيف الالفاظ يحتاج إلى سخيف المعانى . وقدقيل : لكل مقام مقال ، وقيل لبشار بن برد ، كم بين قولك :

أمن طلل بالجزع ان يتكلما　　　وأقفر إلا أن ترى متذمما

فى نظائر هذه القصيدة من شعرك ، ومن قولك :

لبابة ربه البيت　　　تبيع الخل بالزيت
لها سبع دجاجات　　　وديك حسن الصوت

فقال : إنما القدرة على الشعر أن يوضع الجد والهزل فى موضعه ، ولبابة هذه جارة لى تنفعنى بما تبعث لى من بيض دجاجها ، وهذا الشعر أحسن موضعا عندها من قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .

ولما استقرت الخلافة للمعتز بالله شخص اليه أبو العبر من ولد عبد الصمد بن على فهنأه بالخلافة وتعرض لصلته بالجد وهجاء المستعين كما فعل البحترى فى قصيدته التى أولها :

يجانبنا فى الحب من لا نجانبه　　　ويبعد منا فى الهوى من نقاربه

فلم يقبل عليها ، فعمل أبو العبر قصيدة مزدوجة كلها هزل من غير تقويم ولا إعراب منها قوله :

أيا أحمد الرقيع　ومن أكلك الرجيع　أتنسى متى كان　نصيرك قهرمان
فيأتيك بالسويق　من السوق والدقيق　فصرت الآن فى الدار　على رتبة البزار

إما تعلم يافار بأن الله يختار ويعطى غيرك الملك عزيزا يركب الفلك

وفيها مالا يذكر من حماقات واختلال ، و برد وانحلال ، وكلام مرذول ، غث مهزول ، فضحك المعتز منها وأمر له بألف دينار ، فألح على جعفر بن محمود الاسكافى فى الاقتضاء وهو حينئذ وزير المعتز فألح عليه ، فقال له جعفر : عهدى ببنى هاشم يأخذون الصلات بشرفهم وعلومهم وجدهم ، وأنت تأخذ بالمحال والهزل فأنت عجيب من بينهم !! فقال أبو العبر : صدقت أنا عجيب من بينهم كما أنت عجيب فى أهل إسكاف كلهم نواصب وأنت من بينهم رافضى ، وكان جعفر ينسب إلى ذلك . ثم أنشد أبو العبر قول جميل بثينة :

بثينة قالت ياجميل أربتنا ... فقلت كلانا يابثين مريب
وأريبنا من لايؤدى أمانة ... ومن لايفى بالعهد حين يغيب

فدفع اليه الألف دينار ، واستعفاه أن يعاود مثل هذا . وكانت لابى العبر مع موسى بن عبد الملك قصة مثل هذه فى أيام المتوكل رفع اليه كتابا بأرزاقه وأرزاق جماعة من أهله ليوقع فيه ويختمه ، فدافعه به موسى مدة ، فوقف له يوما فلما ركب أنشده :

موسى إلى كم تتبرد ... وكم وكم تتردد
موسى أجزنى كتابى ... بحق ربك الاسود

يريد محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ، والأمامية تزعم أنه إمام وقته ، فجزع موسى وسأله كتم ما كان عليه ومعاودة مثله . وأنشد أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى المتوكل قصيدته :

من أى ثغر تبتسم ... وبأى طرف تحتكم
حسن يضن بحسنه ... والحسن أشبه بالكرم
أفديه من ظلم الوشا ... ة وإن أساء وإن ظلم

وهى حلوة الروى ، مليحة العروض ، حسنة الطبع ، فكان البحترى فيه

كبر وإعجاب ، فاذا أنشد. قال: مالكم لاتعجبون ، أما حسن ما تسمعون ؟ !
فقام اليه أبو العنبس الصيمرى وقد قال ذلك فقال :

عن أى سلح تلتقم وبأى كف تلتطم دقن الوليد البحترى
أبى عبادة فى الرحم أدخلت رأسك فى الخرا

فولى البحترى مغضبا ، فقال أبو العنبس : وعلمت أنك تنهزم .

فضحك المتوكل حتى فحص برجليه وأمر بالجائزة لأبى العنبس .

فقد يحتاج العاقل المميز ، والفاضل المبرز ، إلى الهزل كاحتياجه إلى الجد ، ويفتقر إلى الجور كافتقاره إلى القصد : وعلم الفتى فى غير موضعه جهل .

وصحب الامام محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه قوما فى سفره فكان يجاريهم على أخلاقهم ، ويخالطهم فى أحوالهم ، وهم لايعرفونه ، فلما دخل مصر حضروا الجامع فوجدوه يفتى فى حلال الله وحرامه ، ويقضى فى شرائعه وأحكامه ، والناس مطرقون لاجلاله ، فرآهم فاستدعاهم ، فلما انصرفوا سئل عنهم فأنشد :

وأنزلنى طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت امرءاً لاأشا كله
أخامقه حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقد يخرج الفطن اللبيب ، وينتج الطبن الأديب ، من الهزل السخيف ، غرائب الجد الشريف : فالنار قد تلتظى من ناضر السلم .

ولما قال بشار بن برد :

كأن فؤاده كرة تنزى حذار البين لو نفع الحذار
جفت عينى عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار
يروعه السرار بكل شىء مخافة أن يكون به السرار

قيل له من أين أخذت هذا ؟ قال من قول أشعب الطماع : مارأيت اثنين يساران إلا ظننتهما يأمران لى بشىء . وكان بين يدى مزيد المدينى جرة مغطاة ، فقال له بعض جيرانه ماهذا؟ فقال له يا أحمق فلم سترناه ! ! أخذه ابن الرومى فقال لمن سأله لم تلزم العمة ؟

يا أيها السائلى لأخبره عنى لِمَ لا أزال معتجرا
أستر شيئا لو كان يمكننى تعريفه السائلين ما سترا

وكان ابن الرومى أقرع الرأس ، وقد أخبر بعلة ذلك فى قوله :

تعممت إحصانا لرأسى برهة من القريوما والحرور إذا سقع
فلما دعا طول التعمم لمتى فأزرى بها بعد الاصالة والقرع
عزمت على لبس العمامة حيلة لتستر ما جرت علىّ من الصلع
فيالك من جان على جناية جعلت إليه من جنايته القرع
وأعجب شىء كان دائى جعلته دوائى على عهد وأعجب بأن نفع

وقد يستجلب من الجديات الصريحة ، ظرائف الهزليات المليحة ، فقد قيل على وجه الذم : من حفرلأخيه حفرة وقع فيها ، وقيل من سل سيف البغى قتل به . وقال ابن المعتز فى الفصول القصار : لم يقع سيف حيلته إلا على مقاتله . وأنشدوا لبعض الأعراب :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريا ومن جال الطوى رمانى

والذى أنشده سيبويه — ومن أجل — والجال والجول الناحية والطوى البئر . يريد رمانى بما عاد عليه ضره وشره كمن يرمى من بئر فيعود رميه عليه ، فانظر إلى هذا المعنى كيف أخذه عبادة المخنث لما نـكب المتوكل محمد بن عبد الملك الزيات ورماه فى تنور كان ابن الزيات اتخذه لابن السباط المصرى وجعله كله مسامير فاذا وقف الواقف لم يقدر يتحرك إلى ناحية إلا ضربته المسامير فلا يزال قائماً حتى يموت . فاطلع عليه عبادة المخنث فقال له: أردت أن تخبز فى هذا التنور فخبزت فيه فضحك المتوكل . فقال عبادة : هذا يا أمير المؤمنين مثل رجل كان حفاراً للقبور مات فمرت به واحدة من أصحابنا فقالت : أما علمت أنه من حفر لأخيه حفرة يسقط فيها .

وكم ظريفة من الخطاب ، ومليحة من الجواب ، خلصت من الهلاك ، من

نصبت له الأشراك ، وسلمت من الحتوف ، من أصلتت له السيوف . قال الأصمعى : خرج الحجاج متصيداً ، فوقف على أعرابى يرعى إبلا وقد انقطع عن أصحابه ، فقال : يا أعرابى كيف سيرة أميركم الحجاج ؟ فقال الأعرابى : غشوم ظلوم لاحياه الله ولا بيّاه ، قال الحجاج : فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين ؟ فقال الأعرابى : هو أظلم منه وأغشم عليه لعنة الله . قال فبينا هو كذلك اذ أحاطت به [جنوده] فأومأ إلى الأعرابى فأخذه وحمل ، فلما صار معهم قال من هذا ؟ قالوا الأمير الحجاج ، فعلم أنه قد أحيط به ، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه فناداه أيها الأمير، قال ما تشاء يا أعرابى ؟ قال أحب أن يكون السر الذى بينى و بينك مكتوما ، فضحك الحجاج وخلى سبيله . وخرج مرة أخرى فلقى رجلا . فقال : كيف سيرة الحجاج فيكم ؟ فشتمه أقبح من شتم الأول حتى أغضبه فقال : أتدرى من أنا ؟ قال ومن عسيت أن تكون ؟ قال أنا الحجاج ، قال أو تدرى من أنا ؟ قال ومن أنت ؟ قال أنا مولى بنى عامر أجن فى الشهر مرتين هذه إحداهما . فضحك وتركه. وقدم المهدى المدينة فخرج ليلة إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا ليصلى فبينما هو كذلك إذ جاء مدنى فقام إلى جانبه يصلى ، فلما قضى صلاته قال للمدنى : أقدم خليفتكم ؟ قال نعم ! فعل الله به وفعل وأراحنا منه ، وجعل يدعو على المهدى وانصرف ، فدخل عليه الربيع فقال ياربيع جلس إلى جانبى البارحة مدنى فما ترك دعاء إلا ودعا به على ، فقال أتعرفه ؟ قال نعم إذا رأيته ! ثم ركب المهدى واجتمع أهل المدينة ينظرون فوقعت عينه على الرجل ، فقال يا ربيع ألا ترى الرجل الذى صفته كذا وكذا هو ذاك صاحبى ، فأمر به الربيع فأخذ ، فلما رجع المهدى دعابه. فقال : يا هذا هل أسأت إليك قط ؟ [قال لا] قال فهل لك مظلمة تطالبنى بها ؟ قال لا ، قال فما دعاؤك على حين صليت إلى جانبى ؟ فقال المدينى : والله فديتك وعتق ما أملك وامرأتى طالق إن لم أكن أغير كنيتى فى اليوم مرتين وثلاثا للملال . فضحك المهدى وأحسن صلته . وخرج ابن أحمد

المديني أيام العصبية [إلى] أذربيجان فلقيه فرسان فسقط في يده فقال الساعة يسألونني من أنا ؟ وأخاف أن أقول مضري وهم يمانية ، أو يماني وهم مضرية فيقتلونني ، فقربوا منه ، وقالوا : يا فتى ممن أنت ؟ قال ولد زنا عافاكم الله ، فضحكوا منه وأعطوه الأمان فأخبرهم بنفسه، فأرسلوا معه من يوصله إلى مقصده .

وخرج الربيع من عند أبي جعفر عبد الله المنصور فقال : أمير المؤمنين يسأل من يعرف من يشبهه من خلفاء بني أمية أن يذكر ما عنده ، فقال أبو بكر بن عياش المنتوف : أنا أعرف ذلك ، ولكن لا أقول إلا مشافهة ، فدخل ثم خرج فقال : أمير المؤمنين يقول لك : قد علمت أنك إنما تطلب الدخول لتتوسل إلى أموالنا ، فادخل . فدخل فقال له : من أشبه من خلفاء بني أمية ؟ فقال عبد الملك بن مروان . قال : كيف قلت ذلك ؟ قال لأن أول اسمك عين وهو أول اسمه عين ، وأول اسم أبيه ميم وأول اسم أبيك ميم ، وقتل ثلاثة أول أسمائهم عين وكذلك أنت ، قال : ومن قتل ؟ قال عبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وقتلت يا أمير المؤمنين عبد الرحمن بن مسلم — يريد أبا مسلم الخراساني — وعبد الجبار بن عبد الرحمن الخارجي ، قال : وأردت أن أقول ، وقتلت عبد الله بن علي عمك فعرفت أنه يكره ذلك ، لأنه أسقط عليه البيت الذي كان فيه ، وادعى أن البيت سقط ، وقد كان عيسى بن موسى يسام في نزع البيعة ، وهو مضيق عليه ، فقلت وسقط الحائط على عبد الله بن علي ، قال فالحائط سقط عليه فما علينا ؟ فقلت لا شيء يا أمير المؤمنين . وهاهنا حائط آخر مائل على عين أخرى وهو عيسى بن موسى إن لم تدعموه بفضلكم خفت أن يسقط . فضحك ثم قال : أولى لك . وخرج المأمون منفردا فاذا بأعرابي فسلم عليه. فقال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال الرجاء لهذا الخليفة وقد قلت أبياتا استمطر بها فضله ، قال أنشدنيها ، قال يا ركيك أو يحسن أن أنشدك ما أنشد الملوك ؟ ! فقال يا أعرابي إنك لن تصل إليه ولن تقدر مع امتناع

أبوابه وشدة حجّابه ، ولكن هل لك أن تنحلنيها وهذه ألف دينار فخذها وانصرف ودعنى أتوسل ، لعلى أتوصل ؟ قال لقد رضيت ، فبينما هما فى المراجعة إذ أحدقت الخيل به وسلم عليه بالخلافة ، فعلم الأعرابى أنه قد وقع ، فقال الأعرابى : يا أمير المؤمنين أتحفظ من لغات اليمن شيئاً ؟ قال نعم ! قال فمن يبدل القاف كافا ؟ قال بنو الحارث بن كعب ، قال لعنها الله من لغة لا أعود اليها بعد اليوم (١) فضحك المأمون وأمر له بألف دينار . وغنى مخارق بحضرة المأمون أبيات مسكين الدارمى وذهب عنه معناها وفيمن قيلت ، وهى :

على الطائر الميمون والسعد إنه   لكل أناس أنجم وسعود

ألا ليت شعرى مايقول ابن عامر   ومروان أم ماذا يقول سعيد

إذا المنبر الغربى خلّى مكانه   فأن أمير المؤمنين يزيد

وابن عامر : ـ هو عبد الله بن عامر بن كريز ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص ، وسعيدبن العاص ، وهؤلاء شيوخ بنى أمية والمترشحون للخلافة بعدمعاوية ، وعمروبن سعيد بن العاص هو الأشدق وطلب الخروج على عبدالملك ابن مروان فقتله فلما بلغ مخارق إلى آخر البيت الأخير وهمأن يقول يزيد استيقظ ، فقال : مخارق ، فضحك المأمون وقال لو قلت يزيد ماعشت .

وكمصرفت الملح من مخوف ، وأنقذت من ملهوف . قال عيسى بن يزيد بن داب : أرسل يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر فى جارية له مغنية يسأله إياها ؛ فقال له الرسول : أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك فلانة أعجبتنى ويحب أن تؤثرنى بها. فقال عبدالله لمولاه بديح المليح : أى شىء يقول؟ قال بديح فقلت له يقرئك السلام ويقول كيف بت فى ليلتك هذه ؟ قال يقول عبد الله :

---

(١) يشير إلى قوله : يا ركيك ـ ويريد أن يقصد بذلك يارقيق وذلك من حسن التخلص .

أقرىء أمير المؤمنين السلام . فقال الرسول : ليس كذا قلت ولا له جئت ، فقال ما يقول ؟ فأعاد بديح القول ، فخرج الرسول مغضباً ومضى إلى يزيد فقال : ياأمير المؤمنين بلغت ابن جعفر رسالتك و إلى جنبه رجل مجنون ما أدرى كيف هو يحكى خلاف ما أقول ! فقال على به ، قال بديح : فذهب بى اليه فلما دخلت شتمنى وقال تصنع هذا ؟ ! فقلت يا أمير المؤمنين متى عهدك بابن جعفر لايسمع ؟ إقباله علىّ يسألنى منع بجاريته وبخل بها ؛ كره أن يعطيكها لمحبته لها فما ذنبى أنا ؟!
فضحك يزيد وقال : لعل الشيخ ضنين بجاريته .

وكان المأمون قد حرم الغناء وشدّد فيه فالتقى على بن هشام اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الجسر فقال اسحاق لعلى بكلام يخفيه : قد زارتنى اليوم فلانة وهى أطيب الناس غناء فبحياتى إلا كنت اليوم عندى ، فوعده بالحضور وتفرقا ، و إذا بطفيلى يسمع كلامهما فمضى من وقته فلبس ثياباً حسنة واستعار من بعض إخوانه بغلة فارهة بسرجها ولجامها فركبها وأتى باب على بن هشام بعدأن نزل من الركوب بساعة فقال للحاجب : عرف الأمير أن رسول صاحبه اسحاق بن ابراهيم بالباب ، فدخل الحاجب وخرج مسرعاً وقال أدخل جعلت فداك ، فدخل على علىّ فرحب به ، فقال له ياسيدى يقول لك أخوك تعلم ما اتفقنا عليه فلم تأخرت عنى ؟ فقال له الساعة وحياتك نزلت من الركوب والساعة أغير ثيابى وأوافيه ، فاستوى على دابته ووافى منزل اسحاق فقال للحاجب : عرف الأمير إنى رسول على بن هشام ، فدخل الحاجب وخرج فقال ادخل ! جعلنى الله فداك فدخل فسلم وقال : أخوك يقرئك السلام و يقول لك الساعة نزلت من الركوب وقد غيرت ثيابى وتأهبت للمسير فما ترى ؟ فقال قل له ياسيدى قتلتنا جوعاً فبحياتى إلا ما حضرت ، فرجع إلى باب على وقال للحاجب : تعرفه أن الأمير أمرنى أن لا أبرح أو يجىء معي فغير على بن هشام ثيابه وركب دابته وتبعه الطفيلى حتى نزل بباب اسحاق ابن ابراهيم ونزل الطفيلى معه ، ودخلا جميعاً فسلما وجلسا ، وجىء بالطعام

فأكلوا ، وإسحاق لا يشك أنه أخص الناس بعلى وعلى لا يشك أنه أخص الناس باسحاق ، ثم غسلوا أيديهم وقدموا الشراب وخرجت جارية من أحسن الناس وجهاً وزياً ، فجلست وأوتيت بعود فغنت أحسن غناء ودارت الأقداح فلم يزالوا على ذلك إلى بعد العصر ، وأخذ الطفيلى البول حتى كاد يأتى على ثيابه فصبر جهده فلما عيل صبره قام فدخل الخلاء ، فقال على لاسحاق : ياسيدى ما أخف روح هذا الفتى وأحلى نوادره فمن أين وقع لك ؟ قال أو ليس هو صاحبك ؟ ! قال لا وحياتك ولا رأيته قبل يومى هذا ، قال فانه جاءنى برسالتك وقص قصته وقص اسحاق مثلها وداخله من الغيظ مالم يملك معه نفسه وقال طفيلى يستجرىء علىّ وعلى النظر الى حرمى والدخول الى دارى ! ! ياغلمان السياط والعقابين ، المقارع والجلادين ، فقامت فى الدار جلبة وأحضروا جميع ذلك والطفيلى يسمع وهو فى الخلاء ، ثم إنه خرج رافعا ثيابه غير مكترث بما فعلوه وهو مقبل على تكة لباسه يشدها و يتمشى فى صحن الدار وهو يقول : جعلت فداك إيش بقى من جهدك فهل عرفتنى مع هذا كله ؟ فقال اسحاق ومن أنت ؟ فقال أنا صاحب خبر أمير المؤمنين وعينه على سره ، والله لولا تحرمى بطعامك ومما لحتى لتركتكما فى عمى من أمرى حتى كنت تعرف عاقبة حالك و إقدامك على ما فيه هلاكك وفساد أمرك ، فقام اليه اسحاق وعلى يسكتانه وقالا له : يا هذا إننا لم نعرفك ولم نعلم حالك ولك الفضل علينا ، وأنت المحسن المجمل إلينا ، ولكن تمم إحسانك بسترك ما نحن عليه . ثم قال اسحاق : يا غلام الخلع فأتى بثياب فاخرة فصبت عايه وتقدم باسراج دابة هملاج بسرج مخفف ولجام حسن ؛ ولم يزالا به حتى طابت نفسه ووعدهما كتمان أمرهما ، وحضر وقت الانصراف فودعهما وانصرف ، فأتبعه اسحاق بخادمه معه صرة فيها ثلاثمائة دينار فأخذها وركب الدابة ومضى . فلما كان من الغد دخل على بن هشام على المأمون. فقال : يا على كيف خبرك أمس ؟ — على حسب ما يجرى السؤال عنه — فتغير لونه ولم يشك فى أن الحديث رفع اليه ، فأكب على البساط يقبله وقال :

يا أمير المؤمنين العفو ، يا أمير المؤمنين الأمان قال: لك الأمان فأخبره بالقصة من أولها الى آخرها فضحك المأمون حتى كاد يغشى عليه وقال ما فى الدنيا أملح من هذا ، ووجه خلف اسحاق فلما حضر قال : هيه يا إسحاق ؟ كيف كان خبرك أمس ؟ فأخبره كخبر على بن هشام والمأمون يضحك ثم قال : يا اسحاق بحياتى اطلب الرجل وجئنى به ، فلم يزل يطلبه حتى وجده ، فكان أحد ندماء المأمون .

ولما ظفر سليمان بن حسن الجنابى (١) يوم الهبير بالحجّاج وقتلهم فأخذ أموالهم كان فى جملة ما أخذ احمال فيها من رفيع البز والمثقل وظريف الوشى والمصمت ما أعجبه وأبهته فقال على بصاحب هذه الاحمال قال صاحبها فأتيته فقال: ما منعك أن يكون ما جئت به أكثر من هذا ؟ فقلت لو علمت أن السوق بهذا النفاق لفعلت ، فاستظرفنى ودفع الىّ مالا وجميع ما أخذ لى وأرسل معى من يحفظنى حتى وصلت.

وكان أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات الوزير المعروف بابن حنزابة ـ وحنزابة أمه رومية ولها من العقل والحزم ما نوه باسمها ـ قد اقتطع فى أيام الاخشيد قيمة مائة الف دينار فى أمور تولاها له ، فحاسب أبا زكريا النصرانى المعروف بحبوسة وكان على الخراج فألزمه عشرة آلاف دينار وطالبه بها ، فقال أعز الله الأمير وهل قامت على حجة يلزمنى بها الأداء ؟ قال : هو ما أقول لك يا لص ، فقال: إنما هو لصيص ، فضحك وتركه .

وكم أفادت من الرغائب ، و بلغت من المطالب ، ورفعت من لا قدم اقدمه ، ولا أمس ليومه . كما حكى أبو الحسن المدائنى قال : كان بالبصرة ثلاثة اخوان يتعاشرون ولا يفترقون ، اثنان شاعران والآخر منجم لا يحسن شيئا ، ففنى ما بأيديهم فخرج الشاعران الى بغداد فمدحا من كان بها من الاشراف فرجعا وقد اعتقدا أموالا نفيسة و بقى صاحبهما فى فقره ، فقالا له : لو ذهبت فتسببت ؟ فقال

---

(١) فى الأصل : الحبابى (مهملة من الاعجام) وهو أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى كبير القرامطة .

مالى صناعة ولا عندى بضاعة ، فقالا على كل حال معك ظرف ولك لطف ، فخرج إلى بغداد واتصل بيقطين بن موسى وقال : ما أتيت اليك بشىء غير أنى أكذب الناس ، فضحك وغم على قلبه فكان فى جملة حاشيته ، فغضب المهدى على عبد الله بن مالك الخزاعى فأتاه الرجل وهو من المهدى فى أشد السخط وقد ألزمه داره ، فقال للحاجب استأذن على الأمير وقل له رسول الأمير يقطين بالباب، فدخل وخرج له بالأذن فدخل . وقال : الأمير يقول لك اليوم كنت عند أمير المؤمنين فذكرته سالف حقوقك وقديم خدمتك، فعفا عنك وأمرك بالركوب غدا ليخلع عليك و يجدد الرضا عنك بمحضر الناس ، فسر عبد الله بذلك ودفع الى الرجل مالا و بكر الى دار المهدى ، فاستأذن عليه فلما دخل قال : ما جاء بك قبحك الله وقد أمرناك بلزوم دارك ؟ قال أو ما رضيت عنى يا أمير المؤمنين وأمرت يقطينا باحضارى ؟ فقال إذا لا رضى الله عنى ولا خطر هذا بقلبى ، قال فرسوله أتانى بذلك ، قال على بيقطين فأتى به فقال : أتكذب على وتحكى على ما لم أقله ؟ قال وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال زعمت أنى رضيت عن هذا ، فقال يقطين وأيمان البيعة يا أمير المؤمنين إن كنت سمعت بشىء من هذا أو قلته ، قال عبدالله بل أتانى رسولك فلان ، فبعث خاف الرجل بحضرة المهدى فلما حضر قال: ماهذا الذى فعلت ؟ قال يا سيدى هذا بعض ذلك المتاع بدأت فى نشره خوفا عليه من السوس ، فقال المهدى ما يقول ؟ فأخبره يقطين بأول أمره معه ، فضحك المهدى وجدد الرضا عن عبد الله بن مالك ووصل الرجل بصلة جزيلة ، ووصله عبد الله بأوفر صلة ، فانصرف الى صاحبيه واسع النعمة عظيم المال .

وهل يستغنى أهل الأدب وأولوا الأرب عن معرفة ظريف المضحكات ، وشريف المفاكهات ، اذا لاطفوا ظريفا ، أو ما زحوا شريفا . فقد قال الأصمعى: بالعلم وصلنا و بالملح نلنا . وروى أبو هفان قال : دخل أبو نواس على يحيى بن خالد فقال له : يا أبا على أنشدنى بعض ما قلت فأنشده :

كم من حديث معجب لى عندكا ... لو قد نبذت به إليك لسركا
إنى أنا الرجل الحكيم بطبعه ... ويزيد فى علمى حكاية من حكى
أتتبع الظرفاء اكتب عنهم ... كيما أحدث من أحب فيضحكا

فقال له يحيي : يا أباعلى إن زندك لتورى بأول قدحة . فقال:ارتجالا فى معنى قول يحيي :

أما وزند أبى على انه ... زند اذا استوريت سهل قد حكا
ان الآله لعلمه بعباده ... قد صاغ جدك للسماح ومن حكا
تأبى الصنائع همتى وقريحتى ... من أهلها وتعاف إلا منحكا

وحضر الجماز مع أبي نواس مجلس قينة فاقبل الجماز يمالحها و يمازحهاوأبو نواس ساكت فمالت اليه فقال الجماز :

أبو نواس جذره شعره ... وجذرنا حسن الحكايات
فجذرنا أكثر من جذره ... مدًّا على أهل المروءات

فقال أبو نواس :

صدقت لا ننكر هذا كما ... أمك رأس فى المناحاة

فأقبلت القينة على أبى نواس وغنت ، فقال لها الجماز : ما سمعت والله أحسن من هذا ، فقال أبو نواس : ولا نواح أمك إلا أن يكون عليك فانه والله أحسن . وكانا يصطحبان وهما حدثان وأمه أدين النائحة وله يقول أبو النواس :

اسقنى يا ابن أدين ... من سلاف الزرجون

وقال أبو ذؤيب فى الملح :

وسرب تطلى بالعبير كأنه ... دماء ظباء بالبخور ذبيح
بذلت لهن القول إنك واجد ... لماشئته حلو الكلام مليح
فأمكنه مما يقول و بعضهم ... شقى لدى جيرانهن يطيح

يريد : أن الملاحة نقصته عندهن حتى أمكنه مما يريد .

وقال أعرابى :

ألا زعمت عفراء بالشام أننى غلام جوار لا غلام حروب
وإنى لأهدى بالأوانس كالدمى وإنى بأطراف القنا للعوب
وإنى على ما كان من عنجهيتى ولوثة أعرابيتى لأديب

كان الأدب غريبة عند العرب فافتخر بما عنده منه ، وأنه يرجو به القربى ويأمل به الزلفى .

ورب مجلس فض فيه ختام النشاط ، ونشر بساط الانبساط ، وفيه بغيض لا يفيض بقدح فى مزح ، قد ثقل ظله ، وركد نسيمه ، وجمد هواه ، وغارت نجومه ، فاستثقله من حضر ، وعاد صفوهم إلى كدر ، وأنكرت مجالسته ، إذ فقدت مؤانسته ، ولو كانت له دراية ، أو معه رواية ، أو عنده حكاية ، ما كان كما قال الشاعر :

مشتمل بالبغض لا تنثنى إليه بغضاً لحظة الرامق
يظل فى مجلسنا جالسا أثقل من واش على عاشق

ولا كما قال الحمدونى لبعض الثقلاء :

سألتك بالله إلا صدقـ ـت وعلمى بأنك لا تصدق
أتبغض نفسك من بغضها وإلا فأنت إذاً أحمق

وقال أبو على العتابى حدثنى الحمدونى قال : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة السماء فيها مغيمة فأتيته والمائدة مغطاة موضوعة وقد وافت عجاب المغنية قبلى فأكلنا جميعاً وجلسنا على شرابنا فما راعنا إلا داق يقرع الباب. فأتاه الغلام فقال بالباب فتى ظريف من آل المهلب ؛ فقلت ما نريد غير ما نحن فيه ، فأذن له فجاء يخطو وقدامى قدح فيه شراب فكسره ، وإذا رجل آدم أدلم ضخم فتكلم فاذا به عيا دون الناس ، وتخطى وجلس بينى وبين عجاب ، فدعوت بدواة وقرطاس وكتبت :

كدر الله عيش من كدر العيـ ـش وقد كان سائغاً مستطابا

جانا والسماء تؤذن بالغيث وقد ضايق السماع الشرابا
كسر الكأس وهى كالكوكب الد ري ضمت من المدام لعابا
قلت لما رميت منه بما أكره والدهر ما أفاد أصابا
عجّل الله غارة لابن حرب تدع الدار بعد شهر خرابا

ودفعت الرقعة إلى أحمد فقرأها وقال : ويحك هلا نفست ؟ فقلت بعد حول ، قال قلت إنما أردت أن أقول بعد يوم ولكن خفت أن تلحقنى مضرته . وفطن الثقيل فنهض ، فقال لى آذيته ، فقلت بل هو آذانى .

وهذا لعمرى و إن أساء فى قدومه و إقدامه ، فقدأحسن فى نهوضه وقيامه ، وقد قال الشاعر :

ولما تخوفت ولا لوم أن تدْبر من ودّك بالمقبل
أقللت من إتيانكم إنه من خاف أن يثقل لم يثقل

وكان يجالس أبا عبيدة معمر بن المثنى رجل ثقيل إسمه زنباع ، فكان كالشجى المعترض فى حلقه يتناكده ويسىء خلقه ، فلا يتكلم أبو عبيدة بكلمة إلا عارضه بكثرة جهله ، وقله عقله ، فقال رجل لأبى عبيدة : مم اشتقت الزنبعة فى كلام العرب؟ فقال من التثاقل والتباغض ومنه سمى جليسنا هذا زنباعا .

وامتحن أبو عبد الرحمن العتبى بمثل ذلك من رجل ، فلما طال عليه أنشده :

أما والذى نادى من الطور عبده وأنزل فرقاناً وأوحى إلى النحل
لقد ولدت حواء منك بلية علىّ أقاسيها وثقلا من الثقل

وانحدر خالد بن صفوان مع بلال بن أبى بردة إلى البصرة ، فلما اقتربا من البطيحة قال بلال لخالد : أتستثقل حكاية النميرى ؟ قال كدت والله أيها الأمير تصدع قلبى ؛ حين دنونا من آجام البطيحة ، وعكرالبصرة ، وغثاء البحر ، ذكرت لى رجلا هو أثقل على قلبى من شرب الأيارج بماء البحر بعقب التخمة ، وساعة الحجامة . وكان عكابة بن غيلة هذا أهوج جاهلا ودخل على بلال فرأى ثوراً

مجللا ناحية الدار فقال : ما أفره هـذا البغل إلا أن حوافره مشققة ! !

وترك بعض الظرفاء النبيذ فتحاماه معاشروه خوفا أن يكون ما أحدث من الترك دعاه إلى زيادة النسك ، وأوجب له الانقباض والاعراض عما كانوا معه فيه يفيضون و يخوضون فقال :

تحاموني لتركي شرب راح ... وقالوا يشرب الماء القراحا
وما انفردوا بما دوني لفضل ... إذا ما كنت أكثرهم مزاحا
وأرقصهم على وتر وصنج ... وأظرفهم وألطفهم مراحا
إذا شقوا الجيوب شققت جيبي ... وإن صاحوا علوتهم صياحا

وقال الفتح بن خاقان : مارأيت أحلى من ابن أبي دؤاد كنت يوماً ألاعب المتوكل الشطرنج ، فاستؤذن له وهو يومئـذ قاضي القضاة لم يتغير عما كان عليه أيام الواثق بعْد وله جلالة الشرف والعلم ، فأمرنا بعض الغلمان برفعها استحياء منه ، فقال له المتوكل والله ما ترفع وما كنت لأستتر من ابن أبي دؤاد بشيء لاأستتر به من الله عز وجل ، فدخل وهي بين أيدينا ، فقال له المتوكل : أيها القاضي إن الفتح استحيا منك فأراد رفع الشطرنج ، فقال : ما استحيامني إنما كره أن أعلّم عليه ، فاستحلاه المتوكل وخف على قلبه .

ورب مستثقل ازورّ له الجناب ، وطال به الاجتناب ، كانت له الفكاهة من أسباب الاقتراب . وذكر أن روح بن زنباع بَعُدَ ما بينه و بين عبد الملك بن مروان حتى استثقل جانبه ، وأحس روح منـه التغير . فقال لبعض جلساء عبد الملك : اذا حضرنا مجلس الأنس عند أمير المؤمنين فسلني هل كان ابن عمر يسمع المزاح ؟ فلما اجتمعوا سأل الرجل روحا فقال : نعم ! و إن أذن أمير المؤمنين تحدثت ، فقال عبدالملك قل ، فقال : إن ابن أبي عتيق كان صاحب لهو وغزل على عفافه وشرفه ؛ وكانت له امرأة من أشراف قريش ، فغاضبته في بعض الأمر فقالت :

ذهب الآله بما تعيش به ... وقمرت مالك أيّما قمر

أنفقت مالك غير متئد   في كل زانية وفي الخمر

فكتب ابن أبي عتيق الشعر وخرج به في يده ، فلقي ابن عمر فقال : ما ترى فيمن هجاني في هذا الشعر ؟ فقال أرى أن تعفو وتصفح ، قال والله لئن لقيت قائلهما لأنيكنه ، فأخذ ابن عمر الأفكل ولبط به الى الارض ، وقال : لا أكلمك أبدا ، ثم لقيه بعد ذلك فلما أبصره ابن عمر أعرض عنه ، فقال له : بالقبر ومن فيه إلا سمعت مني حرفين . فولاه قفاه وأنصت له ، فقال علمت يا أبا عبد الرحمن أني لقيت قائل ذلك الشعر ونكته ؟ فصعق عبد الله وسقط على الارض ، فلما رأى ابن أبي عتيق ما حل به دنا من أذنه فقال: إنها امرأتي أعزك الله. فقام ابن عمر فقبله بين عينيه . فقال عبد الملك : ما أملحك يا روح ، إنك كل يوم لتأتينا بطريفة . وكان روح مفرطا في الجبن فلما ولى عبد الملك أخاه بشرا على الكوفة ، أصحبه روحا ، وقال له : يا بني روح مثل عمك فلا تقطع أمرا دونه لصدقه وعفافه وصحبته لنا أهل البيت ، وقال لروح اخرج مع ابن أخيك ، فخرج معه وكان بشر ظريفا أديبا ، يحب الشعر والسمر والسماع والشرب ، فراقب روحا وقال لأصحابه أخاف أن يكتب بأخبارنا الى أمير المؤمنين ، فضمن له بعض ندمائه أن يكفيه أمره من غير سخط ولا لائمة ، وكان روح غيورا اذا خرج من منزله أغلقه ثم ختمه بخاتمه حتى يعود فيفضه بيده . فأخذ الفتى دواة وقلما وأتى ممسيا فقعد بالقرب من دار روح مستخفيا ، وخرج روح الى الصلاة فتوصل الفتى حتى دخل الدهليز وكمن تحت درجة فيه وكتب في الحائط :

يا روح من لبنيات وأرملة   اذا نعاك لأهل المشرق الناعي

إن ابن مروان قد حانت منيته   فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع

فلا تغرنك أبكار منعّمة   فاسمع هديت مقال الناصح الداعي

ثم رجع الى مكانه من الدهليز ، فلما خرج روح من الغلس وتبعه غلمانه خرج الفتى في جملتهم متنكرا وخلص، فلما أسفر الصبح دخل روح فتأمل الكتابة

قراءه وقال : ما كتب هذا أنسى ، وما يدخل هذه الدار سواى ، ولاحظ لى فى المقام بالعراق ، ثم نهض من ساعته ودخل على بشر وقال : يا ابن أخى أوصنى بما أحببت من حاجة أو سبب عند أمير المؤمنين ، فقال له هل رأيت منا ما تكره ؟ أو أنكرت شيئا من سيرتنا فلم يسعك المقام ؟ فقال : لا والله جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيرا ، ولكن حدث أمر لا بد لى من الشخوص فيه ، فأقسم عليه ليخبرنه بالخبر ، فقال : إن أمير المؤمنين قد مات أو هو ميت ، فقال بشر : ومن أين علمت ذلك فأخبره بخبر الكتابة وقال ليس يدخل دارى أحد غيرى ، وما كتبه إلا الملائكه أو الجن ، فقال بشر : أقم فانى لأرجو أن لا يكون لهذا حقيقة فأبى . وقدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك أنكرت شيئا من حال بشر ؟ قال لا والله وذكر حسن سيرته وقال إنما جئت فى أمر لا يمكننى ذكره إلا خاليا ، فقال عبدالملك إن شئتم ، وخلا بروح فأخبره القصة وأنشده الأبيات ، فضحك عبد الملك حتى فحص برجليه وقال ثقلت والله على بشر فاحتال عليك ليخلو له أمره . قال اسحاق : حدثنى رجل من قريش قال قال لى محمد بن خالد القرشى ذكرت لى جارية مغنية عند أبى فلان القاضى فامض بنا اليه قال فصرنا اليه واستأذنا فاذا هو يصلى ، فلما فرغ من صلاته قال : لأمر ما جئتم ؟ قلت فلانة ، قال لغلامه يا غلام على بفلانة لتخرج ، فخرجت علينا جارية كأنها مهاة تتثنى فى مشيتها ، فلما قعدت وضع عود فى حجرها ، فجسته واندفعت تغنى :

عوجى علىّ وسلمي جبر ‏ كيف الوقوف وأنتم سفر
ما نلتقى إلا ثلاث منى ‏ حتى يفرق بيننا النفر

فقام القاضى على أربعة . قال : أنحرونى فانى بدنة ، أهدونى فانى بدنة ، والله لا أبيعها بمال يكال ، ولا بمال يوزن ، ولا بالخلافة ، ولا بالدنيا ، انصرفوا وأتى اسحاق بن ابراهيم الموصلى باب الفضل بن يحيى فحجبه خادم اسمه نافذ مرات فلقيه الفضل فقال مالك لا تأتينا يا اسحاق ؟ فقال أتيت أعز الله الأمير فحجبنى نافذ

قال فنكه ، قال لايمكننى ، فأتى بعد ذلك فحجبه فكتب إلى الفضل :

جعلت فداك من كل سوء   إلى حسن رأيك أشكو أناسا
يحولون بينى و بين السلا   م فلست أسلّم إلا اختلاسا
وأنفذت أمرك فى نافذ   فما زاده ذاك إلا شماسا

فلقيه بعد ذلك فقال : يا اسحاق أ كان ما ذ كرت ؟ فقال بعض ذلك أصلح الله الأمير ، فضحك وتقدم أن لا يحجبه أحد إن أراد الدخول ، و إنما كان الفضل استثقل اسحاق لبأوكان فيه ، وكان الفضل أ كبر الناس كبراً ، وأعظمهم تعاظما.

وقال بعض الشعراء :

وما على المرء ما لم يأت فاحشة   فى لذة العيش لا عار ولا حرج
يا أيها اللائمى فيما لهوت به   عرّج بلومك إنى عنه منعرج

فان كره قوم المزاح فلقول أ كثم بن صيفى : المزاح يزيح بهجة الاشراف . وقال أبو سليمان الدارانى : أنا أ كره المزاح لأنه مزاح عن الحق . وقال الحسن البصرى : المزاح اختراع من الهواء . وقال ز ياد : من كثر مزاحه قل إلى النباهة ارتياحه . وقال عمر بن عبد العزيز : إياك والمزاح فانه يجر القبيحة ، و يورث الضغينة . وقال الأحنف : لن يسود مزّاح ، ولن يعظم مفا كه . وقال سعيد بن العاص لابنه : لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنىء فيجترىء عليك . وقال أبو نواس :

صار جداً ما مزحت به   رب جد ساقه اللعب

وقال ابن المعتز : من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به ، أو حقد عليه ، فانما ذلك إذا كان المزاح [غالباً] على المرء وكان المرء فيه غالياً يجريه فى كل مكان ومع كل إنسان . وقد قال عمر رضى الله عنه للأحنف : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن أ كثر من شىء عرف به ، ومن كثر مزاحه كثر سقطه ومن كثرسقطه قل ورعه ، وذهب حياؤه ، ومن ذهب حياؤه مات قلبه .

أو ينزله الممازح تعريضاً بالمعائب ، وتنبيهاً على المثالب ، فذلك المكروه

الذميم وصاحبه الملوم المليم ، وقد قال خالد بن صفوان : يسعط أحدكم أخاه بمثل الخردل ، ويقرعه بمثل الجندل ، ويفرغ عليه بمثل المرجل ، ويقول إنما كنت أمزح . وقال محمود الوراق :

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنه   فى لحن منطقه بمالا يذكر
ويقول كنت ممازحاً ومداعباً   هيهات نارك فى الحشا تتسعر
أوماعلمت وكان جهلك غالباً   إن المزاح هو السباب الأصغر

وقال ابن الرومى :

حبذا حشمة الصديق إذا ما   حجزت بينه وبين العقوق
حين لا حبذا انبساط يؤديـــه   إلى ترك واجبات الحقوق
أين منجاتنا إذا ما لقينا   من مسيغ الشجاشجى فى الحلوق

وإلا فقد قالوا : لابأس فى المزاح بغير ريبة . وكان يقال : المزاح من أخلاق ذوى الدثامة . روى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : من كانت فيه دعابة فقد برىء من الكبر . وقد قيل : المازح يقرب من ذى الحاجة اليه ، ويمكن من الدالة عليه . وما زال الأشراف يمزحون ويسمحون بما لم يغض من دياناتهم ، ولا يقدح من رواتهم . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالحنيفية السمحة » وقال عليه الصلاة والسلام : « إنى لأمزح ولا أقول إلا حقاً »

فمن مزاحه صلى الله عليه وسلم ماروى أنس بن مالك قال : كان لنا أخ يكنى أباعمير . وكان له نغر يلعب به . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزيناً فقال: « ماله ؟ » قالوا مات نغره ، فكان إذا رآه بعد ذلك قال : « ياعمير مافعل النغير » وكان رجل من أشجع يقال له زاهر بن حزام لايزال يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بالهدية من البادية والطرفة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن زاهرابادينا ونحن حاضروه » فبينما هو فى بعض أسواق المدينة إذ أتاه النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه فاحتضنه وقال : « من يشترى منى هذا العبد ؟ » فالتفت

الرجل فاذا هو برسول الله صلى الله عليه وسلم . فقبل يده وقال : تجدنى كاسداً يارسول الله . فقال : « لا لكنك عند الله ربيح » وأتت إليه صلى الله عليه وسلم امرأة فذكرت زوجها بشيء. فقال : « زوجك الذى فى عينه بياض » قال فمضت فجعلت تتأمل زوجها فقال مالك ؟ قالت قال لى النبى صلى الله عليه وسلم إن فى عينك بياضاً ، فقال : بياض عينى أكثر من سوادها .

وأما سماعه صلى الله عليه وسلم لذلك فقد روى: أن صهيباً دخل عليه وعينه وجعة وبين يديه تمر، فأقبل صهيب يأكل فقال : « أتأكل التمر وعينك وجعة ؟ » فقال إنما آكل بحذاء العين الصحيحة . فتبسم صلى الله عليه وسلم . وذكروا أن أعرابياً أتاه فألفاه مغموماً ممتقع اللون ، فقيل له لاتكلمه وهو على هذه الحالة ، فقال : لا أدعه أو يضحك . ثم جثا بين يديه فقال : يارسول الله بأبى أنت وأمى إن الدجال يخرج وقد هلك الناس جوعا فيأتيهم بالثريد ، فترى أن آكل من ثريده حتى إذا تضلعت كذبته ؟ فضحك صلى الله عليه وسلم وقال : « يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين حينئذ » وقالت أم سلمة : خرج أبو بكر رضى الله عنه فى تجارة إلى البصرة قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سويبط بن حرملة ـ وكان قد شهد بدراً ـ ونعيمان ، وكان سويبط على الزاد ، وكان نعيمان مزاحاً ، فقال له نعيمان أطعمنى ، فقال : حتى يجيء أبو بكر ، فقال أما لأغيظنك ، فمروا بقوم فقال نعيمان : أتشترون منى عبداً ؟ فقالوا نعم ! فقال إنه عبد له كلام وهو قائل لكم إنه حر فاذا قال هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا على عبدى ، فقالوا بل نشتريه ، قال فاشتروه منى بعشرة قلائص ، ثم أخذوه فوضعوا فى عنقه حبلا ، فقال سويبط : إنى حر ولست بعبد وهذا يستهزىء بكم ، فقالوا له قد خبرنا خبرك ، فانطلقوا به فجاء أبو بكر فأخبروه الخبر فاتبع القوم فرد عليهم القلائص وأخذ منهم سويبطاً ، ولما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر ، ضحك صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله . وكان سويبط قد كف بصره بعد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيه نعيمان فى المسجد وهو يقول : من يخرجنى حتى أبول ؟ قال أنا ، وأخذ بيده فمضى به إلى زاوية فى المسجد عامرة بالناس فقال له بل ههنا ، فلما كشف ثوبه صاح الناس عليه من كل ناحية ، فقال: من غرني ؟ قالوا نعيمان ، فقال لله علي لئن لقيته لأضربنه بعصاى ، فلقيه بعد أيام فقال : أتحب أن أدلك على نعيمان لتوفى نذرك ؟ قال نعم لله أبوك ! فأخذ بيده حتى أتى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يصلى فقال هذا هو ، فرفع عصاه وضربه فصاح به الناس وقالوا : أوجعت أمير المؤمنين ، فقال من قادنى ؟ قالوا نعيمان ، قال لا يغرنى بعدها . وابتاع عبد الله بن رواحة جارية وكتم ذلك امرأته ، فبلغها ذلك فالتمست كونه عندها فأخبرت بذلك ، فلما جاءها قالت له بلغنى إنك ابتعت جارية وأنك الساعة خرجت من عندها وما أحسبك إلا جنبا ؟ قال ما فعلت ، قالت : فاقرأ آيات من القرآن فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الآله مقربينا

فقالت أما إذ قد قرأت القرآن فقد علمت أنك مكذوب عليك ، وافتقدته ليلة أخرى فلم تجده على فراشها ، فلم تزل تطالبه حتى قدرت عليه فى ناحية الدار ، فقالت الآن صدقت ما بلغنى فجحدها ، فقالت : إقرأ آيات من القرآن ، فقال :

وفينا رسول الله يتلو كتابه كما انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا أثقلت بالمشركين المضاجع
واعلم علماً ليس بالظن أننى إلى الله محشور هناك فراجع

فقالت آمنت بالله وكذبت ظنى ، فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم . فضحك وقال : « هذا لعمرى من معاريض الكلام ، يغفر الله لك يا ابن رواحة

خياركم خيركم لنسائكم » وقال العجاج أنشدت أبا هريرة :

طاف الخيالان فهاجا سقما   خيال سلمى وخيال تكتما
قامت تريك رهبة أن تصرما   ساقا بخنداة وكعبا أدرما

فقال أبو هريرة : قد كان يحدى بها ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكر . وقيل لابن سيرين : إن قوماً يرون إن انشاد الشعر ينقض الوضوء فقال :

نبئت أن فتاة كنت أخطبها   عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم قال : الله أكبر ودخل فى الصلاة . وسئل عن ذلك مرة أخرى وقد استفتح الصلاة فأنشد للأعشى :

وتسخن ليلة لا يستطيع   نباحابها الكلاب إلا هريرا
وتبرد برد رداء العرو   س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

ثم كبر وصلى . وقال جرير بن حازم : كنت فى مسجد الجهاضم فقرضت بيت شعر فقالوا : ما نراك إلا قد أحدثت فتوضأ ، فذعرنى قولهم فأتيت ابن سيرين وقد قام إلى الصلاة فقلت : رويدك يا أبا بكر فقال مهيم ؟ فعرفته فقال : هلا رددت عليهم :

ديار لرملة إذ عيشنا   بها عيشة الأنعم الأفضل
وإذ ودها فارغ للصديـ   ـق لم تتغير ولم تبدل
كأن الثلوج وماء السحا   ب والقرقفية بالفلفل
وماء القرنفل والزنجبيـ   ـل شيب به ثمر السنبل
يصب على برد أنيابها   قبيل الصباح ولم ينجل

ثم قال : الله أكبر . وقيل لابن سيرين أنشد الفرع من الشعر واصلى ؟ فقال :

وانت لو باكرت مشمولة   صفراء مثل الفرس الأشقر
رحت وفى رجليك ما فيهما   وقد بدا هنّك من المئزر

وهاهنا مساجلة جرت بين أبى بكر محمد بن القاسم الانبارى وأبى العباس

عبدالله بن المعتز ، لها فى هذا الموضع موقع وهى طويلة اختصرت منها موضع الحاجة .

كتب ابن الانبارى إليه : جرى فى مجلس الأمير ذكر الحسن بن هانىء والشعر الذى قاله فى المجون وأنشده وهو يؤم قوما فى صلاة ؛ وهو إن لكل ساقطة لاقطة ، وان لكلام القوم رواة ، وكل مقول محمول . فكان حق شعر هذا الخليع أن لا يتلقاه الناس بألسنتهم ، ولا يدونونه فى كتبهم ، ولا يحمله متقدمهم الى متأخرهم ، لأن ذوى الأقدار والأسنان يجلون عن روايته ، والاحداث يفشون بحفظه ، ولا ينشد فى المساجد ، ولا يتحمل بذكره فى المشاهد ، فان صنع فيه غناء كان أعظم لبليته لأنه إنما يظهر فى غلبة سلطان الهوى ، فيهيج الدواعى الدنيئة ، ويقوى الخواطر الرديئة ، والانسان ضعيف يتنازعه على ضعفه سلطان القوى ، ونفسه الأمارة بالسوء ، والنفس فى انصبابها الى لذاتها بمنزلة كوة منحدرة من رأس رابية الى قرار فيه نار ، ان لم يحبس بزواجر الدين والحياء أداها انحدارها الى ما فيه هلكتها. والحسن بن هانىء ومن سلك سبيله من الشعر الذى ذكرناه شطّار كشفوا للناس عوارهم ، وهتكوا عندهم أسرارهم ، وأبدوا لهم مساويهم ومخازيهم ، وحسنوا ركوب القبائح. فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم . وعلى كل متصور أن يستقبح ما استحسنوه ، ويتنزه من فعله وحكايته . وقول هذا الخليع : ترك ركوب المعاصى ازراء بعفو الله تعالى ، حض على المعاصى أن يتقرب الى الله عز وجل بها تعظيما للعفو ، وكفى بهذا مجونا وخلعا داعيا الى التهمة لقائله فى عظم الدين ، وأحسن من هذا وأوضح قول أبى العتاهية :

يخاف معاصيه من يتوب ... فكيف ترى حال من لا يتوب

فأجابه ابن المعتز : لم يقل أبو نواس ترك المعاصى ازراء بعفو الله تعالى ، وإنما حكى ذلك عن متكلم غيره ، والبيت الذى أنشد له بحضرتنا :

لا تحظر العفو إن كنت امرءا حرجا ... فان حظركه بالدين ازراء

وهذا بيت يجوز للناس جميعا استحسانه والتمثل به ، ولم يؤسس الشعر بانيه

على أن يكون المبرز فى ميدانه من اقتصر على الصدق ولم يقو بصبوة ، ولم يرخص فى هفوة ، ولم ينطق بكذبة ، ولم يغرق فى ذم ، ولم يتجاوز فى مدح ، ولم يزوّر الباطل و يكسيه معارض الحق ، ولو سلك بالشعر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من المتقدمين ؛ أمية بن أبى الصلت الثقفى ، وعدى بن زيد العبادى ، إذ كانا أكثر تذكيرا وتحذيرا ومواعظ فى أشعارهما من امرىء القيس والنابغة . فقد قال امروء القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلُها ... سمو حباب الماء حالا على حال
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها ... عليه القتام سىء الظن والبال
يغط غطيط البكر سدّ خناقه ... ليقتلنى والمرء ليس بقتّال

وقال النابغة :

وإذا لمست لمست أجثم رابياً ... متحيزا بمكانه ملء اليد
وإذا طعنت طعنت فى مستهدف ... رابى المجسة بالعبير مقرمد

وهل يتناشد الناس أشعار امرىء القيس والأعشى والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة وبشار وأبى نواس على تعهرهم ، ومهاجاة جرير والفرزدق على قذعهم إلا على ملأ الناس وفى حلق المساجد ، وهل يروى ذلك إلا العلماء الموثوق بصدقهم . وقد نفى حسان بن ثابت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فما بلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم أنكر ذلك عليه فى هجائه حيث يقول :

وأنت ربيط نيط فى آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقد زعم بعض الرواة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للحارث : أنت من خير أهلى . وما نهى النبى صلى الله عليه وسلم ولا السلف الصالح من الخلفاء المهديين بعده عن إنشاد شعر عاهر ولا فاجر . ولقد أنشد سعيد بن المسيب وغيره من نظرائه تهاجى جرير وعمرو بن لحى فجعل يقول : أكله أكله . يعنى أكله جرير ولم ينكر شيئاً مما سمعه .

فأجابه ابن الأنبارى : قد صدق سيدنا أيده الله فى كل ماقال من الأشعار التى عدل قائلوها عن سنن المؤمنين المتقين ، ولم أكن أجهل أكثر ذلك إلا أنه لم يخطر ببالي ذكرما كنت أعرف منه فى وقت كتابى ما كتبت به ، وما كل ما يعرف الأنسان يحضره ، ولا تتواتى كل وقت خواطره ، على أن الذى جرى فى هذا الأمر إنما هو على سبيل التعلم والتفهم . يذكر الذاكر شيئاقد تقدم صوابه، فيحتج له وعليه فيه حجة قد تركها ، فيكشف السامع لها غطاه مستبصراً ومذكرا، فان كان الحق ضالته وجد ما ابتغى ، وغنم ما وجد ، و إن أنف من الرجوع ، واشتد عليه النزوع ، جحد ماعلم ، واحتج لما جهل ، لأن كل مطالبٍ بباطل لا يخلو من جهل بما يدعي ، أو جهل بما يعرف ، ولم يعقد أعز الله الأمير مجلس لمناظرة فى علم يعطى النظر فيه حقه إلاّ فاز المرء فيه باستفادة صواب كان يجهله ، ورجوع عن خطأ كان يعتقده. ولست أعز الله الأمير بمعصوم، ومن لم يكن معصوماً لم يكن صوابه بمضمون ، ولا زلله بمأمون . وعلى حسب ما جرى تعاق قلبى بمعرفة ما تضمنته رقعتى هذه من الأمير ، فان كان لامتنانه بتعريفى ذلك فى جواب عنها وجيه جرى فيه على عادة طوله وفضله إن شاء الله .

فأجابه ابن المعتز : إنما أحببت أعزك الله أن تكون من الأخوان الذين يتجانون ثمر التناصح فيتذاكرون فيتذكرون، و يتدارسون فيفيدون و يستفيدون ، ففتحت بينى و بينك هذا الباب آذنا لك بالولوج عليه منه ، واثقا بكمال عقلك فى المسارعة إليه ، وصنت مودتنا عن استحسان مزور ، وتعمد الجحد فى إقراره ، وماق مكاشر يظهر التصديق بلا إنكار . ولا يزال الأخوان يسافرون فى المودة حتى يلقوا الثقة فتلقى عصا التسيار ، وتطمئن بهم الدار ، وتقبل وفود النصائح ، وتؤمن خبايا الضمائر ، وتلقى ملابس التخاق ، وتحل عقد التحفظ ، وقد أبعدك الله تعالى من الخطأ لمّا أشرق نور الصواب ، ولم لا و بلى يصطرعان على الحق ، و بالتعب يوطىء فراش الراحة ، و بالبحث تستخرج دفائن العلوم ، ولا فرق بين إنسان

يقاد و بهيمة تنقاد . ولولا أن الناس اختلفوا متفرقين ، لاختلفوا متشاحّين ، ولما قصدوا بالسكنى إلا بقعة من الدنيا يتنافسون فيها ، و يتفانون عليها ، وخير الاختلاف ما اجتنب معنى التمادى على الباطل فاهتدى فيه بالتبصير . كما روى أن علياً رضى الله عنه حاجّ عمر رضى الله عنه فى المرأة التى وضعت لستة أشهر ، فأراد عمر رجمها فقال له : قد قال الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) فرجع عن ذلك عمر وأمضاه . و بالتقليد هلك مترفوا الكفار القائلون (إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون) . وقال بعضهم : إذا سرك أن تعرف خطأ مؤدبك فجالس غيره . وقال عمر رضى الله عنه : ليس شيء اضر بالمرء من الحاجة فى جهل، و إنما كان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل والبحث لشفقته على أمته من نزول معترض يثقل عليهم فيما يسألون عنه ، ثم كره عمر وعلى رضوان الله عليهما ما كان يجرى على سبيل التعنت ، و يفارق سبيل التفقه . ولذلك قال على رضى الله عنه لابن الكوا : سل تفقهاً ولا تسل تعنتاً .

٭٭٭

وقال مالك : ما رأيت أشبه بأهل المدينة من ابن سيرين ، وأهل المدينة أرق الناس أدباً ، وأحلاهم طرباً ، وأبرعهم شيما ، وأطبعهم كرماً ، و يقال دل حجازى ، وفسق يمانى . وقال اسحٰق بن ابراهيم الموصلى :

إن قلبى بالتل تلّ عزاز   مع ظبى من الظباء الجواز
شادن لم ير العراق وفيه   مع ظرف العراق دل الحجاز

وقال أبو تمام :

من شاعر وقف الكلام ببابه   واكتنّ فى كنفى ذراه المنطق
قد ثقفت منه الشآم وسهلت   منه الحجاز ورققته المشرق

وكان عبد الملك بن الماجشون يقول : لقد كنا بالمدينة و إن الرجل يحدثنى بالحديث من الفقه فيمله علىّ ، و يذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل . و يقول : لا أعطيك ملحى ، وأهبك ظرفى وأدبى . وقال ابن الماجشون : إنى

لأسمع الكلمة المليحة ومالى إلا قميص واحد فأدفعه الى صاحبها واستكسى الله عز وجل . وقيل لأبى السائب المخزومى أترى أحدا لا يتمنى النسيب ؟ قال أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

***

وكان أبو السائب كثير الطرب ، غزير الأدب ، وله فكاهات مذكورة ، وأخبار مشهورة . وكان جده يكنى أبا السائب أيضا ، وكان خليطا للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الاسلام فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا ذكره يقول : « نعم الخليط كان أبو السائب لا يدارى ولا يمارى » واسم أبى السائب عبد الله ، وكان أشراف المدينة يقدمونه و يعظمونه لشرف منصبه ، وحلاوة طربه . قال الزبير بن بكار : كانت سليمة المشاوبية عاشقة لأفلح مولى الزهريين ، فأتاها يوما أبو السائب المخزومى فقال : حدثينى هل أتاك من حبيبك رسول ؟ قالت لا . قال فهل قلت فى ذلك شعرا ؟ قالت نعم ! ثم أنشدته :

ألا ليت لى نحو الحبيب مبلغا ... يبلغه التسليم ثم يقول
سليمة نضو ما ترجّى حياتها ... من الشوق والشوق الشديد قتول
تعالج أحزانا وتبكى صبابة ... وأنت لما تلقاه فيك جهول

فقال أبو السائب : أنا والله رسولك ؛ فحفظ الشعر وتوجه نحو أفلح فى يوم صائف شديد حره فلقيه رجل من الانصار فقال : يا أبا السائب من أين أقبلت ؟ قال من عند سليمة المشاوبية ، قال والى أين تريد ؟ قال أريد أفلح مولى الزهريين أبلغه رسالتها ، قال أفى مثل هذا الوقت ؟ قال إليك يا ابن أخى ! فان الجنة حفت بالمكاره ، وما عبد الله إلا بالصبر على ما ترى .

وقال الزبير : حدثنى جدى قال أتانى أبو السائب المخزومى فى ليلة بعد ما رقد الناس فأشرفت عليه وقلت هل من حاجة ؟ فقال : سهرت فذكرت أخا لى أستمتع به فلم أجد أحدا سواك فلو مضيت بنا إلى العقيق فتناشدنا وتحدثنا ؟ قلت نعم ! فنزلت فما زال فى حديث إلى أن أنشدته فى بعض ذلك بيتى العرجى :

باتا بأنعم ليلة حتى بدا صبح يلوح كالأغر الأشقر
فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقال أعده فأعدته . فقال: أحسنت والله ! وامرأتى طالق إن نطقت بحرف حتى أرجع إلى بيتى غيره ، فمضينا فتلقانا عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب وهو منصرف من ماله يريد المدينة . فقال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلى. وقال : متى أنكرت عقل صاحبك ؟ قلت منذ الليلة ، قال لله أى كهل أصيبت به قريش ، ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمى قاضى المدينة يريد مالا له على بغلة ، وكان أثقل الناس جسما ومعه غلام له على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ، فسلم عليه ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلى وقال : متى أنكرت عقل صاحبك ؟ قلت آنفاً فتركنى وانصرف، فقلت افتدعه هكذا ؟ ما آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق ، قال صدقت ، ياغلام هات قيد البغلة فوضعه فى رجله وهو ينشد البيت و يدافع بيديه ، فلما أطال نزل الشيخ عن البغلة وقال : ياغلام أحمله على بغلتى وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته الخبر فضحك . وقال : قبحك الله ما جنا فضحت شيخاً من قريش وعذبتنى وأنا لا أقدر أتحرك .

وروى مصعب بن الزبير عن عبد الله . قال : كان عروة بن أذينة نازلا فى دارى بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه :

إن التى زعمت فؤادك ملها خلقت كما هوا لك خلقت هوى لها
فيك الذى زعمت بها فكلا كما أبدى لخلته الصبابة كلها
ولعمرها إن كان حبك فوقها يوماً وقد ضحيت إذاً لأظلها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها وأجلّها
لما عرضت مسلماً لى حاجة أخشى صعوبتها وأرجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة فى بعض رقبتها فقلت لعلها

فأتانى أبو السائب المخزومى فقلت له — بعد الترحيب والبشر — ألك حاجة ؟ قال نعم! أبيات لعروة بلغنى أنك سمعته ينشدها ؟ فلما بلغت إلى قوله : فدنا وقال لعلها معذورة، تطرب وصاح . وقال : هذا والله الصادق العهد ، الدائم الود ، لا الذى يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبة عنى فأهلى بى أضن وأرغب
أو ليس لى قربى إذا أقصيتنى حدبوا على وعندى المستعتب
فلئن دنوت لأدنين بعفة ولئن نأيت لما ورائى أرحب
يأبى وعيشك أن أكون مقصراً رأيٌ أعيش به وقلب قلّب

لقد عدا هذا الاعرابى طوره ، وتجاوز قدره ، وإنى لأرجو أن يغفر الله لصاحب الأبيات الأولى لحسن الظن بها ، وطلب العذر لها . فعرضت عليه الطعام فقال : سبحان الله أو يحسن الظن بمثلى أن يأكل طعاماً بعد سماع هذه الأبيات ؟ والله ما كنت لأخلط بها طعاماً حتى الليل ، وانصرف . والأبيات التى أنشدها أبو السائب لبعض الهذليين هى من مليح الشعر أولها :

طرقتك زينب والركاب مناخة بحطيم مكة والندى يتصبب
بثنيّة العلمين وهناً بعدما خفق السماك وعارضته العقرب
وتحية وكرامة لخيالها ومع التحية والكرامة مرحب
أنى أهتديت ومن هداك ودوننا حمل فقلة عاذب فالمرقب[1]

(١) كذا فى الأصل وفى معجم البلدان .

أنى اهتديت ومن هداك وبيننا فلج فقلة منعج فالمرقب

وحمل وعاذب أسماء أماكن ذكرها فى المعجم ، وفى المعجم تغيير فى بعض هذه الأبيات فلتراجع .

ولأهل المدينة من الارتياح إلى المزاح، والانقطاع للسماع ، ماهو مشهور عندهم، مأثور منهم . قال عبد الله بن جعفر : أنا لى عند السماع هزة لو سئلت غيرها لأعطيت ، ولو قاتلت معها لأبليت . وقال أبو العيناء : قال الأصمعى مررت بدار الزبير بالبصرة فاذا بشيخ من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ريحانة جالس بالباب وعليه شملة تستره فسلمت عليه وجلست إليه ، فبينا أنا كذلك إذ طلعت علينا سوداء تحمل قربة ، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها وقال لها : غنى صوتاً ، فقالت : إن موالى أعجلونى ، قال لا بد من ذلك ، قالت أما والقربة على كتفى فلا ، قال فأنا أحملها . فأخذ القربة منها فحملها واندفعت تغنى :

فؤادى أسير لا يفك ومهجتى تقضى و إحزاني عايك تطول
ولى مقلة قرحى لطول اشتياقها إليك وأجفانى عليك همول
فديتك أعدائى كثير وشقتى بعيد وأشياعى لديك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت لعلة فافنيت علاتى فكيف أقول ؟ !

فطرب وصرخ وضرب بالقربة الأرض فشقها ، وقامت الجارية تبكى . وقالت : ما هـذا بجزائى منك ، شفعتك فى حاجتك فعرضتنى لما أكره من موالى ! ! فقال : لا تغتمى فالمصيبة علىّ حصلت ونزع الشملة ووضع يداً من قدام ويداً من خلف ، و باعها وابتاع لها قربة وقعد بتلك الحال فاجتاز به رجل من ولد على رضى الله عنه فعرف حاله فقال : يا أبا ريحانة أحسبك من الذين قال الله عز وجل فيهم : (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قال لا يا ابن رسول الله ولـكنى من الذين يقول الله لهم : (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) . فضحك وأمر له بألف درهم.

وقال رجل لابن جعدية : يا أبا الحكم الرجل الذى يشدو بالأصوات ما ترى فيه ؟ قال : سبحان الله كنا إذا أتت على الرجل أربعون سنة لا يحسن عشرة أصوات عددناه من أهل بقيع الغرقد ـ يعنى الموتى ـ . ومر بالأوقص المخزومى ـ وهوقاضى المدينة ـ يتغنى بليل فأشرف عليه وقال : ياهذا شربت حراماً ، وأيقظت

نياماً ، وغنيت خطأ ، خذ عنى وأصلح له الغناء . وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد حدثت أن مدنياً كان يصلى مذ طلعت الشمس إلى أن قارب النهار ينتصف ومن ورائه رجل يتغنى وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا برجل من الشرطة قد قبض على الرجل فقال أترفع عقيرتك بالغناء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فأخذه فانفتل المدينى من صلاته فلم يزل يطاب فيه حتى استنقذه ثم أقبل عليه فقال : أتدرى لما شفعت فيك ؟ قال : لا ولكنى أخالك رحمتنى . قال : إذا فلا رحمنى الله ، قال : فأحسبك عرفت قرابة بيننا ، قال : إذا قطعها الله ، قال فليد تقدمت منى إليك ، قال والله ولا عرفتك قبلها . قال : فأخبرنى . قال سمعتك تغنيت آنفاً فأقمت واوات معبد ، أما والله لو أسأت التأدية لكنت أحد الأعوان عليك . قال : والصوت الذى ينسب إلى واوات معبد شعر الأعشى الذى يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيبانى وهو :

هريرة ودعها وإن لام لائم　　غداة غد أم أنت للبين واجم
لقد كان فى حول ثواء ثويته　　تقضى لبانات ويسأم سائم

ويروى أن معبدًا بلغه أن قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن. فقال: لقد غنيت بخمسة أصوات هن أشدا من فتح المدائن التى فتحها قتيبة . والأصوات قال المبرد أحدها ، للأعشى يعاتب يزيد بن مسهر الشيبانى : هريرة ودعها وإن لام لائم. فأنشد البيتين ، والثانى، قوله يعاتبه :

ودع هريرة إن الركب مرتحل　　وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
غيداء فرعاء مصقول عوارضها　　تمشى الهوينا كما يمشى الوحى الوجل

والثالث ، للشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان يقوله لعرابة بن أوس :

رأيت عرابة الأوسى ينمى　　إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد　　تلقاها عرابة باليمين
إذا بلغتنى وحملت رحلى　　عرابة فاشرقى بدم الوتين

والرابع، لعمر بن أبى ربيعة :

ودع أمامة قبل أن تترحلا　　واسأل فان قليل أن لا تسألا
أمكث لعمرك ساعة فسآتها　　فعسى الذى بخلت به أن يبذلا
لسنا نبالى حين ندرك حاجة　　إن بان أو ظل المطي معقلا

قال أبو العباس : والشعر الخامس لاأعرف قائله . قلت وهو لعروة بن أذينة الليثى :

غراب وظبى أعضب القرن ناديا　　ببين وصردان العشى تصيح
لعمرى لئن شطت بعتمة دارها　　لقد كنت من خوف الفراق أليح

* * *

وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عثمان بن حبان المرى : إحص المخنثين فوقعت فوق الحاء نقطة فأخذهم وخصاهم وفيهم الدلال[1]. فبلغ ذلك ابن أبى عتيق وقد قام إلى الصلاة فقال : أو قد خصى الدلال[1]؟ إنا لله لقد كان يحسن أن يغنى :

لمن طلل بذات الجيـ　　ـش أمسى دارساً خلقا

ثم دخل فى الصلاة ، فلما فرغ من قراءة أم الكتاب قال السلام عليكم ، وكان يحسن خفيف هذا الشعر ولا يحسن ثقيله .

* * *

ولابن أبى عتيق عجائب ظريفة أذكر لك منها ما يصلح ويملح ، منها أنه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبى ربيعة :

فما نلت منها محرما غير أننا　　كلانا من الثوب المطرف لابس

فقال : أبنا يلعب ابن أبى ربيعة ؟ فأى محرم بقى ؟ ! فركب بغلته متوجها الى مكة ودخل أنصاب الحرم ، وقيل له أحرم! قال : إن ذا الحاجة لا يحرم . فلقى ابن أبى ربيعة فقال: أما زعمت أنك لم تركب محرما قط ؟ قال بلى ! قال: فما قولك كلانا من الثوب البيت ؟ فقال له إنى أخبرك : خرجت بعلة المسجد فصرنا الى بعض الشعاب فأخذتنا السماء ، فأمرت بمطرفى فسترنا الغلمان لئلا يروا بها بلة فيقولوا

---

(١) - (١) كذا فى الأصل والمحفوظ الدلدل . هذا خطأ والأصل هو الصواب

لها هلا استترت بسقائف المسجد ؟ فقال له ابن أبى عتيق : يا عاهر هذا البيت يحتاج الى حاضنة ؟ ! وابن أبى عتيق الذى سمع قول ابن أبى ربيعة :

قال لى صاحبى ليعلم ما بى   أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدى بها كوجدك بالما   ء اذا فقدت برد الشراب
إن هفت أم نوفل إذ دعتها   مهجتى ما لقاتلى من متاب
ابرزوها مثل المهاة تهادى   بين خمس كواعب أتراب
ومنى مكنونة تحير منها   فى أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا   عدد الرمل والحصى والتراب
من رسولى الى الثريا بأنى   ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

فلما سمع هذا البيت قال : إياى أراد وبى هتف ونوه ، والله لا ذقت طعاما أو أشخص اليها وأصلح بينهما . قال مولى لبنى تميم : فنهض ونهضت معه حتى خرج الى سوق الضمرتين فأتى قوما من بنى الدئل من حنيفة يكرون النجائب ، فقال : بكم تكرونى راحلتين الى مكة ؟ قالوا بكذا وكذا ، فقلت لبعض التجار استوضعوا شيئا ، فقال ابن أبى عتيق : ويحك إن المكاس ليس من اخلاق الناس ، ثم ركب واحدة وركبت الأخرى وأجد السير فقات أرفق بنفسك فقال ويحك : أبادر حبل الوصل أن يتقضبا ، وما أملح الدنيا اذا تم الوصل بين عمر والثريا . فقدمنا مكة وأتى باب الثريا فقالت والله ما كنت لنا زوارا ؟ قال أجل ! ولكنى جئت برسالة ؛ يقول لك ابن عمك عمر : ضقت ذرعا بهجرك والكتاب ، فلامه عمر فقال ابن أبى عتيق : إنما رأيتك مبادرا تلتمس رسولا فخففت فى حاجتك ، فأنما كان ثوابى أن أشكر . وسمع ابن أبى عتيق قول العرجى :

وما ليلة عندى وإن قيل ليلة   ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
معادلة الاثنين عندى وباطلا   يكون سواء مثلها ليلة القدر
وما أنسها الأشياء لا أنس قولها   لخادمها قومى سلى لى عن الوتر

فجاءت تقول الناس فى تسع عشرة ولا تعجلى عنه فانك فى أجر

فقال : هذه أفقه من ابن شهاب ، وهى حرة لله عز وجل من مالى إن أجاز أهلها ذلك . وقال له مروان بن الحكم يوما : إنى مشغوف ببغلة للحسن بن على ، قال له : فأن دفعتها إليك أتقضى لى ثلاثين حاجة ؟ ومروان يومئذ أمير المدينة ، قال : فاذا اجتمع الناس عندك فى العشية فانى آخذ فى مآثر قريش فأمسك عن الحسن فامنى على ذلك ، فلما أخذوا فى مجالسهم أفاض فى أولية قريش فقال له مروان : أما تذكر أولية أبى محمد وله فى هذا ماليس لأحد ؟ فقال: إنما كنا فى ذكر الأشراف ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقد منا لأبى محمد ، فلما خرج الحسن ليركب البغلة تبعه ابن أبى عتيق . فقال له الحسن : — وتبسم — ألك حاجة ؟ قال نعم! ذكرت البغلة ؟ فنزل الحسن ودفعها اليه .

ومن ظريف أخباره ان عثمان بن حبان المرى لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع اليه الأشراف من قريش والأنصار . فقالوا : إنك لا تعمل عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والزنا . ففعل وأجلهم ثلاثا ، فقدم ابن أبى عتيق فى الليلة الثالثة فحط رحله بباب سلامة الزرقاء فقال لها : بدأت بك قبل أن أصير الى منزلى. فقالت: أو ما تدرى ماحدث ؟ وأخبرته الخبر . فقال أقيمى الى السحر حتى ألقاه ولا بأس عليك ، ثم مضى الى عثمان بن حبان فاستأذن عليه وأخبره أن أجل ماأقدمه حب التسليم عليه ، وقال له من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والزنا ، فقال: إن أهلك أشاروا على بذلك ، قال : فانك قد وفقت ولكنى رسول امرأة إليك تقول كانت هذه صناعتى فبنت منها وأنا أسألك أيها الأمير أن لا تحول بينى و بين مجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عثمان : إذا أدعها لك ، قال اذا لا تدعك الناس ، ولكن تدعوها فتنظر إليها فان كانت ممن يترك تركتها ، قال فادع بها فأمرها ابن أبى عتيق فتقشفت وأخذت سبحة فى يديها وصارت اليه فحدثته عن مآثر آبائه ففكه لها ، فقال ، ابن أبى عتيق : اقرئى للأمير ففعلت فأعجب بذلك ، فقال لها فاحدى للأمير ففعلت فاعجب بحدائها ، ثم قال لها غنى .

للأمير فجعل يعجب بذلك ، فقال له ابن أبى عتيق: فكيف لو سمعتها فى صناعاتها ؛ فقال قل لها فلتقل ! فأمرها فغنت :

سددن خصاص الخيم لما دخلنه بكل بنان واضح وجبين

فنزل عثمان عن سريره حتى جلس بين يديها ، ثم قال : والله ما مثلك يخرج عن المدينة . فقال له ابن أبى عتيق : يقول الناس أذن لسلامة فى المقام ومنع غيرها !! فقال عثمان : قد أذنت لهم جميعا .

وابن أبى عتيق: هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم ، وكان أجل أهل زمانه . وذكر أنه دخل على عائشة وهى لما بها ، فقال: كيف أنت يا أماه جعلت فداك ؟ قالت: فى الموت ، قال فلا إذاً ، إنما ظننت أن فى الأمر فسحة ، فضحكت وقالت ماتدع مزحك بحال ! !

* * *

وقال ابن جريج : كان عبد الله بن جعفر إذا قدم على معاوية أنزله داره وأظهر له من إكرامه وبره ما يستحقه ، فكان ذلك يغيظ فاختة بنت قرظة ابن عبد بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف زوج معاوية ، فسمعت ذات ليلة عند عبد الله غناء فجاءت إلى معاوية فقالت : هلّم فاسمع مافى منزل هذا الذى جعلته بين لحمك ودمك ، وأنزلته مع حرمك ! قال فجاء معاوية فسمع وانصرف ، فلما كان آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله فجاء فأيقظ فاختة وقال : اسمعى مكان ما أسمعتنى ! ! ثم إنه أرق ذات ليلة فقال لجريج خادمه اذهب فانظر مَنْ عند عبد الله وأخبره أنى فى أثرك ، فأتاه فأعلمه ذلك فأقام عبد الله مَنْ عنده ، ثم دخل معاوية فلم ير فى المجلس أحداً ، فقال لعبد الله : مجلس من هذا ؟ قال مجلس فلان ، قال فمره أن يرجع إليه ، ثم قال مجلس من هذا ؟ قال مجلس فلان ، قال فمره أن يرجع إليه . فرجعوا حتى لم يبق إلا مجلس واحد ، قال مجلس من هذا ؟ قال مجلس واحد يداوى الآذان ، قال مره فليرجع فان بأذنى علة ، فأمر عبد الله بديحا المليح فخرج فأدناه معاوية منه وأراه أذنه . وقال : أنظر ما ترى فيها ؟

قال : هى مسدودة وتحتاج إلى فتح وتنقية ، قال : شأنك أمكنتك منها ، ولا تضع يدك عليها إن كنت غير حاذق بعلاجها ، قال عبد الله : يا أمير المؤمنين هو حاذق مايعالج من فى دارنا غيره ، فقال معاوية : وشهد شاهد من أهلها ، فاندفع يغنى من شعر زهير بن أبى سلمى :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم　　بحومانة الدرّاج فالمتثلم

فجعل عبد الله بن جعفر يلحظ معاوية وهو يحرك يديه ورجليه ، فقال : يعيرك الجهل يا أمير المؤمنين ، فقال : إن الجهل منى لعلى بُعْدٍ يا ابن جعفر ، قبح الله ضيافة يكون الضيف فيها بحيث لا يساعد المضيف على أخلاقه ، ثم قال لبديح : لقد فتحت جارحة لا تألم أبدا ، ثم نهض وخرج .

* * *

وكان بديح أحلى الناس وأذكاهم ، وهو الذى قال له الوليد بن يزيد : يا بديح خذ بنا فى الأمانى فأنى أغلبك فيها ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا أغلبك لأنى فقير وأنت خليفة ، وإنما يتمنى المرء ماعسى أن يبلغ إليه وأنت قد بلغت الآمال ، قال لا تتمنى شيئا الا تمنيت ما هو أكثر منه ، قال : فانى أتمنى كفلين من العذاب وأن يلعننى الله لعنا وبيلا ، فقال أعزب لعنك الله دون خلقه .

ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وقد اشتكى عرق النسا ، فقال : يا أمير المؤمنين إن مولاى بديحا أحذق الناس برقيته ، قال : أتجيئنى به فجاءه به فرقاه فبات تلك الليلة هادئاً ، فلما أصبح سأله عبد الله بن جعفر عن حاله فأخبره بماوجد من العافية ، ثم قال لبديح : أكتب لنا هذه الرقية لتكون عندنا ، قال لا أفعل قال أقسمت عليك لتفعلن ، قال أكتب :

ألا إن أيامى وأيامك التى　　مضين لنا لم أدر ما ألم الهجر
مضين وما شىء مضى لك عائد　　فهل لك فيها إن تولين من عذر
دعى مامضى واستقبلى العيش إننى　　رأيت لذيذ العيش مستقبل العمر
فما نازع الدهر امرءا فى انقلابه　　فأعتبه إلا بقاصمة الظهر

فقال عبد الملك : فأى شيء هـذا ؟ قال امرأتى طالق إن كنت رقيتك إلا بهذه ! قال ويحك أستر علينا ، قال كيف أستر ماسارت به الركبان ؟

* * *

قال أبو مسلم الهلالى المكى حدثنى أبى عن أبيه قال : أتيت عبد العزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجن للنبي صلى الله عليه وسلم بمسجد الأحزاب وما كان بدؤها ؟ فوجدته مستلقياً يتغنى :

فما روضة بالحزن معشبة الثرى　　يمج النـدى جثجاثها وعَرارها
بأطيب من أردان عزّة موهناً　　إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها
من الخفرات البيض لم تلق شقوة　　و بالحسب المكنون ضاق نجارها
إذا خفيت كانت لعينك قرة　　و إن تبـد يوماً لم يعمّك عارها

فقلت له: مثلك أصلحك الله يتغنى ؟! أما والله لأحدون بها ركبان نجد ، فعاود يتغنى :

فما ظبية أدماء خفّاقة الحشا　　تجوب بظلفيها متون الخمائل
بأحسن منها إذ تقول تدللا　　وأدمعها يجرين حشو المكاحل
تمتّع بذا اليوم القصير فإنه　　رهين بأيام الشهور الأطاول

فندمت على قولى وقلت : أتحدثنى فى هذا بشيء ؟ قال نعم ! حـدثنى أبى أنه دخل على سالم بن عبدالله وأشعب الطماع يغنيه :

مغيرية كالبدر سنة وجهها　　مطهرة الأثواب والدين وافر
من الخفرات البيض لم تلق ريبة　　ولم يستزلها عن تقى الله شاعر
لها حسب ذاكٍ وعرض مهذب　　وعن كل مكروه من الأمر زاجر

فقال سالم : زدنى ، فغنى :

ألمّت به والليـل داج كأنه　　جناح غراب عند ما نفض القطرا
فقلت أعطار ثوى فى رحالنا　　وما حملت ليلى سوى نشرها عطرا

فقال له سالم : أما والله لولا أن تداوله الرواة لأحسنت جائزتك ، لأنك من هذا الأمر بمكان .

وقال ابراهيم الحرانى : حججت مع أمير المؤمنـين الرشيد فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا بين القبر والمنبر إذ أنا برجل حسن الهيأة خاضب ومعه رجل فى مثل حاله ، فحانت منى التفاتة فاذا هو يقوّس حاجبيه و يفتح فاه و يلوى عنقه و يشير بعنقه ، فتجوزت فى صلاتى ثم سلمت فقلت أفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تتغنى ؟ ! فقال : قنعك الله خزيه ما أجهلك أما فى الجنة غناء ؟ قلت بلى لعمرى فيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، قال : أما نحن فى روضة من رياض الجنة ؟ قلت لا ! قال: واحرباه أترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » فنحن فى تلك الروضة ، قلت قبح الله شيخاً ما أسفهه ! قال : بالقبر والمنبر لما أنصت إلىّ ؟ فتخوفت أن لا أنصت ؛ فاندفع يغنى بصوت يخفيه :

فليس عشيات الحمى برواجع إليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينىَ اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعـد الحلم أسبلتا معا

— الشعر للصمة بن عبدالله القشيرى — فوالله إن قمت إلى الصلاة لما دخل قلبى ، فلما رأى مانزل بى قال : يا ابن أم أرى نفسك قد استجابت وطابت فهل لك فى زيادة ؟ قلت : ويحك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ! قال : أنا والله أعرف بالله ورسوله منك ، فدعنا من جهلك ثم تغنى :

فلو كان واش بالمـدينة داره وداري بأقصى حضرموت اهتدى ليا
وماذا لهم لا أحسن الله حفظهم من الشأن فى تصريم ليلى حباليا ؟؟

— الشعر لمجنون بنى عامر الملوح — فقال له صاحبه : يا ابن أم أحسنت والله وعتق مايملك لو كان أمير المؤمنين الرشيد فى هذا الموضع لخلع عليك ثيابه طرباً ، قال: فقمت وهما لايعلمان من أنا فدخلت على أمير المؤمنين فأعلمته الخبر ، فقال: أدركهما لايفوتانك ، فوجهت من جاء بهما فلما دخلا عليه دخلا بوجوه قد ذهب ماؤها وأنا قائم على رأسه ، فقال يا ابراهيم : هذان هما ؟ قلت نعم فنظر إلىّ المغنى

منهما وقال: سعاية فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فسرى عن أمير المؤمنين بعض غضبه وتبسم فقال : ما كنتما فيه ؟ قالا فى خير ، قال فماذا الخير ؟ فسكتا. فقال للمغنى منهما من أنت ؟ فابتدره جماعة فقالوا : يا أمير المؤمنين هذا ابن جريج فقيه مكة ، فقال فقيه مكة يتغنى فى مسجد رسول الله صلى عليه وسلم ! ! قال يا أمير المؤمنين لم يكن ذلك منى بالقصد للغناء ولكنى كنت أسمعت هـذا المخزومى — يعنى صاحبه — صوتين فلم يزالا فى قلبى حتى التقينا فأحببت أن يأخذهما عنى فأخذهما وحلف أنى قد أحسنت ، وأنه لو كان فى الموضع أمير المؤمنين لخلع على ، وسكت . فقال الرشيد : تركت من الحديث شيئاً ؟ قال : ما تركت شيئا يا أمير المؤمنين . قال والله لتقولن ، قال : يا أمير المؤمنين زعم أنك لو كنت فى موضعه لخلعت علىّ ثيابا مشقوقة طرباً ، فتبسم وقال : أما هذا فلا ولكن نخلعها عليك صحيحة فهى خير لك ، ثم دعا بثياب فلبسها ونبذ إليـه ثيابه وأمر له بعشرين ألف درهم ولصاحبه بعشرة آلاف درهم . وقال : لا تعودن لهذا ، فقال صاحبه : إلا أن يحج أمير المؤمنين ثانية . فضحك وقال : ألحقوه بصاحبه فى الجائزة .

قال ابراهيم الحرانى : ثم قدمنا مكة فانى لفى سوق القسى أساوم بقوس عربية بكنانتها إذا بانسان عن يمينى يقول : نعم القوس فى يدك ، قلت أريد أبسط منها قليلا ؟ قال فعندى بغيتك إئت المنزل ، فصرت إليه فأخرج إلى قوساً جيدة لينة حسنة الصنعة ، قلت: نعم ! هـذه أريد فكم ثمنها ؟ قال عشرة دنانير ، قلت ياهذا أغرقت فى النزع ، قال هذا سومى فهات سومك أنت ، قلت بدينارين فأحد النظر وقال وآتيك ؛ فالذى كان يجب للطبيعة أن تأتى به [1] تحول فصار ضحكا . فقلت غضب الله عليك تطلق لسانك فى حرم الله وأمنه فى أيام عظيمة ، فأنت بمثل هذا السن

(١) يريد من الغضب والحرد .

تتكلم بهذا الكلام ! ! فقال : هو ما قلت لك إنما هو بيع وشراء فلا تغضب فانى لم أغضب من عطيتك . قال : ففارقته ودخلت على أمير المؤمنين فقلت ياسيدى ههنا خبر أعجب من خبر ابن جريج ! ! وحدثته الحديث فقال : إرجع وجئنى به فوجهت غلاماً كان معى وأنا أساومه ومعه أعوان فجاءوا به ، فلما دخل عليه قال هذا صاحبك يا ابراهيم ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : ماذا قلت لهذا حين ساومك بالقوس ؟ قال قد دار بينى و بينه كلام ، قال أخبرنى به ، قال لست منى على سوم فأخبرك قال فماذا قال لك ؟ قال هو أعلم بما قال ، فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين اخرج إلى قوساً عربية بكنانتها فقلت بكم هذه قال بعشرة دنانير قلت أسرفت فخذ منى دينارين قال: وآتيك قال الرشيد كذا كان؟ قال نعم ياأمير المؤمنين إنما هذا شراء و بيع ولم يتم لى بيعها بما أعطانى وظننت أن بضاعته قليلة فقلت آخذ دينارين وعروضاً بالباقى ، فضحك الرشيد حتى تبسط . ثم قال : قاتلك الله فما أقبح مجونك ووصله . قال ابراهيم : فلما انصرفنا خارجين عن مكة مررت به فوقفت عليه وسلمت عليه . فقال ما ترى فى تيك القوس ألك فيها رأى ؟ قلت أما على شريطتك الأولى فلا ، قال فلا بأس فخذها منى بدينارين وغنى لى ثلاثة أصوات ، أو خذها بخمسة وأغنيك أربعة أصوات ، ثلاثة لمعبد وواحد لابن عائشة كان يفعل فيه ما أحل الله وحرم ، قلت هذا وحده . فاندفع يغنى :

وخطا بأطراف الأسنة مضجعى ورد على عينىَّ فضل ردائيا

— الشعر لمالك بن الذئب المازنى — فأجاده ما شاء وحسنه[1] . فقلت : لولا أن أمير المؤمنين قد قدمت له دابته لوقفت عليك ، فقال امض عليك السلام و إن كان فى القلب ما فيه إذ بخلت على أخيك بضمة أو ضمتين ، قال : مالك لعنك الله !! وفارقته وحدثت أمير المؤمنين بما قال فقال : ياابراهيم تجد بالعراق طولا وعرضاً واحداً له ما لأهل الحرمين[2] من الذكاء والظرف ؟ قلت لا أعرف موضعه .

(١) فى الأصل : فأجازه وهو تحريف . (٢) فى الأصل : الحمير .

وقال الأصمعى : أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة ـ وكان أعقل من رأيته — :

يا أيها السائل عن منزلى　　نزلت بالخان على نفسى
يغدوا علىّ الخبز من خابز　　لا يقبل الرهن ولا ينسى
آكل من كيسى ومن كسونى　　حتى لقد أوجعنى ضرسى

فقال : اكتب لى الأبيات . فقلت أصلحك الله هذا لا يشبه مثلك، إنما يروى مثل هذا الاحداث ، قال : اكتبها لى فالأشراف يعجبهم الملح . وقد قال الطائى فى عمرو بن طوق التغلبى :

الجد شيمته وفيه فكاهة　　سمح ولا جد لمن لم يلعب
شرس و يتبع ذاك لين خليقة　　لاخير فى الصهباء مالم تقطب

وقال فى الحسن بن وهب :

لله أيام خطبنا لينها　　فى ظله الخندريس السلسل
بمدامة نغم السماع خفيرها　　لا خير فى المعلول غير معالل
يعشو عليها وهو يجلو مقلتى　　بأزق ينقل وهو غير منقل
لا طائش تهفو خلائقه ولا　　خشن الوقار كأنه فى محفل
فكه يجم الجد أحياناً وقد　　ينضى و يهزل عيش من لم يهزل

وقال أبو الفتح على بن محمد البستى :

أفد طبعك المكدود بالهم راحة　　براح وعلله بشىء من المزح
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن　　بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

* * *

وهذا حين ابتدىء متصرفا بك من بلاغة خطاب ، إلى براعة جواب ، وصريح منادرة ، إلى مليح مهاترة ، وغريب مراجعة ، إلى عجيب منازعة . وتشبيه واقع ، إلى مثل صادع ، وغير ذلك مما يحيي موات القلوب ، و يشفى نجى

الكروب ، مما تجذل له الخواطر ، وترتاح إليه السرائر ، وتنفتح به الأسماع ، وتنشرح له الطباع .

فما مر بك من هذه النوادر[1] فلا تنظر اليها نظر المنكر فتعرض عنها صفحاً ، وتطوى دونها كشحاً . إذا وقعت فيها كلمة قذف ، أو لفظة سخف . وتقول قد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لغلامه : — ورأى روث دابة — نح ذلك النفيل ؟ تصونا عن اسم الروث . وقال : عرضت لى دمل تحت يدى فآلمتنى ولم يقل تحت إبطى . وكان الحجاج على قبح أفعاله ، وسوء أحواله ، يتنزه عن أن ينطق بلفظة سخيفة . وقد قال لمن اتهمه بمال ابن الأشعث : لو خبأته تحت ، حتى قال تحت ذيلك لم يكن بد من إخراجه . وإنما أراد أن يقول تحت استك .

وأكثر القاذورات وردت بالكنايات ؛ كالغائط وهو المطمئن من الأرض . وكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة ذهبوا إلى ذلك الموضع فسمى مايخرج من الانسان باسم موضعه . وكذلك الاستنجاء أيضاً مأخوذ من النجو وهو المكان المرتفع لاستتارهم وراءه . والحش البستان ، والعذرة فناء الدار ، وكذلك وصفهم اطيب الأردان وهى الأكام وإنما يراد ماتحتها ، وإنما ذلك كله للفرار من النطق باسماء الأقذار .

وليس فى كل موضع أعزك الله تحسن الكنايات عن لفظ فحش ، ولا بكل مكان يجمل الإعراض عن معنى وحش . فيكون كما حكى الجاحظ : أن رجلا بعث غلامه إلى غريم له فأساء الغلام خطابه فخرق الغريم ثيابه ، فرجع إلى مولاه فقال مالك ؟ قال شتمك يامولاى فلم احتمل الصبر فرددت عليه فخل بى ماترى ، قال وما كان شتمه ؟ قال قال لى : ادخل هنّ الحمار فى حر أم من أرسلك . فقال له مولاه : دعنى عنك مماجرى ؛ ولكن لِمَ لَمْ تجعل لى من الوقار ماجعلته لأير الحمار حين كنيت عن ذا ولم تكن عن ذا ! !

---

(١) فى الأصل : فما مر به الخ .

فلو صرح بالجميع لكان أسلم له من الذنب، وآمن من العتب. وقد قال أبو فراس الحمدانى لرسول أرسله إلى من يهواه فجفا فى جوابه فلطف الرسول رسالته فتبين أبو فراس ذلك فأنشد:

وكنى الرسول عن الجواب تظرفا　　ولئن كنى فلقد علمنا ماعنا
قل يارسول ولا تحاش فانه　　لابد منه أسا بنا(١) أم أحسنا
الذنب لى فيما جناه لأننى　　مكنته من مهجتى فتمكنا

أخذه بعض المتأخرين فقال:

يارسولى خل عنك الظـــرف إن كنت رسولا
لاتقل مالم يقله　　واشف بالصدر الغليلا

وهذا و إن لم يكن من محض هذا الباب، إذ كان إنما يستطاب لأنه من الأحباب. كقول الآخر:

أتانى عنك شتمك لى وسبى　　أليس جرى يفيك اسمى فحسبى

وكما قال منصور النمرى:

لايطيب الهوى ولا يحسن الحـــب لخلق إلا بخمس خصال
لسماع الهوى وعـذل فصيح　　وعتـاب　　وهجرة وتقـالى

وكقول الآخر:

دع الحبَّ يصلى بالأذى من حبيبه　　فان الأذى ممن يُحبُّ سرور
غبار قطيع الشاء فى عين ربّها　　إذا ماتلا آثارهن ذرور

وقول الآخر:

لولا طراد الخيل لم تك لذة　　فتطاردى لى بالوصال قليلا
هذا الشراب أخو الحياة وماله　　من لذة حتى يصيب غليلا

فهو يلم ببعض جهاته، و يتطرف بأحدى خبياته(٢).

(١) فى ديوانه: أساء بى الخ. (٢) كذا: ولعله جنباته.

وفى مثل التهاتر يمكن قول العتبى فيما سهل سبيله من ترك الإعراض عما كان مثله بالقول لقائله كالولد لناجله: ماعلى مبصره أن يراه شريراً فا تكادون أن يراه وقوراً ناسكا. و إنما تلزم عمدته ، وتعود عهدته ، فى سخفه وجهله ، على نفسه وأهله . وقد قال بعض الظرفاء :

إنمـا للنـاس منّا   حسن خلق ومزاح
ولنا ما كان فينا   من فساد أو صلاح

ولو كنت هنا إنما آتى بما فيه ركانة و إصالة ، دون مافيه سخافة ورذالة : لأزال عن الملح اسمها ، وارتفع عنها وسمها ، وخرجت عن حدودها ، وأفلتت من قيودها . ولا بد من توشيحه بلطائف من الجد ، وظرائف من القصد ، تتعلق بأغصانه ، وتتشبث بأفنانه ، ليكون استراحة للناظر ، و إجماماً للخاطر ، كما يمل الجد ، فيدخل فيه الهزل . وكذلك يمل الرقيق فيحتاج إلى الجزل . والله أستغفر مما شغل به الخاطر ، وأتعب له الناظر ، وصرف اليه الفكر ، واستخدم فيه السر . مما غيره أعم فائدة ، وأتم عائدة ، فهو الرءوف الرحيم ، والجواد الكريم .

***

قيل لأشعب الطماع : لقد لقيت التابعين وكثيراً من الصحابة فهل رويت مع علو سنك حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم ! حدثنى عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خلتان لاتجتمعان فى مؤمن » قيل وما هما ؟ قال نسيت واحدة ونسى عكرمة الأخرى . وقيل له: كم كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر رطلا . وهذا كما قيل لطفيلى كم اثنين فى اثنين ؟ قال أربعة أرغفة . وسألته صديقة له خاتماً وقالت له أذكرك به ، قال اذكرى : أنك سألتنى فمنعتك . وساوم بقوس بندق فقال صاحبها بدينار ، فقال : والله لو كنت إذا رميت بها طائراً وقع مشوياً بين رغيفين ما اشتريتها بدينار . وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤى إلى اسماعيل الأعرج

فالوذجة وأشعب حاضر فقال : كل يا أشعب ، فأكل منها فقال له كيف تراها ؟ قال : الطلاق يلزمه إن لم تكن عملت قبل أن يوحى ربك إلى النحل . أى ليس فيها حلاوة .

وبأشعب هذا يضرب المثل فى الطمع . قال الشاعر :

إنى لأعجب من مطالك أعجب ... من طول ترداد إليك وتكذب

وتقول لى تأتى وتحلف كاذباً ... فأجىء من طمع إليك وأذهب

فاذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس ... قالوا مسيلمة وهذا أشعب

وقيل له : أرأيت أطمع منك ؟ قال نعم كلبة آل أبى فلان رأت شخصاً يمضغ علكا فتبعته فرسخاً تظن أنه يرمى لها بشىء من الخبز . ومر أشعب برجل يعمل طبقاً من الخيزران . فقال له : أريد أن تزيد فيه طوقاً أوطوقين ، قال فما فائدتك ؟ قال : لعل أحدا من أشراف المدينة يهدى لنا فيه شيئاً .

وكان أشعب يعشق امرأة بالمدينة ويتحدث فيها حتى عرف بها فقال لها جاراتها : لو سألته شيئاً ؟ فأتاها يوماً فقالت إن جاراتى يقلن ما يصلك بشىء ، فخرج عنها ولم يقربها شهرين، ثم أتاها فأخرجت له قدحا فيه ماء فقالت له اشرب هذا للفزع! فقال : بل أنت اشربيه للطمع ، ومضى فلم يعد إليها.

وأشعب هذا : هو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير وكان أحلى الناس مفاكهة . قال الزبير بن بكار أهل المدينة يقولون : تغير كل شى من الدنيا إلا ملح أشعب، وخبز أبى الغيث ، ومشية برة. وكان أبو الغيث يعالج الخبز بالمدينة ؛ وبرة بنت سعد بن الأسود وكانت من أجمل النساء وأحسنهن مشية ، وكان أشعب قد نشأ فى حجر عائشة بنت عثمان بن عفان رضى الله عنه مع أبى الزناد(١) .

---

(١) أبو الزناد : هو عبد الله بن ذكوان الأموى مولاهم المدنى يكنى أبا عبد الرحمن كان أحد الأئمة . قال البخارى : أصح الأسانيد أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة وقال الليث رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاثمائة طالب . قال الواقدى : مات فجأة سنة ثلاثين ومائة . مصححه

قال أشعب : فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا الغاية . قال : وأسلمته عائشة إلى من يعلمه البز فسألته بعد سنة أين بلغت ؟ قال : نصف العمل و بقى نصفه ، قالت له كيف ؟ قال : تعلمت النشر و بقى الطى .

وكان أشعب أطيب الناس غناء وأكثرهم ملحاً، ونسك فى آخر عمره ومات على ذلك رحمه الله تعالى. وكان يوم قتل عثمان غلاماً يسقى الماء و بقى إلى خلافة المهدى. وخرج سالم بن عبد الله متنزهاً إلى ناحية من نواحى المدينة ومعه أهله وحرمه ، فبلغ أشعب الخبر فوافاهم يريد التطفيل ، فصادف الباب مغلقا ، فتسور الحائط عليهم . فقال له سالم : و يلك يا أشعب معى بناتى وحرمي ! فقال له أشعب : (لقد علمت مالنا فى بناتك من حق و إنك لتعلم ما نريد) . فضحك منه وأمر له بطعام أكله وحمل منه إلى منزله . وكان يقول ما أحسست قط بجار لى يطبخ قدرا إلا غسلت الغضارة وكسرت الخبز وانتظرته يحمل إلى قدره . وقال له بعض أصحابه : لو صرت إلىّ العشية نتحدث ؟ فقال: أخاف أن يجىء ثقيل، قال ليس معنا ثالث فمضى معه . قال : فلما صلينا الظهر ودعونا بالطعام إذا بشخص يدق الباب فقال أشعب: ترى أنا قد صرنا إلى ما نكره ؟ قال فقلت له إنه صديق وفيه عشر خصال إن كرهت واحدة منهن لم آذن له ، قال : هات ، قلت : الأولى أنه لا يأكل ولا يشرب ، قال: التسع لك إيذن له .

وهذا نظير حديث الغاضرى وقد أتى الحسن بن زيد وهو أمير المدينة . فقال: جعلت فداك إنى عصيت الله ورسوله ، قال بئسما صنعت وكيف ذاك ؟ قال : لأن الله عز وجل يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وأنا أطعت امرأتى فاشتريت غلاما فأبق ، فقال الحسن : اختر واحدة من ثلاث ؛ إن شئت ثمن الغلام، فقال: بأبى أنت قف عند هذه فلا تجاوزها . قال: أعرض عليك الخصلتين؟ قال: لا حسبى هذه . وغاضبت مصعب بن الزبير زوجه عائشة بنت طلحة فاشتد ذلك عليه وشكى أمره إلى خاصته. فقال له أشعب : فمالى إذا هى كلمتك ؟ قال عشرة

آلاف درهم ؛ فأتى إليها فقال : يا ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضلى بكلام الأمير فقد استشفع بى عندك وأجزل لى العطية إن أنت كلمته ، قالت : لا سبيل إلى ذلك يا أشعب وانتهرته. فقال : جعلت فداك كلميه حتى أقبض عشرة آلاف درهم ثم ارجعى إلى ماعودك الله من سوء الخلق. فضحكت فقامت فصالحته .

والشيء يذكر بالشيء ، أى بما قاربه . كان عبد الملك بن مروان محباً لعاتكة بنت يزيد بن معاوية فغاضبته يوماً وسدت الباب الذى بينها و بينه فساءه ذلك وتعاظمه ، وشكى إلى من يأنس به من خاصته ، فقال له عمر بن بلال الأسدى : إن أنا أرضيتها لك حتى ترضى فما الثواب ؟ قال : حكمك ، فأتى إلى بابها وقد مزق ثوبه وسوده فاستأذن عليها وقال اعلموها إن الأمر الذى جئت فيه عظيم ، فأذنت له فلما دخل رمى بنفسه و بكى. فقالت: مالك ياعم ؟ قال لى ولدان هما من الاحسان إليّ فى الغاية وقد عدا أحدهما على أخيه فقتله وفجعنى به فاحتسبته وقلت يبقى لى ولد أتسلى به ، فأخذه أمير المؤمنين وقال : لا بد من القود و إلا فالناس يجترئون على القتل ، وهو قاتله إلا أن يغيثنى الله بك ! ففتحت الباب ودخلت على عبد الملك وأكبت على البساط تقبله وتقول : يا أمير المؤمنين قد تعلم فضل عمر بن بلال وقد عزمت على قتل ابنه فشفعنى فيه ؟ فقال عبد الملك: ما كنت بالذى أفعل ، فأخذت فى التضرع والخضوع حتى وعدها العفو عنه وصلح ما بينهما ، فوفى لعمر بما وعده به .

وعلى ذكر عاتكة بنت يزيد ، قال المدايني : لما حج أبو جعفر المنصور قال للربيع : أبغى فتى من أهل المدينة أديبا ظريفاً عالما بقديم ديارها ، ورسوم آثارها ، فقد بعد عهدى بديار قومى وأريد الوقوف عليها ، فألتمس له الربيع فتى من أعلم الناس بالمدينة وأعرفهم بظريف الأخبار ، وشريف الأشعار ، فعجب المنصور منه وكان يسايره أحسن مسايرة ، و يحاضره أزين محاضرة ، ولا يبتدئه بخطاب إلا على وجه الجواب ، فاذا سأله أتى بأوضح دلالة ، وأفصح مقالة .

فأعجب به المنصور غاية الاعجاب وقال للربيع : إدفع إليه عشرة آلاف درهم ، وكان الفتى مملقا مضطرا. فتشاغل الربيع عنه واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء ، فاجتاز مع المنصور بدار عاتكة . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هـذا بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية الذى يقول فيه الأحوص بن محمد :

يا بيت عاتكة الذى أتغزل حذر العدا و به الفؤاد موكل

فقال المنصور : ماهاج منه ماليس هو طبعه من أن يخبر بمالم يستخبر عنه ، و يجيب بما لم يسأل عنه ؟ ثم أقبل يردد أبيات القصيدة فى نفسه إلى أن بلغ إلى آخرها وهو :

وأراك تفعل ماتقول و بعضهم مذق اللسان يقول مالا يفعل

فدعا بالربيع وقال له : هل دفعت للمدينى ما أمرنا له به ؟ فقال أخرته علة كذا يا أمير المؤمنين ، قال أضعفها له وعجلها .

وهذا أحسن إفهام من الفتى ، وأدق فهم من المنصور ، ولم أسمع فى التعريض بألطف منه . ولقول الأحوص هذا سبب ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمار بن ياسر . قال : خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبـد الله بن الحسن إلى الحج ، فلما كنا بقديد قلنا لعبـد الله بن حسن لو أرسلت إلى سليمان بن أبى دبا كل الخزاعى فأنشدنا من رقيق شعره ؟ فأرسل إليه فأنشدنا قصيدة له يقول فيها :

يا بيت خنساء الذى أتجنب ذهب الزمان وحبها لايذهب
أصبحت أمنحك الصدود وإنما قسما إليك مع الصدود لأحبب
مالى أحنّ إذا جمالك قربت وأصد عنك وأنت منى أقرب
لله درك هل إليك معول ؟ لمتيم أم هل لودك مطلب ؟
فلقد رأيتك قبل ذاك وإننى لموكل بهواك لو يتجنب
إذ نحن فى الزمن الرجى[1] وأنتمُ متجاورون كلا كما لايرقب
تبكى الحمامة شجوها فيهيجنى ويروح عازب همّىَ المتأوب

---

(١) كذا ولعله : الرخى .

وتهب سارية الرياح بأرضكم ... فأرى البلاد بها تظل وتحسب
وأرى السمية باسمكم فيزيدنى ... شوقاً إليك سميك المتقرب
وأرى الصديق يودكم فأوده ... إن كان ينبو منك أو يتنيب
وأخالف الواشين فيك تجملا ... وهمُ علىّ ذوو ضغائن ذوّب
ثم اتخذتهم علىّ وليجة ... حتى قضبت ومثل ذلك يقضب

فلما كان من قابل حج أبو بكر بن عبد العزيز فلما مر بالمدينة دخل عليه الأخوص بن محمد فاستصحبه ففعل . فلما خرج الأخوص قال له بعض من عنده : ما تريد بنفسك ؟ تقدم الشام بالأخوص وفيها من تبعك من بنى أبيك وهو من السفه على ما علمت ! فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأخوص متنجزاً ما وعده من الصحابة ، فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال : يا خال إنى نظرت فيما ضمنت لك من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين ، فقال الأخوص : لا حاجة لى بعطيتك ولكنى سُعيت عندك ، ثم خرج فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى الأخوص — وهو أمير المدينة — فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثياباً ثم قال له : يا خال هب لى عرض أخى ، قال : هو لك ، ثم خرج الأخوص وهو يقول فى عروض قصيدة سليمان بن أبى دباكل يمدح عمر :

يا بيت عاتكة الذى أتغزل ... حذر العدا و به الفؤاد موكل
هل عيشنا بك فى زمانك راجع ... فلقد تفاحش بعدك المتعلل
أصبحت أمنحك الصدود و إننى ... قسما إليك مع الصدود لأميل
فصددت عنك وماصددت لبغضة ... أخشى مقالة كاشح لا يغفل
وتجنبى بيت الحبيب أزوره ... أرضى البغيض به حديث معضل
إن الزمان وعيشنا ذاك الذى ... كنّا بلذته نسر ونجذل
ذهبت بشاشته وأصبح ذكره ... أسفا يعل به الفؤاد وينهل

حتى انتهى إلى قوله :

فسموت عن أخلاقهم وتركتهم ... لنداك إنّ الحازم المتوكل

ووعدتنى فى حاجتى فصدقتنى ووفيت إن كذبوا الحديث وبدلوا
ولقد بدأت أريد ودّ معاشر وعدوا مواعد أخلقت إذ حصلوا
حتى إذا رجع اليقين مطامعى يأساً وأخلفنى الذين أؤملوا
زايلت ما صنعوا إليك برحلة عجلى وعندك منهم المتحول
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول مالا يفعل

فقال له عمر بن عبد العزيز : ما أراك أعفيتنى مما استعفيتك.

والأحوص وإن كان ممن أغار على قصيدة سليمان ، فقد أربى عليه فى الاحسان ، وكان كما قال ابن المرزبان . وقد أنشد لابن المعتز قصيدته فى مناقضة ابن طباطبا العلوى التى أولها :

دعوا الأسد تكنس فى غابها ولا تدخلوا بين أنيابها

أخذ ساجاً ورده عاجاً ، وغل قطيفة ، ورد ديباجا .

***

قال سدابة المغنى لأبى العباس المبرد : صر إلى اليوم لنأنس بك . قال : أى شىء عندك آكل؟ قال: أنت وأنا عليك . يريد لحماً مبردًا وعليه سداب . ولقى برد الخيار الكاتب أبا العباس المبرد على الجسر فى يوم بارد . فقال : أنت المبرد ، وأنا برد الخيار ، واليوم بارد ، أعبر بنا لئلا يصيب الناس الفالج .

وقال عون بن محمد : لقيت بادروجة المغنى وسكباج الراقص بسر من رأى ، فصحت : ياغلام المائدة فقد وافت الألوان ، فضحكوا؛ وأقسم علينا بادروجة فكنا يومنا عنده فى أطيب عيش . وكان ابن جدار كاتب العباس بن احمد بن طولون بارد المشاهدة ، فعاد أبا حفص بن أبى أيوب بن أخت الوزير ، فوافاه وقد أصابته قشعريرة. فقال : ماتجد جعلت فداك ؟ قال أجدك . وكان أبوحفص أديباً شاعراً بليغاً ولها ، وقد رأى وردا قريباً من اقحوان فقال :

أرى أقحوانات يطفن بناصع من الورد مخضّر النبات نضيد

يميّله ريح الصبا فكأنه ثغور دنت شوقاً للثم خدود

وكان ابن جدار : ينقل أخبار أبى حفص إلى العباس بن أحمد بن طولون ، فصار إليه يوماً فقال : أعزك الله إنما مجلس المدام حرمة أنس ، ومسرح لبانة ، ومزاد همّ ، ومرتع لهو ، ومهد سرور ، و إنما توسطته عند من لايتهم غيبه ، وقد بلغنى ماتنهيه إلى أميرنا أبى الفضل من أخبار مجالسى . وأنشد :

ولقد قلت للأخلاء يوماً قول ساع بالنصح لو سمعوه
إنما مجلس المدام بساط للمودات بينهم وضعوه
فاذا ما انتهوا إلىما أرادوا من نعيم ولذة رفعوه

فاعتذر اليه وحلف أنه مافعل ، وقام عن مجلسه . وأنشد :

كم من أخ أوجست منه خيفة فأنست بعد وداده بفراقه
لم أحمد الأيام منه خليقة فتركته مستمتعاً بخلاقه

وكان ابن جدار قبل تعلقه بالعباس يتكسب بالشعر و يقنع باليسير ، فصار إلى دار اسحاق بن دينار بن عبد الله وامتدحه فلم يهب له شيئاً فقال فيه :

عجب الناس إن مدحت ابن دينا ر فلم يجزنى على مدحيه
قلت لاتعجبوا فما قدم اللؤ م عجيباً منه ولا من أخيه
إن ديناره أبوه ومَن جا د من الناس لامرىء بأبيه ؟

وهو القائل فى القلم :

وعاشق تحت رواق الدجى أغرى به الحيرة فقدان
أهيف ممشوق بتحريكه نجد عقد السرّ إعلان
يحوك وشياً لم يحك مثله بلاغة تحكى و برهان
وربما أحيا وأهدى الردى ففيه ماذى وخطيان
وفيه للناظر أعجوبة يكسو عداه وهو عريان
تجرى به خمس مطايا له مختلفات العد أقران

له لسان مرهف حده ... من ريقه الكرسف ريان
فى رقة المعنى إذا أغرقت ... للقول فى التدقيق أذهان
إذا احتسى كأساً كلون الدجا ... حرّك منه الرأس نشوان
كأنما ينثر من لفظه ... در وياقوت ومرجان
ترى بسيط الفكر فى نظمه ... شخص له حد وجثمان
كأنما يسحب فى إثره ... ذيلا على الحكمة سحبان
لولاه ماقام منار الهدى ... ولا سيما بالملك ديوان

* * *

قدم محمد بن مكرم من الجبل. فقال له أبو العيناء : مالك لم تهد الينا شيئاً ؟ فقال: والله ماقدمت إلا فى خف ، قال كذبت ، ولو قدمت فى خف خفّت روحك . وأكثر عليه أبو العيناء من المهاترة. فقال : إن زدت على قمت ، قال أراك تهددنا بالعافية . وكانا يشربان يوماً عند صديق لهما ، فقال ابن مكرم لصاحب الدار : أقوم إلى الخلاء ، فقال أبوالعيناء : إذا لايعود الينا منك شيء . وولد لأبى العيناء مولود فأتاه ابن مكرم مهنئاً، فوضع بين يدى أبى العيناء حجراً وانصرف . فجسه أبوالعيناء فوجده حجراً. فقال : من وضع هذا ؟ فقالوا: تركه ابن مكرم لما قدم ، قال لعنه الله إنما عرض بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وأتى محمد بن مكرم شاعر .فقال : إنى قد هجوتك بشعر ؟ فقال : قل فوالله لئن أحسنت لأخلعن عليك خلعة ، فأنشده :

يافتى مكرم تنح عن الفخـــر فما مكرم وما دينار
لاتفاخر إذا فخرت بهذيـــن فذا كودن وذاك حمار

فقال أحسنت ، ولكنى أكسوك من ثيابنا ، يا غلام ارم عليه جلا و برذعا .

دخل بعض أبناء الملوك على المبرد وعنده سلة حلوى قد أعدها لبعض إخوانه ، فوجد ابنه الفرصة فى اشتغال أبيه فأقبل يأكل منها . فنظر إليه المبرد فأنشده :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

ودخل أبو الحارث جمير على بعض الملوك فرأى بين يديه سلة حلوى. فقال: مافي هذا أيها الأمير؟ قال باذنجان. وكان أبو الحارث يكره الباذنجان كراهية شديدة. وأصلح محمد بن يحيي بن خالد دعوى، وأمر الطباخ أن يجعل الباذنجان في جميع الطعام، وحضر أبو الحارث فكلما قدم لون وهم بالأكل منعه مايراه إلى أن ضاق، فأقبل يأكل بدقة المائدة فعطش فقال: اسقوني ماء لاباذنجان فيه. ودخل على محمد بن يحيي و بين يديه مزورات وكان محمياً، فأكل معه وخرج من عنده فلقيه بعض إخوانه، فغطى رأسه منهم واستخفى. فقالوا: مالك يا أبا الحارث؟ قال أكلت عند محمد بن يحيي بقولا كثيرة، قالوا فما تخاف؟ قال أخاف أن يمر المساح فيمسحني خضراء فلا يقبلوا مني مظلمة. وهذا كما حكى عن الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل: أنه مر ببعض إخوانه بعقبة النجارين وهو يعدو بأكثر مما يقدر عليه، فقال له: قف عليّ، فخاف أن تكون نزلت به نازلة فأتاه إلى الدار فخرج مستخفياً. فقال: مالك يا أبا عبد الله؟ قال: ماعلمت أن السخرة وقعت في الجمال؟ فما يؤمنني أن يقال هذا الجمل فأوخذ فلا أتخلص إلا بشفاعة. وكان الجمل حلوا ظريفاً. وكان أبو الحسن احمد بن المدبر إذا مدحه شاعر فلم يحسن وكل به من يمضى معه إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعة، فتحاماه الشعراء. فأتاه الجمل فأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحاً كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طرا ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن جوائزه إلى الناس الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي عيالي إنما الشأن الزكاة
فاما إذ أبى إلا صلاتي وعاقتني الهموم الشاغلات
فيأمر لي بكسر الصاد منها لعلي أن تنشطني الصِّلات

فيصلح لى على هذى حياتى　　　و يصلح لى على هذى الممات

فأمر له بمائة دينار . وقيل له: من أين اهتديت إلى هذا ؟ قال من قول أبي تمام :

هن الحمام فان كسرت عيافة　　　من حائهن فانهن حِمام

* * *

وكان محمد بن يحيي البرمكى يبخّل ولم يكن بخيلا إلا بالاضافة إلى أخويه الفضل وجعفر ، وكان أبو الحارث حمير يكثر وصفه بذلك ، فقيل له يوماً : كيف مائدة محمد ؟ فقال : أما خوانه فعدسة ، وأما صحافه فمنقورة من خشب الخشخاش ، و بين الرغيف والرغيف فترة . قيل: فمن يحضرها ؟ قال أكرم الخلق والأمهم . ـ يريد الملائكة عليهم السلام والذباب ـ وقد ذكر غير هذا والحكايات تختلف. وقيل له: كيف كنت عنده ؟ قال: عليه الطلاق ان لم يكن أقام ثلاثة أيام و بطنه يظن أن رأسه قطع لأنه لم يدخل اليه آثار طعام ولا شراب .

ومن مستجاد ماقيل فى البخل مما جمع إلى الخلاعة براعة ، قول أبى نواس فى اسماعيل بن نيبخت :

على خبز اسماعيل واقية البخل　　　فقد حل فى دار الأمان من الأكل

وما خبزه إلا كآوى يرى ابنها　　　ولسنا نراها فى الحزون ولا السهل

وما خبزه إلا كعنقاء مغرب　　　تصور فى بسط الملوك وفى المثل

يحدث عنها الناس من غير رؤية　　　سوى صورة ما إن تمر ولا تحلى

وما خبزه إلا كليب بن وائل　　　ليالى يحمى عزةً منبت البقل

و إذ هو لايستب خصمان عنده　　　ولا الصوت مرفوع بجد ولاهزل

فان خبز اسماعيل حل به الذى　　　أصاب كليباً لم يكن ذاك عن ذل

ولكن قضاء ليس يسطاع رده　　　بحيلة ذى وهى ولا مكر ذى عقل

قال الجاحظ : وأبيات أبى نواس على أنه مولد شاطر أشعر من شعر المهلهل فى اطراق المجلس بكليب أخيه إذ يقول :

نبئت أن النار بعدك أوقدت　　واستب بعدك يا كليب المجلس
وتحدثوا فى أمر كل عظيمة　　لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وكان كليب إذا جلس فى ناديه لم يرفع أحد طرفه ، ولا ينطق بكلمة إجلالا له .

وقال أبو نواس :

رأيت قدور الناس سودا من الصلا　　وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر
يضيق بحيزوم البعوضة صدرها　　ويخرج مافيها على طرف الظفر
يبيّنها للمعتفى بفنائهم　　ثلاث كخط الثاء من نقط الحبر
إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها　　أمامهم الحولىّ من ولد الذر

وهذا القدر ضد قدر القائل :

وبوأت قدرى موضعاً فوضعتها　　برابيـة مابين ميث وأجرع
جعلت لها هضب الرجام وطحنه　　وهو لازماً [1] فى قدرها لم تنزع
بقدر كأن الليل سحنة قـدرها　　ترى الفيل فيها طـافياً لم يقطع

ويجب أن يأكل ما فى هذا القدر من ذكر الفرزدق فى قوله :

لعمرك ما الارزاق حين اكتيالها　　باكثر خبزا من خوان العـذافر
ولو ضافه الدجال يلتمس القرى　　وحل على خبّـازه بالعسـاكر
بعدة يأجوج ومأجوج كلهم　　لأشبعهم يوماً غداء عذافر

ودخل رجل على المتوكل فقال له : ما اسمك ؟ قال قطان ، قال وماصناعتك؟ قال حمدان ، قال : لعل اسمك حمدان وصناعتك قطان ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ولـكنى دهشت لهيبتك . وقال رجل لآخر معه كلب : ما اسمك ؟ قال وثاب قال وما اسم كلبك ؟ قال عروة ، قال واخلافاه . وقال ابن قادم : كنا نماشى ابن المفتاب القاضى ، فمررنا بمقبرة فاذا عليها مكتوب بركة من الله صاحبها . وكنـا فى أملاك فاذا على منارة مـكتوب : كل نفس ذائقة الموت . فقلت هذه بتلك .

---

(١) كذا فى الأصل ولم أقف على صحته .

وممن وقع له هذا على الغلط فأحسن الاستدراك مطيع بن اياس الحارثى ، فانه دخل على الهادى فى حياة المهدى وهو ولى عهد . فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل له مه ! ! فقال : بعد أمير المؤمنين .

وأما ابو العبر ومحمد بن حكيم الكنتجى فقد كانا يتعمدان المقلوب رقاعة ومجانة ، وابو العبر هو الذى كتب لبعض اصحابه : أما قبل فاحكم بنيانك على الرمل ، واحبس الماء فى الهواء حتى يغرق الناس من العطش ، فانك إذا فعلت ذلك أمرت لك كل يوم بسبعة آلاف درهم ينقص كل درهم سبعة دوانيق . وكتب يوم إلا تسعاً لخمس واربعين ليلة خلت من شهر ربيع الاوسط سنة عشرين إلا مائتين . وله مثل هذا كثير من منظوم ومنثور . وهو القائل :

الخوخ يعشق وكنة الرمان ... والطيلسان قرابة الخفان
يا من رمى قلبى فعرقب أذنه ... فشممت منه حموضة الكتان

وقال ابو العبر : كنا نختلف ونحن احداث الى رجل يعلمنا الهزل ، فكان يقول : أول ما تريدون قلب الأشياء ، فكنا نقول اذا اصبح كيف أمسيت ؟ واذا أمسى كيف اصبحت ؟ واذا قال تعال تأخر الى خلف ، وكانت له أرزاق تعمل كتابتها فى كل سنة ، فعمل مرة وانا معه الكتاب فلما فرغ من التوقيع وبقى الختم . قال : اتربه وجئنى به ، فمضيت فصببت عليه الماء فبطل ، فقال ويحك ما صنعت ؟ قلت : ما نحن فيه طول النهار من قلب الاشياء !! قال والله لا تصحبنى بعد اليوم فأنت أستاذ الاستاذين . وكان نقش خاتم أبى العبر توفى جُحى يوم الاربعاء . وتعرض للمتوكل — والمتوكل مشرف على مظهر فى قصره الجعفرى وقد جعل فى رجليه قلنسوتين وعلى رأسه خفا وقد جعل سراويله قميصاً وقميصه سراويل ، فقال علىّ بهذا المثلة فدخل عليه فقال أنت شارب ؟ قال ما أنا إلا عنفقة ، قال إنى أضع الأدهم فى رجليك وانفيك فى فارس ، قال ضع فى رجلى الاشهب وانفنى الى راجل ، قال اترانى فى قتلك مأثوم ؟ قال : بل ماء بصل يا أمير المؤمنين ، فضحك ووصله .

وابو العبر القائل فى الجد :

ليس لى مال ولى كرم　　فيه أقوى على عدمى
لا أقول آلله يظلمنى　　كيف أشكو غير متهم
قنعت نفسى بما رزقت　　وتمشت فى العلا همى
ولبست الصبر سابغة　　فهى من فرقى إلى قدمى
فاذا ما الدهر عاتبنى　　لم تجدنى كافر النعم

وله فى الرقيق [١]

رق حتى يكاد خدك يجرى　　رقة والجفون ترنو بسحر
ياقليل الشبيه مستظرف الشكـ　　ـل بديع الجمال مغرى بهجر
كف عنى الصدود ياواحد الحسـ　　ـن فقد عيل من صدودك صبرى

وله أيضاً :

أبكى إذا غضبت حتى إذا رضيت　　بكيت عند الرضا خوفاً من الغضب
فالموت إن رضيت والموت إن غضبت　　أنىّ يرجى سلوٌّ عشت فى تعب

وهذا قريب من قول فضل الشاعرة ، وقيل سعيد بن حميد :

ما كنت أيام كنت راضية　　عنى بذاك الرضا بمغتبط
علماً بأن الرضا سيتبعه　　منك التجنى وكثرة السخط
فـكل ما ساءنى فعن خلق　　منك وما سرنى فعن غلط

هذا البيت الأخير كقول أبى العيناء وقدسأله المتوكل عن ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد وكان يبغضه فقال : يد تسرق ، مثله مثل يهودى سرق نصف جزيته ، فله إقدام بما أدى ، و إحجام بما بقى ، إساءته طبيعية ، و إحسانه تكلف .

---

(١) كذا فى الأصل ولعله (الرقة)

ولما مات أبو محجن الثقفى وقف رجل على قبره. فقال : رحمك الله أبا محجن فوالله لقد كنت قليل المراء جيد الغناء، غير نعّاس ولا عباس ، ولا حابس للكاس . واسم أبى محجن عروة بن حبيب وكان فارساً شاعراً وكان مشتهراً بالشراب كثيراً يقول فيه [1] ، فحده عمر رضى الله عنه مرات ثم أخرجه إلى العراق فشرب فحده سعد بن أبى وقاص وسجنه فى قصر العُذَيْب ، وكان سعد مريضاً فى القصر وأقام المسلمون فى حرب القادسية أياما فوجهت الأعاجم قوما إلى القصر ليأخذوا من فيه ، فاحتال أبو محجن حتى ركب فرس سعد من غير علمه فخرج فأوقع بهم فرآه سعد ، فلما انصرف بالظفر خلى سبيله . وقال : لا أضربك بعدها فى الشرب ، قال فانى لا أذوقها أبداً . ودخل ابن أبى محجن على معاوية فقال له : أبوك الذى يقول ؟

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى فى الفلاة فاننى أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فقال : يا أمير المؤمنين لو شئت لذكرت من شعره ما هو أحسن من هذا وأنشد

لا تسألى القوم عن مالى وكثرته وسائلى القوم عن بأسى وعن خلقى
القوم أعلم أنى من سراتهم إذا تطيش يد الرعديدة الفرق
أعطى السنان غداة الروع حصته وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض وأكتم السر فيه ضربة العنق

فقال : لئن كنا أسأنا المقال ، لا نسىء الفعال ، وأمر له بصلة .

☆ ☆ ☆

وقال أبو عائشة : مات رجل من أهل الشام فحضر الحجاج جنازته وكان عظيم القدر وله عز وجاه ، فصلى عليه وجلس على شفير قبره . وقال : لينزل قبره بعض إخوانه ، فنزل نفر منهم، فقال أحدهم وهو يسوى التراب عليه : رحمك الله ياأبا فلان

(١) كذا ولعله : (كثير القول فيه أو كثيرا ما يقول فيه) . والقصة فى شرح ديوانه بأبسط من هذا

فان كنت ما علمت لتجيد الغناء ، وتسرع رد الكأس ، ولقد وقعت بموضع سوء لاتخرج منه إلاّ يوم الدكة . قال: فما تمالك الحجاج أن ضحك وكان لا يضحك فى جد ولا فى هزل، ثم قال للرجل: هذا موضع هذا الأمر ويلك؟! قال: أصلح الله الأمير فرسى حبيس فى سبيل الله لو سمعه الأمير يتغنى:

يالُبينى أوقدى النار إن من تهوين قد جارا

رُبّ نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا

عندها ظبى يؤججها عاقد فى الخصر زنارا

وكان الميت يسمى سعفة . فقال: أخرجوه من القبر يا أهل الشام ما أبين حجة أهل العراق فى جهلكم ، وكان الميت أقبح خلق الله وجها ، فلم يبق أحد ممن حضر إلا استغرق ضحكا

***

وأهل الشام غاية فى الجهل والغباوة . ودخل رجل من أهل العراق الشام فى أيام عبد الملك فى حوائج له فحجب عنه ، فدخل فى غمار الناس فقال عبد الملك لجلسائه : ما معنى قول الشاعر؟

إذا ما المواشط باكرنها وأتبعن بالظفر وحفاً طويلا

تخذن القرون فعقلنها كعقل العسيف غرابيب ميلا

يصف شعر امرأة ، والوحف البشام ، والعسيف الأجير ، والغرابيب الشديدة السواد : يريد عنا قيد الكرم ، وروى - عراجين ميلا ، فسكتوا عن آخرهم ؛ فقال العراقى لرجل من أهل الشام له بزة وهيئة : أرأيتك إن أخبرتك بمعناه وحصل لك الحظ عند أمير المؤمنين أتقربنى منه حتى أسأله حاجتى ؟ قال : لك ذلك . قال إنما يصف البطيخ ، فوثب الشامى وقال ذلك فافتضح وانقلب المجلس ضحكا . فقال له عبد الملك : من أين لك هذا العلم ؟ قال هذا العراقى ابن اللخناء قال لى ذلك . فقال عبد الملك : ما أدخلك أذكر حاجتك ؟ فذكرها فقضاها له وقال :أخرج من الشام لا تفسدها على بمجاورتك

ومما جمع التصرف فى الاحسان و بديع الافتنان ، قول مسلم بن الوليد الأنصارى :

أجدك ما تدرين أن رب ليلة　　كأنّ دجاها من قرونك ينشر
نصبت لها حتى تجلت بغرة　　كغرة يحيي حين يذكر جعفر

يريد يحيي بن خالد بن برمك وجعفر ابنه . وقال ابن المعتز :

سقتنىَ فى ليل شبيه بشعرها　　شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين بالشعر والدجى　　وشمسين من خمر وخد حبيب

وقال أبو الطيب :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها　　فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها　　فأرتنى القمرين فى وقت معا

☆ ☆ ☆

ومن أعجب ما قيل فى وصف الشعر ما جمع فيه وصف سواده وتمامه وأتى بالتشبيه الواقع ، والوصف الرائع ؛ قول أبى الحسن على بن العباس الرومى[1] :

وفاحم وارد يقبل ممش　　اه إذا اختال مسبلا غدره
أقبل كالليل من مفارقه　　منحدرا لا يذم منحدره
حتى تناهى إلى مواطئه　　يلثم من كل موطئ عفره
كأنه عاشق دنا شغفا　　حتى قضى من حبيبه وطره
يغشى غواشى قرونه قدماً　　بيضاء للناظرين مقتدره
مثل الثريا إذا بدت سحراً　　بعد غمام وحاسر حسره

وقد أخذه منه بعض أهل العصر وهو ابو محمد بن مطران فقاربه فى الاحسان :

ظباء اعارتها المها حسن مشيها　　كما قد أعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك المشى جاءت فقبلت　　مواطىء من اقدامهن الضفائر[2]

---

(١) هذه القطعة أصلحت خطأها من نسخة ديوانه . (٢) فى الأصل : الظفائر بالظاء المشالة .

وكان بنو أمية يكرهون اهل العراق نفطنتهم ورقتهم إذ سياسة الأغبياء أسهل عليهم فقد قال الاسكندر لا رسطاطاليس : قد أعياني أهل العراق ما أجرى عليهم حيلة إلا وجدتهم قد سبقوني الى الخلاص فتخلصوا قبل إيقاعها بهم ، وقد عزمت على قتلهم عن آخرهم ؟ فقال إذا قتلتهم فهل تقدر على قتل الهواء الذي غذى طباعهم وخصهم بهذا الذكاء ؟ فان ماتوا ظهر في موضعهم من يشا كلهم ، فقال: ماالرأى ؟ قال من كان فيه هذا العقل كانت فيه أنفة وحمية وشراسة خلق ،وقلة رضى بالضيم. فاقسمها طوائف وول على كل طائفة اميرا فانهم يختلفون،فاذا اختلفوا فلت شوكتهم فغفلوا . فأقاموا مختلفين أربعمائة عام حتى جمعهم أزدشير بن بابك وقال : إن كلمة فرقت بيننا أربعمائة سنة لمشئومة .

ودخل أياس بن معاوية بن قرة الشام وهو صغير ، فخاصم شيخا إلى القاضي وأقبل يصول عليه ، فقال القاضي : أسكت يا صبي. فقال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال إنه شيخ كبير ، قال: إن الحق أكبر منه ، قال القاضي: ما اراك تقول حقا ، فقال لا اله الا الله ، فركب القاضي من وقته الى عبد الملك فأخبره فقال : عجل بقضاء حاجته وأخرجه من الشام لئلا يفسدها ، و بإياس يضرب المثل في الذكاء قال الطائي :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

☆ ☆ ☆

خرج بعض ملوك الفرس متنزها فلقيه بعض الحكماء فسأله عن احزم الملوك ؟ فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لبه هواه ، وأعرب لسانه عن ضميره ، ولم يختدعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن صدقه ، فقال الملك : لا ، بل احزم الملوك من إذا جاع أكل ، و إذا عطش شرب ، وإذا تعب استراح . فقال له: أيها الملك قد اجدت الفطنة أهذا لك علم مستفاد أم غريزي ؟ قال : كان لي معلم من حكماء الهند وكان هذا نقش خاتمه ، قال: فهل علمك غير هذا ؟ قال: ومن أين يوجد هذا عند رجل واحد ، ثم قال الملك : علمني من حكمتك أيها الحكيم ، قال: نعم! احفظ عني ثلاث كلمات ؛ قال صدقت فهات ، قال: صقلك لسيف ليس له جوهر من طبعه

فهو خطأ ، وبذرك الحب فى الأرض السبخة ترجو نباته جهل ، وحملك الصعب السير على الرياضة عناء ، ومن هنا اخذ ابو تمام قوله :

فى دولة غراء (١) معتصمية ميمونة الإدبار والإقبال
فتعمق الوزراء يطفو فوقها طفو القذى وتعقب العذال
والسيف مالم يُلف فيه صيقل من طبعه (٢) لم ينتفع بصقال

***

وكان القلهمان أحد حكماء الهند وفيلسوف أطبائهم وترجمان علومهم ، وكان ترجمان ملك من ملوكهم يقال له يا كهثر بن شبرام وكان ركيكا إلا أنه من أهل بيت المملكة ، فقال يوماً للقلهمان : ماالعلم الأكبر ؟ قال: معرفة الطب . قال فانى أعلم من الطب أكثره . قال فما دواء المبرسم أيها الملك ؟ قال : الموت حتى تقل حرارة صدره ثم يعالج بعدبالأدوية الباردة . قال القلهمان : أيها الملك من يحييه بعد الموت ؟ قال ليس هذا من الطب هذا علم آخر يوجد فى كتاب النجوم . ولم أنظر فى شىء منه إلا فى باب الحياة فانى وجدتها خيراً للانسان من الموت . قال القلهمان : أيها الملك على كل حال خير للجاهل . قال لو نظر الجاهل فى باب الموت لعلم أنى قلت الحق.

وسأل أبو عون رجلا عن مسألة فقال على الخبير سقطت ، سألت عنها أبى فقال سألت أبى فقال : لا أدرى . قال أزهر استعدت امرأة على زوجها عند ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك وهو قاض فادعت مهرها ألف درهم ، فقال : ألك بينة ؟ قالت لا ، قال أفأحلفه لك ؟ قالت إنه فاجر يحلف ولكن ابعث إلى اسحاق بن سويد الفقيه فسله أن يحلف لى عنه . قال فأرسل إلى اسحاق ابن سويد فلما حضر . قال له: احلف لهذه المرأة مالها على زوجها الف درهم ؟ قال اسحاق : ما أنا وهذا ! ! قال فيبطل حق هذه المرأة ؟ لتحلفن لها أو لأحبسنك ، فلم يحلف فحبسه. فأتاه ابن سيرين فقال : لا ألومك على حبسك اسحاق ولكن لم

---

(١) فى ديوانه : وعزيمة فى الروع الخ . (٢) من سنخه .

وليت القضاء ؟ قال : أكرهني عليه السلطان ، قال كنت تعلمه أنك لاتحسن ، قال كنت أنا أكذب ؟

* * *

وكان نصر بن مقبل بن الوزير على الرقة عاملا لهرون الرشيد ، فأخذ بعض أصحابه رجلا ينكح شاة وأجمعوا الذهاب به إلى نصر ، وكان الرجل ظريفاً فقال : ياقوم إنها والله ملك يميني . فضحكوا منه وخلوا سبيله وذهبوا بالشاة إلى نصر ؛ فأمر أن تضرب الحد فان ماتت تصلب . قالوا : إنها بهيمة ؟! قال: و إن كانت بهيمة فان الحدود لاتعطل و إن عطلتها فبئس الوالى أنا . فانتهى حديثه إلى الرشيد ولم يكن رآه ، وكان نبيل القد حسن المنظر جليل القدر فدعا به فوقف بين يديه ، قال من أنت ؟ قال مولى لبنى الكلب يا أمير المؤمنين ، فضحك . ثم قال : كيف بصرك فى الحكم ؟ قال: البهائم يا أمير المؤمنين والناس عندى سواء ، ولو وجب الحكم على بهيمة وكانت أمى أو أختى لحددتها ولم تأخذنى فى الله لومة لائم . فأمر هارون أن لايستعمل ، فلم يزل معطلا حتى ولى المأمون فرفع يسأله الاستعانة به فولاه طبرناباذ وأمره أن يكون على العصير بها فلم يزل على ذلك حتى مات .

وكان مقاتل بن حسان على قضاء البصرة فسأله رجل عن مسألة . فقال : لا أعرف الجواب ، فقال أنت قاض ولا تحسن المسألة ؟ قال نعم ! لأن الثور أعظم من الحمار ولا يحسن أن يركض ركض الحمار ، قال : أيها القاضى فهذا مثلك ؟ قال بل هذا مثلى ومثلك . قال : فأيهما أنت ؟ قال أنبلهما وأعظمهما – يعنى الثور –

قال أبو الهذيل العلاف : كان يختلف إلى فتى من أهل الموصل حسن السمت نير الوجه نقى الثياب، فكان يصمت فى المجالس ، و إذا أتاه النهوض.قال : استغفر الله لى وللمتكلم ثم يمضى . قال فنبل فى عينى ولاط بقلبى وحلا فى صدرى ، فذكرت قول

الحكيم فى كتاب جاودان جرد[1] يحرم على السامع تكذيب القائل إلا فى ثلاث هن غير الحق ؛ صبر الجاهل على مضض المصيبة ، وعاقل أبغض من أحسن اليه ، وحماة أحبت كنة . فقال الفتى : لولا حفظى لنظير هذه الكلمات وسماعهن من ثقة . فاشرأبينا إليه وقلنا ماذا ذاك يرحمك الله ؟ وظننا أنه سيأتى بأحسن منهن ، فقال : حدثنى أبى عن جدى أنه قرأ فى بعض كتب الحكماء : ليس الجائع كالشبعان ، ولا المكسى كالعريان ، ولا النائم كاليقظان . فطأطأت رأسى وجعل أصحابى ينظرون إلىّ واليه ، وكرهت أن أسأله عن شىء بعد هذا . فقال له بعضهم : من أنت يافتى ؟ قال من فوق الأرض ومن تحت السماء ، قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قال من أوسطهما ، قال : فما الاسم ؟ قال لجام ، قال فما الكنية ؟ قال أبو السراج ، قال فما بالك لاتنهض ؟ فوالله ما أنت إلا حمار ، فوثب قائماً . وقال : ليس البحث منكم ولكن منى حيث أجلس إلى أمثالكم ولا تعرفون ماطحاها .

وكتاب جاودان جرد من أجل كتب الفرس : وكان سببه على ماذكر الجاحظ أن بعض الأكاسرة كان زاهداً فى كتب الأدب ، راغباً فى التكبر عن النظر فيها ، والتعظم عن الاشتغال بشىء منها ، وكان له وزير يقال له كنجور بن اسفنديار فصنع

---

(١) جاودان جرد كذا فى الأصل والمحفوظ : جاودان خرد (بالخاء المعجمة) ذكره كاتب جلبى فى كشف الظنون وقال : اسم كتاب للفرس منسوب الى هوسنك شاه . وقد عربه حسن بن سهل وزير المأمون ولخصه أيضاً فى تعريبه . وأورد الشيخ أبو على بن مسكويه هذا الملخص فى مقدمة كتابه المسمى بآداب العرب والفرس . وفى كتاب برهان قاطع : (جاودان خرد كسر نونله حكمت علميه ده بركتا بدر هو شنك شاه تصنيف ايتمشدر) اقول وقد ملكت نسخة من تصنيف أبى على بن مسكويه العربية وعلى طرتها أنها نسخت برسم السلطان مصطفى العثمانى ومضاف إليها آداب الهند وبعتها من المرحوم رضا باشا ثم اشترتها وزارة الأوقاف فيما اشترته من كتب رضا باشا بعد موته وهى الآن فى المكتبة العمومية الكائنة فى ميدان بايزيد باستانبول . مصححه

ترجمة لكتاب لم يعلمها أحد وجعلها فى ورقة وألقاها إلى الملك وكانت الترجمة : هذا كتاب تصفية الأذهان ، ونقاء الفكر ، وسرج القلوب ، من كتاب واضح عمود الحكمة . فلما نظر الملك إلى هذه الترجمة شغفه حسنها فقال لكنجور : لقد غلبت هذه الترجمة على هواى ، وقادت عزمى وبعثت رأيى على هذا الكتاب فسل عنه سؤالا حفياً يرجع بجلية الخبر ، وأبعث الحكماء الادلاء على تفتيش منازل الحكماء فان وجدته فى شىء من مملكتى كنت أولى الناس باصطناع صاحبه ، وإن وصف أنه فى شىء من أقاليم الهند كتبت إلى ملك ذلك الاقليم وسألته المن علىّ بدفع نسخة منه ، وكافأته بهدية مكافأة مثلى على وجود طلبته . فقال كنجور أيها الملك لست أفزع باستفراغ مجهودى والله المعين . وصار إلى منزله ولم يخرج منه حتى صنع كتابه المعروف بجاودان جرد . قال الجاحظ : حدثنى الواقدى قال قال الفضل بن سهل : لما دعى للمأمون بكور خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك سروراً بمكانه من الخلافة ووجه ملك كابلستان شيخاً يقال له ذوبان وكتب يذكر أنه وجه بهدية ليس فى الأرض أسنى ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر منها . فعجب المأمون وقال : سل الشيخ ما معه من الهدية ؟ فقال : مامعي شىء أكثر من علمى ، فقلت وأى شىء علمك ؟ قال رأى ينفع ، وتدبير يقطع ، وجلالة تجمع . فسر المأمون به وأمر بانزاله وإكرامه وكتمان أمره . فلما أجمع على التوجه إلى العراق لقتال محمد الأمين أخيه دعا بذوبان. فقال : ما ترى فى التوجه إلى العراق ؟ قال رأى دقيق وحزم مصيب ، وملك خريب والسبب ماض ، فاقض ما أنت قاض . قال فمن نوجه ؟ قال : الفتى الأعور ، الطاهر الأطهر ، الظاهر الأظهر ، يستر ولا يفتر ، قوى مرهوب ، مقاتل غير مغلوب . قال فمن نوجه معه من الجند ؟ قال : أربعة آلاف ، صوارم الأسياف ، لا ينقصن فى العدد ، ولا يحتجن إلى مدد قال : فما رأيت المأمون سر كسروره ذلك اليوم . فوجه بطاهر فلما تهيأ له الخروج سأل ذوبان فى أى وقت يخرج من النهار ؟ قال : مع طلوع الفجر يجمع

لك الأمر ، وتصير إلى النصر . فخرج في ذلك الوقت فلما كتب بذكر مقدمه الرى . دعا المأمون بذوبان فقال : قد قرب صاحبنا من العدو وقربوا منه فما عندك دلالة أو بينة تكون لنا أو علينا ؟ قال قد تعرفت شانه ، إذ أتى فسطانه كان نصر سريع ، وقتل ذريع ، وتفرقت تلك الجموع ، والنصر له لا عليه ، ثم يرجع الأمر اليك و إليه . فكتب المأمون بذلك إلى طاهر ليقوى عزمه ، فلما كتب بقتله على بن عيسى بن ما هان واستيلائه على عسكره وأمواله ، وخبر ما أولى الله المأمون فى أوليائه ، من النصر والظفر باعدائه ، دعا ذوبان وأمر له بمائة الف درهم فلم يقبلها . وقال : أيها الملك إن ملكى لم يوجهنى اليك هدية لينقصك مالك فلا تجعل ردى نعمتك سخطاً ، فليس عن استخفاف بقدرها وسوف أقبل ما يفى بهذا المال ويزيد وهو كتاب يوجد فى العراق فيه مكارم الاخلاق ، وعلوم الآفاق ، وهو كتاب عظيم للفرس ، فيه شفاء النفس ، به من صنوف الآداب ما لا يوجد فى كتاب ، عند عاقل لبيب ، ولا فطن أريب ، يوجد فى خزائن ، عند الايوان بالمدائن . فلما قدم المأمون بغداد واستقر بها ملكه اقتضاه ذو بان حاجته وأمر أن تكتب القصة والموضع الذى يشير اليه ، فكتب : سر الى وسط الايوان من غير زيادة ولا نقصان ، وأجعل القسمة بالذرعان ، ثم أحفر المدر ، فاقلع الحجر ، فاذا وصلت إلى الساجة ، فاقتلعها تجد الحاجة ، فخذها ولا تعرض لغيرها ، فيلزمك غب ضيرها . فوجه المأمون فى ذلك رسولا حصيفاً فسار إلى الموضع ففعل ما قيل له فوجد صندوقاً صغيراً من زجاج أسود عليه قفل منه فحمله ورد الحفرة إلى حالها الاول . قال عمرو بن بحر : فحدثنى الحسن بن سهل قال : إنى لعند المأمون إذ وصل ذلك الصندوق فجعل يتعجب منه ، ثم دعا بذوبان فقال له هذه بغيتك ؟ قال نعم ! أيها الملك لست ممن تنقض رغبته ذمام عهده ، ولا يحل طمعه عقدة وفائه ، ثم تكلم بلسانه ونفخ فى القفل فانفتح ، فأدخل يده وأخرج منه خرقة ديباج فنشرها فسقط منها أوراق فرد الأوراق فى الخرقة ونهض . ثم قال : أيها الملك هذا الصندوق يصلح لرفيع

خبيات خزائنك فأمر به فرفع . قال الحسن بن سهل : فقلت ترى يا أميرالمؤمنين أن اسأله مافى هذا الكتاب ؟ قال : ياحسن أفر من اللؤم ثم أرجع اليه ؟ أمرته أن لا يفتحه بين يدى قطعاً للطمع فيه ، وصمتة بالمسألة عنه ، وتحرياً للرغبة فيه ، والله لا كان هذا أبدا . فلما خرج صرت إلى منزله فسألته عنه مسألة راغب فيه . فقال : هذا كتاب جاودان جرد تأليف كنجورملك سبرا شهر (١) ، فقلت اعطنى ورقة منه أنظر فيها فاعطانى فوقمت عليها عينى ، وأسرجت لها ذهنى ، وأجلت فيها فكرى ، فلم أزدد منه الابعدا ، فدعوت بالخضر بن على وذلك فى صدر النهار فلم ينتصف حتى فرغ من قراءتها بينه وبين نفسه ، ثم جعل يفسرها وأنا أكتب ثم رددت الورقة وأخذت منه نحو ثلاثين ورقة ، فدخلت عليه يوماً فقلت ؟ ياذوبان يكون فى الدنيا من يحسن مثل هذا الكتاب ؟ قال : يجوز أن يكون فيها من يحسن ترجمة هذا الكتاب ولا يجوز أن يكون فيها من يحسن مثل هذا الكتاب. قلت: فهل تعرف من يترجمه ؟ قال: نعم وأصفه لك ، هو طوال أنزع ، إن تكلم تتعتع ، يفوق أهل زمانه ، بما يكون من شأنه ، اسمه خضر يقوم بأمر خطر ، لو كان له عمر . ولولا أن العلم سبيل الدنيا والآخرة ، وهو الكرامة الفاخرة ، ومن معرفة قدره الضن به لرأيت أن ادفعه اليك بتمامه ولكن لا سبيل إلى أكثر مما أخذت.

ولم تكن الاوراق التى أخذتها على التأليف لأنا أصبنا ورقة فيها علامات فيها الكنوز ، وآخر الورقة مكتوب ، ودليل هذا الباب فى الورقة التى تليها ؛ ولم نجد غير هذا بتاً غير أنا وجدنا أبوابا من الحكمة تشهد لها القلوب بحقيقة الصحة وتحلف طيها الألسن بغاية النهاية .

هذا من كلام الحسن بن سهل كقول أبى تمام يصف شعره :

ومحلفة لما ترد أذن سامع   فتصدر إلاّ عن يمينٍ وشاهد

قال الجاحظ : وحدثنى الحسن بن سهل قال قال لى المأمون : أى كتب العرب

---

(١) تقدم فى ص ٧٤ ان كنجور بن اسفنديار وزير وهو واضع الكتاب

أنبل ؟ قال قلت المبتدا ؟ قال لا ، قلت فالتاريخ ؟ قال لا ، فسكت فقال : تفسير القرآن لأنه لا شبه له ، وتفسيره لا شبه له . ثم قال : أى كتب العجم أنبل ؟ فاستعرضتها فقلت : كتاب جاودان جرد أنبل كتاب لهم ، فدعا بفهرست كتب العجم فجعل يلتمسه فلم ير لهذا الكتاب ذكرا : فقال : كيف سقط هذا الاسم عن الفهرست ؟ فقلت هذا كتاب ذو بان وقد كتبت بعضه ، فقال : إيتنى به معجّلا . فوجهت فى حمله فوافانى الرسول وقد نهض يريد الصلاة فقال : فلما رآنى مقبلا والكتاب معى انحرف عن القبلة وأخذ الكتاب وجعل ينظر فيه ، فاذا فرغ من باب قال : لا إله إلا الله ، فلما طال ذلك عليه قعد وجعل يقرأ فقلت الصلاة تفوت وهذا لا يفوت ؟ قال صدقت غير أنى أخاف السهو فى الصلاة لاشتغال قلبى بلذيذ ما فى هذا الكتاب ، وما أجد للسهو حائلا غير ذكر الموت فجعل يقرأ (إنك ميت وإنهم ميتون) ثم وضع الكتاب وقام فكبّر فلما فرغ من صلاته نظر فيه حتى أتى على آخره ثم قال : أين تمامه ؟ قلت عند ذو بان لم يدفعه الى ، فقال : لولا أن العهد حبل أحد طرفيه بيد الله والآخر بأيدينا لأخذته منه . فهذا والله الكلام لا ما نحن فيه من لىّ ألسنتنا فى فجوات أشداقنا .

قال الحسن بن سهل : قرأت فى هذا الكتاب : ثلاث لا يصلح فسادهن بشىء من الحيل : العداوة بين الأقارب ، وتحاسد الأكفاء ، والركاكة فى العقول. وثلاث لا يُستفسد صلاحهن بنوع من المكر : العبادة فى العلماء ، والقنوع فى المستبصرين ، والسخاء فى ذوى الأخطار . وثلاث لا يشبع منهن : الحياة ، والعافية ، والمال . وثلاث تبطل مع ثلاث : الشدة مع الحيلة ، والعجلة مع التأنى ، والاسراف مع القصد .

وهذا كما قال الخضر بن على : رأيت بعدن حجراً مكتوب عليه بالحميرية : ياأيها الشديد احذر الحيلة ، و ياأيها العجول احذر المتأنى ، و ياأيها المحارب لا تأمن من التفكر فى العاقبة ، و ياأيها الرائد موجوداً لاتقطع أملك عن بلوغ مثله .

أما قوله للمحارب . فقد قال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : من فكر فى العواقب لم يشجع . وقال سعيد بن ناشب الغنوى :

عليكم بدارى فاهدموها فإنها بذات كريم لايخاف العواقبا
إذا همّ ألقى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

وقد قال معاوية رضى الله عنه: هممت مرات كثيرة بصفين أن أحبس [1] فلم يردنى إلا ابن الاطنابة :

أبت لى عفتى وأبى بلائى وأخذ المجد بالثمن الربيح
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى
وإقدامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح
لأرفع من مآثر صالحات وأمنع بعد عن نسب صريح

وابن الأطنابة ـ هو عمر بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن الأغر الخزرجى، وهو فارس مشهور معروف ، والأطنابة أمه . وقد أحسن قطرى بن الفجاءة [2] فى هذا المعنى حيث قال :

وقولى كلما جاشت لنفسى من الأعداء ويحك لاتراعى
فانك لو سألت مزيد يوم أبى الأجل المقدر أن تطاعى

وقال بعض الغزاة : فتحنا حصناً من بلاد الروم فرأينا فيه صورة أسد من حجر عليه مكتوب : الحيلة خير من الشدة ، والتأنى أفضل من العجلة ، والجهل فى الحرب أحزم من العقل ، والتفكر فى العاقبة من أمارة الجزع . ووجه ملك الروم إلى الرشيد بثلاث أسياف مع هدايا كثيرة ، على سيف منها مكتوب : أيها

---

(١) كذا فى الأصل ولعله : أجبن

(٢) فى الأصل : قطرى الفجأة . وقوله : ابى الأجل الخ المحفوظ : إلى الاجل المقدر لن تطاعى . وأحسب أن هذه الرواية أصح .

المقاتل احمل تغنم ، ولا تفكر فى العاقبة تهزم . وعلى الثانى ؛ التأنى فيما لاتخاف عليه الفوت ، أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل ، وعلى الآخر ، إن لم تصل ضربة سيفك ، فصلها بالقاء خوفك .

وهذا كقول كعب بن مالك الأنصارى :

نصل السيوف إذا قصدن[1] بخطونا   قدماً ونلحقها إذا لم تنحق

وكقول نشهل بن جرى :

إذا الكماة تأبوا أن ينالهم   حد السيوف وصلناها بأيدينا

وأعطى بعض الأمراء سيفاً لرجل فقال له : صله بخطواتك ، فقال له : الصبر أقرب من تلك الخطوة . وأعطى آخر لرجل سيفاً فسأله بدله وقال : هو غير ماض. قال : خذه فالسيوف مأمورة ، قال فهذا أمر أن لايقطع .

وانهزم رجل فدخل على أميره فشتمه وقال : اعطيت بيدك وهربت.ولم توغل ولا صبرت ؟ فقال : لئن تشتمنى أصلحك الله وأناحى ، خير من أن تترحم على وأنا ميت . قيل لاعرابى أخرج إلى الغزو ؟ فقال : أنا والله أكره الموت على فراشى فكيف أمشى إليه ركضاً ؟ !

أخذ هذا المعنى أحمد بن أبى فنن فقال مستطردا يمدح أبى ذلف القاسم بن عيسى العجلى ، والاستطراد ان يريك الفارس أنه ولى وإنما ولى لتتبعه فيكر عليك . كذلك الشاعر يريك أنه يصف شيئاً ثم يعن له معنى فيأتى به وكأنه ليس من قصده ولم يقصد غيره :

مالى ومالك قد كلفتنى شططا   حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلتنى رجلا   أمسى وأصبح مشتاقا الى التلف
أرى المنايا على غيرى فأكرهها   فكيف أمشى اليها بارز الكتف ؟
أخلت أن سواد الليل غيرنى   أو ان قلبى فى جنبى أبى دلف ؟

---

(١) فى الكامل : قصرن (بالراء)

لأنه كان شديد السواد . ولما دخل على المعتز . قال : هذا الشاعر الاسود ؟ قال : لا يضره سواده أعزكم الله تعالى ؛ فإنّ بيض أياديكم عنده .

وقال المنصور لبعض الخوارج ـ وقد أتى به اليه أسيرا ـ : أخبرنى أى أصحابى كان أشد إقداما فى مبارزتكم ؟ فقال : ما أعرف وجوههم مقبلين ، و إنما أعرف أقفاءهم فمرهم أن يدبروا لأعرفك أشدهم إدبارا . أخذه ابن الرومى فقال فى سليمان ابن عبد الله بن طاهر وكان قد خرج فى بعض الوجوه فهزم :

قرن سليمان قد أضرّ به   شوق الى وجهه سيدنفه
أعرض عن قرنه وفرّ فما   أصبح شىء عليه يعطفه
كم يَعدِ القِرن باللقاء وكم   يكذب فى وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه و يرى   قفاه من فرسخ فيعرفه

وله فى هذا المعنى أهاج كثيرة فمن ظريفها :

سليمان ميمون التقية حازم   ولكنَّه حتم عليه الهزائم
ألا عوذوه مِن توالى فتوحه   عسى أن تردّ العين عنه التمائم

وقال :

جاء سليمان بنى طاهر   فاجتاح معتز بنى المعتصم
كأنّ بغداد لدن أبصرت   طلعته نائحة تلتزم
مستقبل منه ومستدبر   وجه بخيل وقفا منهزم

***

وقال روح بن حاتم لأبى دلامة : اخرج معى وهذه عشرة آلاف درهم ؟ فقال :

إنى أعوذ بروح أن يقر بنى   الى الحِمام فتشقى بى بنو أسد
إنّ المهلب حب الموت أورثكم   وما ورثت اختيار الموت من أحد

وكان أبو دلامة شاعرا فصيحا ، وما جنامليحا ، واسمه زند بن الجون الأزدي ودخل على أبى جعفر المنصور فأنشده وذكر زوجته :

فاخرنطمتْ ثم قالت وهى مغضبة أأنت تتلو كتاب الله يالكع ؟ !
قم كى تبيع لنا نخلا ومزدرعا كما لجارتنا نخل ومزدرع
خادع خليفتنا عنها بمسألة إن الخليفة للسؤال ينخدع

قال : قدأمرنا لك بمائة جريب عامر ، ومائة جريب غامر . فقال : وما الغامر يا أمير المؤمنين ؟ قال: الذى لاينبت ، قال فإنى أقطعك عشرة آلاف جريب من فيافى بنى أسد ، فضحك وأمر له بالجميع عامرا ، فقال إئذن لى فى تقبيل يدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أما هذه فدعها ، فقال ما منعت عيالى شيئا أسهل عليهم من هذه . ودخل أبو دلامة يوما على أبى جعفر المنصور [أيضاً] فأنشده :

إنى رأيتك فى المنا م وأنت تعطينى خياره
مملوءة بدراهم وعليك تأويل العباره

فقال له المنصور : امضى فأتنى بخيارة أملاؤها لك دراهم ، فمضى فأتى بأعظم دباءة توجد ، فقال: ما هذا ؟ قال يلزمنى الطلاق إن كنت رأيت إلاّ دباءة ولكنى نسيت ، فلما رأيت الدباءة فى السوق ذكرتها . وهذا إنما أخذه من ابن عبدل الأسدى وقد دخل على بعض بنى مروان فقال : تأذن لى أصلحك الله ان أقص عليك رؤيا رأيتها ؟ فقال هات فأنشد :

أغفيت قبل الصبح نوم مسهّد فى ليلة ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك رعتنى بوليدة فتّانة حسن علىّ قيامها
وببدرة حملت الىّ وبغلة دهماء ناجية يصلُّ لجامها
فدعوت ربى أن يثيبك جنة عوضا يصيبك بردها وسلامها

فقال : عندى كل شىء إلا البغلة فانها عندنا شهباء . فقال : امرأتى طالق إن كنت رأيتها إلاشهباء ولكنى غلطت .

ولابن عبدل ظريفة مع بشر بن مروان: وذلك أنه كان متصلا به منقطعا اليه ،

فأغفله فغاب عنه أياما ثم أتاه فقال : أين غبت فقد طلبتك فلم أقدر عليك ؟ قال خرجت أيها الأمير الى البادية أطلب التزوج بابنة عم لى تائمة. فقالت : لى أموال متفرقة على الناس ، وأنا امرأة لا قيِّم لى فاقتضيها لى وأنا أتزوجك . فاقتضيت لها جميع أموالها فلما فرغت كتبت الى :

سيخطئك الذى أملت منى بقطع حبال وصلك من حبالى
كما أخطاك معروف ابن بشر وكنت تعد ذلك رأس مال

فضحك وقال : ما أحسن ما تلطفت . ودخل أبو دلامة يوما على المنصور و بين أصبعيه خرقة ، فقال له: ما هذا ياأبا دلامة ؟ فقال : ولدت لى البارحة صبية وقد قلت فيها :

فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكفلك لقمان الحكيم
ولكن قد ولدت لأم سوء يقوم بأمرها بعل لئيم

فضحك المنصور وقال: ماتريد؟ قال: ملء هذه الخرقة أستعين بها على تربيتها. فقال المنصور : املؤها دراهم ، ففتحوها فاذا هى رداء رقيق كبير ، فملؤها فأخذ عشرة آلاف درهم . وكان المنصور بخيلا و إنما كان أبو دلامة يستنزله بالملح لشدة بخله ، فقد كان يتجاوز الغاية فى ذلك .

وكان المنصور قبل أن يلى الخلافة ينزل على أزهر السمان ، فلما استخلف صار اليه أزهر.فقال:ما أقدمك ؟ قال : حاجة يا أمير المؤمنين ؛ علىّ أربعة آلاف درهم ، ولى دار مستهدمة ، وأريد البناء لا بنى محمد . فأمر له باثنى عشر الف درهم . وقال : يا أزهر لا تأتنا طالب حاجة . قال : أفعل ، فلما كان بعد قليل عاد فقال : يا أزهر ما جاء بك ؟ قال : جئت مسلما على أمير المؤمنين ، قال إنه ليقع فى نفسى أن ما أتيت إلا لما أتيت له فى المرة الأولى ، وأمر له باثنى عشر الف درهم. وقال: لاتأتنا طالب حاجة ولامسلما ، قال نعم! ثم ما لبث أن عاد فقال: يا أزهر ما جاء بك ؟ قال دعاء كنت سمعت أمير المؤمنين يدعو به فجئت مستمليا لآخذه عن أمير المؤمنين ، فقال: لاتكتبه فانه غير مستجاب ، لأني دعوت الله

به أن يريحني منك فلم يستجب لى ، ثم صرفه ولم يعطه شيئا . ولما دخل عليه ابراهيم بن على بن هرمة أنشده قصيدته التى يقول فيها :

له لحظات فى خفايا سريرة إذا كرّها فيها عقاب ونائل

فأمّ الذى أمّنت آمنة الردى وأمّ الذى حاولت بالثكل ثاكل

فرفع الحجاب له وأقبل عليه وأمر له بعشرة آلاف درهم . ثم قال : يا ابراهيم لا تتلفها طمعا فى مثلها ، فما كل وقت تصل الينا ، ولا يصلك منا مثلها ، فقال : ألقاك بها يا أميرالمؤمنين يوم العرض بختم الجهبذ ، فضحك . وقال: اذكر حوائجك ؟ فقال تكتب لى الى عامل المدينة أن لا يحدنى إذا أتى بى اليه وأنا سكران ، فقال: هذا حد من حدود الله لا يمكن تعطيله . فقال تحتال لى يا أميرالمومنين ، فكتب الى عامل المدينة ؛ من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاضر به الحد واضرب الذى أتيك به مائة ، فتحاماه الشرط فكانوا يمرون به مطروحا فى سكك المدينة فيقولون : من يشترى ثمانين بمائة ؟ !

وقال المؤمل بن أميل : قدمت علي المهدى وهو إذ ذاك ولى عهد أبيه فامتدحته فأمر لى بعشرين الف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور — وهو بمدينة السلام — يخبره ان الأمير أمر لشاعر بعشرين الف درهم ،فكتب اليه يعذله ويلومه ويقول : إنما كان ينبغى لك أن تعطى الشاعر اذا أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم ، وكتب الى كاتبه أن يوجه اليه بالشاعر ، فطلب فلم يقدر عليه ، فكتب اليه أن قد توجه الى مدينة السلام ، فأجلس قائدا من قواده على جسر النهروان وأمره أن يتصفح الناس رجلا رجلا ، فجعل لا يمر به قافلة إلا تصفحهم ، فمرت القافلة التى فيها المؤمل ، فقال له : من أنت ؟ قال المؤمل بن أميل من زوّار المهدى ، قال : إياك أردت ، قال المؤمل : فكاد والله قلبى ينصدع خوفا من أبى جعفر ، فقبض على وقال سر فسرت معه فسلمنى الى الربيع ، فدخل الربيع على المنصور فقال له هذا الشاعر قد ظفرنا به ، قال : أدخلوه قال فدخلت عليه فسلمت فرد السلام فقلت ليس ههنا إلا الخير ، فقال : أنت المؤمل بن أميل ؟

قلت نعم أصلح الله أمير المؤمنين أنا المؤمل ، فقال: أتيت غلاما غرا فخدعته فانخدع !! فقلت بل أتيت كريما فخدعته فانخدع والكريم يُخدع ، قال فكأن ذلك أعجبه. فقال أنشدنى ما قلت فيه . فأنشدته :

هو المهدىّ إلا أن فيه ... مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا يشكلان على البصير
فهذا فى الضياء سراج عدل ... وهذا فى الظلام سراج نور
ولكن فضّل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابر والسرير
و بالملك العزيز فذا أمير ... وما ذا بالأمير ولا الوزير
ونقص الشهر يخمد ذا وهذا ... منير عند نقصان الشهور
فيا ابن خليفة الله المصفى ... به تعلو مفاخرة الفخور
لأن فت الملوك وقد توافوا ... اليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى ... أتوا مابين كاب أو حسير
وجئت وراءه تجرى حثيثاً ... وما بك حين تجرى من فتور
فقال الناس ماهذان إلا ... كما بين الخليق من الجدير
لئن فات الكبير مدى الصغير ... فذا فضل الكبير على الصغير
و إن بلغ الصغير مدى الكبير ... فقد خاق الصغير من الكبير

فقال : والله لقد أحسنت ولكن لاتساوى عشرين الف درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو ذا ، قال يار بيع انزل معه فاعطه عشرة آلاف درهم وخذ الباقى . فلما صارت الخلافة إلى المهدى وولى ابن ثوبان المظالم وكان يجلس للناس بالرصافة فاذا ملأ ثوبه رقاعا دفعها إلى المهدى ، فدفعتُ اليه رقعة فلما دخل بها ابن ثوبان وجعل المهدى ينظر فى الرقاع حتى نظر فى رقعتى ضحك ، فقال له ابن ثوبان: أصلح الله أمير المؤمنين مارأيتك ضحكت من شىء إلا من هذه الرقعة ؟ فقال: هذه رقعة أعرف سببها ، ردوا عليه العشرة آلاف فردت .

أخذ قوله فى القمر على بن الجهم فقال :

رأيت الهلال على وجهه   فلم أدر أيهما أنور
سوى أن ذاك بعيد المحل   وهذا قريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر   وما من يغيب كمن يحضر

وقال ابراهيم بن العباس :

وعابك أقوام فقالوا شبيهة   لبدر الدجى حاشاك أن تشبهى البدرا
لئن شبهوك البدر ليلة تمه   لقد قارنوا الشنعاء واقترفوا الوزرا
أيشبه بدر آفل نصف شهره   ضياء منيراً يطلع الشهر والدهرا ؟ !

و إنما نقل المؤمل فى موازنة المهدى بالمنصور قول زهير بن أبى سلمى .

قال الربيع بن يونس الحاجب : كنا وقوفاً على رأس المنصور فى يوم عيد وقد طرحت وسادة بين يديه لمجلس المهدى عليها ، والناس سماطان على مراتبهم ، إذ أقبل صالح بن المنصور الملقب بالمسكين - وهو حدث - فوقف بين السماطين فسلم وأحسن ثم استأذن في الكلام فأذن له فتكلم . قال الربيع : فلم يبلغه ذلك اليوم خطيب، فمد المنصور يده فقال : إليّ يابنى ، فلما دنا منه اعتنقه وأقعده قدامه ثم نظر فى وجوه القوم هل منهم أحد يصف كلامه وما كان منه ؟ فكلهم هاب المهدى ، فقام عقال بن شيبة. فقال : لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه ، وأبين بيانه ، وأمضى جنانه ، وأبل ريقه ، وأغمض عروقه ، وأسهل طريقه ، وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه، والمهدى أخاه ،أن يكون كما قال زهير :

هو الجواد فان يلحق بشأوهما   على تخاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل   فبالذى قدما من صالح سبقا

قال الربيع : فقال لى أبو عبد الله - وكان إلى جانبى - مارأيت مثل عقال ابن شيبة قط ، أرضى أمير المؤمنين ، ومدح الغلام، وسلم من مذمة المهدى . فقال المنصور للربيع : لا ينصرف التيمى إلا بثلاثين ألف درهم . قال أبو بكر الصولى : وأبيات المؤمل حسان لا أعرف له خيراً منها ، ولو قلت إنه لا يعد شاعراً إلا بها

ما أبعدت . وما كان يعرفها الناس و إنما شهر بقصيدته التي أولها :

شف المؤمل يوم الحيرة النظر   ليت المؤمل لم يخلق له بصر

ويقال: إنه لما قال هذا عمى فرأى فى منامه إنساناً يقول له : هذا ما تمنيت فى شعرك . ومن أحسن ما قاله المؤمل قوله :

أبهار قد هيجت لى أوجاعا   وتركتنى صبابكم مطواعا
بحديثك الحسن الذى لو حدثت   وحش الفلاة به لجئن سراعا
والله لو علم البهار بأنها   أضحت سميته لطال ذراعا

✡ ✡ ✡

وكان المنصور قد أخذ الناس بلباس قلانس طوال وأن يكتبوا فى ظهور ثيابهم (سيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وأن يطيلوا حمائل سيوفهم . فدخل أبو دلامة عليه فى ذلك الزى. فقال : كيف حالك ياأبا دلامة ؟ فقال: ما حال من صار وجهه فى وسطه ، وسيفه فى استه ، وقد نبذ كتاب الله وراء ظهره !! فأمر المنصور بتغيير ذلك الزى . ودخل أبو دلامة على أم سلمة بنت يعقوب بن مسلمة المخزومية زوجة أبى العباس السفاح يعزيها عنه فبكى وأنشد قصيدة منها :

أمسيت بالأنبار يا ابن محمد   لا تستطيع من البلاد حويلا
ويلى عليك وويل أهلى كلهم   ويلا وهولاً فى الحياة طويلا
فلتبكين لك النساء بعبرة   وليبكين لك الرجال عويلا
مات الندى إذ مت يا ابن محمد   فجعلته لك فى التراب عديلا
إن أجملوا فى الصبر عنك فلم يكن   صبرى ولا جلدى عليك جميلا
يجدون منك خلائفاً وأنا امرؤ   لو عشت دهرى ماوجدت بديلا
إنى سألت الناس بعدك كلهم   فوجدت أسمح من وجدت بخيلا
ألشقوتى أخرت بعدك للذى   يدع العزيز من الرجال ذليلا
ألشقوتى أخرت بعدك للذى   يدع السمين من العيال هزيلا

فقالت له أم سلمة : يا زند ما أصيب أحد بأمير المؤمنين غيرى وغيرك ؟ قال : ولا

سواى ، أنت لك ولد منه تتسلين به ، وأنا لاولد لى منه . فضحكت أم سلمة ولم تكن ضحكت منذ مات أبو العباس وقالت : يازند ماتدع حدا إلا أضحكته ؟ !

وأنشد أبو دلامة المنصور هذه القصيدة فأبكى الناس جميعاً وغضب المنصور غضباً شديداً . وقال : لئن سمعتك بعد اليوم تنشدها لأقطعن لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن أبا العباس كان لى مكرماً وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء يوسف صلى الله عليه وسلم بأخوته ، فقل كما قال عليه الصلاة والسلام : لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فسرى عن المنصور وضحك . وقال : قد أقلناك فسل حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن أبا العباس قد كان أمر لى بعشرة آلاف درهم وهو مريض ولم أقبضها ؟ فقال المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء كلهم وأشار إلى جماعة من حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم . فقالا : نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لابى أيوب المرزبانى : إدفعها إليه وصيره إلى هذا الطاغية ، يعنى عبد الله ابن على ، وكان قد خرج وأظهر الخلاف عليه بناحية الشام ، وجمع جمعاً كثيراً من بقايا بنى أمية وقوادهم ، وأهل البأس والنجدة . فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين إنى أعيذك بالله أن أخرج معهم فانى والله مشؤوم فقال المنصور : إن يمنى يغلب شؤمك فاخرج مع الجيش . فقال : والله ما أحب يا أمير المؤمنين ، ولا أرى أن تجرب فانى لا أدرى على أى المنزلتين تكون . فقال : دعنى فلا بد من مسيرك . فقال : يا أمير المؤمنين والله لأصدقنك إن حضرت تسعة عساكر هزمتها كلها [1] ، وإن شئت بينتها لك ؛ فاستفرغ المنصور ضحكا وأمره بالتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

وأراد موسى بن داود الخروج إلى الحج ، فقال لابى دلامة : تأهب حتى تخرج معى فى هذا الوجه وأعطاه عشرة آلاف درهم . وقال له : خلف لعيالك ما يكفيهم واخرج ؛ وإنما أراد أن يأنس به فى طريقه بحديثه وأشعاره ونوادره . فلما حضر خروج موسى هرب أبو دلامة إلى سواد الكوفة ، فجعل يشرب من

---

(١) كذا فى الأصل : ولم اهتد لمعناه . معناه ان كل العسكر التى اشترك معها هزمت فلا يريد ان يهزم جيش المنصور قبلها

خمرها و يتمتع فى نزهها ، فسأل عنه فأخبروه باستتاره فطلبه فلم يقدر عليه ، وخاف أن يفوته الحج ؛ فلما يئس منه قال : دعوه إلى النار وحر سقر وأليم عذابه . فلما شارف القادسية ، إذا هو بأبى دلامة قد خرج من قرية يريد أخرى ، فبصر به . فقال : ائتونى بعدو الله الفاجر الكذاب ، فر من الحق إلى الباطل ، ومن الحج إلى حانات الخمارين . قيدوه وألقوه فى بعض المحامل . ففعل به ، فلما ولت الابل ، صاح أبو دلامة بأعلى صوته :

يا أيها الناس قولوا أجمعين معى　　صلى الاله على موسى بن داود
كأنّ ديباجتى خديه من ذهب　　إذا تشرق فى أثوابه السود
أما أبوك فعين الجود نعرفه　　وأنت أشبه خلق الله بالجود
نبئت أن طريق الحج معطشة　　من الطلاء ومن شربى بتصريد[1]
والله مابى من خير فتطلبه　　فى المسلمين وما دينى بمحمود
إنى أعوذ بداود وتربته　　من أن أحج بكره يا ابن داود

فقال موسى : ألقوه عن المحمل فعليه لعنة الله ، ودعوه يذهب الى سقر وحر نارها ، فألقوه . ومضى موسى لوجهه ، فما زال أبو دلامة يتمتع بالنزه ، و يشرب الخمر حتى اتلف العشرة آلاف درهم ، وانصرف موسى من حجه فدخل أبو دلامة يهنئه ، فلما رآه . قال : أتدرى ما فاتك من الخير ؟ فقال : والله ما فاتنى خير ليلا ولا نهارا — يريد الشرب والقصف — فضحك ووصله .

ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده عيسى بن موسى ، والعباس بن محمد ، وناس من بنى هاشم ، فقال المهدى : يا أبا دلامة . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : اهج من شئت ممن ضمه هذا المجلس ولك الجائزة فنظر فى القوم فلم ير إلاشريفاً قريباًمن المهدى ، فقال : أنا أحد من فى المجلس ثم أنشد :

ألا أبلغ اليك أبا دلامه　　فليس من الكرام ولا كرامه

---

(١) التصريد : التقليل وفى السقى دون الرى .

اذا لبس العمامة قلت قرد وخنزير اذا نزع العمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامه

قال : فضحك المهدى وسر القوم إذ لم يسوّد بأحد منهم، فقال له المهدى: تمن . فقال : يا أمير المؤمنين تأمر لى بكلب صيد . فقال : يا ابن الفاعلة وما تصنع به ؟ فقال : إن كانت الحاجة لى فليس لك أن تعرض فيها . فقال : صدقت اعطوه كلبا ، فاعطى . فقال : يا أمير المؤمنين لا بد لهذا الكلب من كلاّب . فأمر له بغلام مملوك ، فقال : يا أمير المؤمنين أو يتهيأ لى أن أصيد راجلا ؟ فقال : اعطوه دابة ، فقال : ومن يسوس الدابة ؟ فقال اعطوه غلاماً سائساً . فقال : ومن ينحر الصيد و يصلحه ؟ فقال : اعطوه طباخاً . فقال : ومن يأويهم ؟ فقال : اعطوه داراً ، فبكى أبو دلامة وقال : ومن يمون هؤلاء كلهم ؟ فقال : يكتب له الى البصرة بمائة جريب عامرة ، ومائتى جريب . غامرة . فقال : وما الغامرة ؟ قال : التى لا نبات فيها . قال : فأنا أعطيك مائتى الف جريب من فيافى بنى أسد ، فضحك وقال : ما تريد ؟ قال : بيت المال. قال : على أن اخرج المال منه . قال : فاذاً يصير غامراً ، فاستفرغ ضحكا وقال : اذهب فقد جعلناها لك كلها عامرة . فقال : يا أمير المؤمنين ائذن لى ان أقبل يدك ، قال أما هذه فدعها . فقال : والله ما تمنع عيالى شيئا أهون عليهم من هذا ، فناوله يده فقبلها . وقد تقدم له بعض هذا حكاية مع المنصور والرواة يختلفون وهو أدب لا يخطب انكاره بالنسب .

وخرج أبو دلامة مع المهدى وعلى بن سليمان الى الصيد ، فعن لهم ظبى ، فرماه المهدى فأصابه ، ورمى على بن سليمان فأصاب كلب الصيد ، فضحك المهدى وقال لأبى دلامة : قل فى هذا شيئاً فأنشد :

قد رمى المهدىّ ظبياً شكّ بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل امـ رئ يأكل زاده

فاستفرغ المهدى ضحكا ، وأمر له بجائزة .

وكان أبو العباس السفاح مولعاً بأبى دلامة ، لايفارقه ليلا ولا نهاراً لكثرة نوادره ، وجودة شعره ، ومعرفته بأيام الناس وأخبارهم ، وكان ابو دلامة يهرب منه جهده ، و يأتى حانات الخمارين فيشرب مع اخوانه من الشعراء ، وكان يحب مجالستهم لما فيه من الراحة له وطرح الكلفة . فقال له السفاح : مالك تحيد عن مجالستنا وتهرب من مؤانستنا ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إن الفضل والشرف والعز والخير كله فى الوقوف ببابك ولزوم خدمتك ، ولكن نكره أن تملونا ، فتنغص أنفسنا من أجل ذلك ، فقال أبو العباس : لا والله ما ذلك كما ذكرت ، ولا مللتك قط ، و إنك لتعلم ذلك . ولكنك قد اعتدت حانات الخمارين ، ومجالسة أهل المجون ، ثم أمره بلزوم قصره ووكل به من يمنعه الخروج ، وأمره بملازمة المسجد الذى يصلى فيه السفاح ، حتى اضر به فقال :

ألم تعلموا أن الخليفة لزّنى   بمسجده والقصر مالى وللقصر
أصلى به الأولى مع العصر آيساً   فويلى من الاولى وويلى من العصر
ويحبسنى عن مجالس استلذه   أعلّل فيه بالسماع وبالخمر
ووالله مالى نيّة فى صلاته   ولا البر والاحسان والخير من أمرى
وما ضره والله يصلح أمره   لو آنّ ذنوب العالمين على ظهرى

فلما بلغت الأبيات السفاح . قال : دعوه وشأنه فوالله ما أفلح قط

وشرب أبو دلامة مع حماد عجرد ، فأتى المهدى بأبى دلامة فقال استنكهوه ففعلوا فوجدوا رائحة الخمر ، فأحب أن يعبث به ، فأمر الربيع أن يحبسه فى بيت الدجاج و يطين عليه الباب ، ففعل ثم أمر به بعد يومين فأخرج ملبباً بطيلسانه ، فأقيم بين يديه ، فقال : يا عدو الله أتشرب الخمر ؟ أما أنى لأقيمن عليك الحد ، ولا تأخذنى فيك لومة لائم ، فأنشأ أبو دلامة :

أمير المؤمنين فدتك نفسى   علام حبستنى وخرقت ساجى

أقاد إلى السجون بغير جرم كأنى بعض عمّال الخراج
ولو معهم حبست لكان خيراً ولكنى حبست مع الدجاج
أمن صهباء ريح المسك فيها ترقرق فى الإناء لدى المزاج
عقار مثل عين الديك صرف كأنّ شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى لقد صارت من النطف النضاج
وقد كانت تحدثنى ذنوبى بأنى من عقابك غير ناج
على أنى وإن لاقيت شراً لخيرك بعد ذاك الشر راج

فأمر به فأقيم عليه الحد ثم أمر له بأربعة آلاف درهم ، فلماولى قال الربيع : يا أمير المؤمنين أما سمعت قوله :

وقد طبخت بنار الله حتى لقد صارت من النطف النضاج

قال : بلى فما يعنى بذلك ؟ قال : يعنى به الشمس . قال : ردوه نسأله عن ذلك . فلما حضر قال له المهدى : ماتعنى بنار الله ؟ أتعنى بها الشمس ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ولكن نار الله الموقدة ، التى تطلع على فؤاد الربيع مؤصدة ، وعلى من أخبرك أنى عنيت بها الشمس مطبقة ، فضحك المهدى وجلساؤه وعفا عنه ، فذهب

وخرج الربيع إلى أصحاب المنصور وهم بالباب ، وقد هرب منه سلم غلامه ، فقال لهم : أمير المؤمنين يقرئكم السلام ، ويقول لكم إن غلامى سلما قد هرب ، ومحال أن يهرب أحد من غلمانى إلا وقد أسند أمره إلى واحد منكم . فقام أبو دلامة فقال : بلغ عنا أمير المؤمنين كما بلغتنا عنه قال : نعم ! قال : أما سلم فلا نعرف خبره ولا قصته ، ولكن هذا بديع يريد الهروب . فرأى أمير المؤمنين فى أخذه ، وكان بينه وبين بديع تباعد ، فبلّغ ذلك المنصور فهرب .

وماتت حمادة بنت على بن عبد الله بن عباس ، فصار المنصور إلى شفير

قبرها ينتظر الجنازة ، وكان أبو دلامة حاضراً فقال : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ يا أبا دلامة فقال : عمة أمير المؤمنين يؤتى بها الساعة .

* * *

أخذت امرأة فى زنا وطيف بهـا على جمل ، فمرت ببعض المجان فقال لها : كيف خلفت الحاج؟ قالت : بخير وقد كانت أمك معنا ، فخرجت فى النفر الأول . وقال رجل للجماز : أشتهى أن أرى الشيطان . فقال له : أنظر فى المرآة فانك تراه . وقال له رجل : أنا وجع من دمل فىّ . قال له : وأين هى ؟ قال فى أخس موضع منى . قال كذبت لأنى لا أرى فى وجهك شيئاً . وقال له رجل : ياأبا عبدالله ، أنا رجـل جامد العين لو مات أبى ما بكيت ، ولـكن إذا سمعت الصوت الفريح من الوجه المليح ، بكيت حتى أغمى . فعـلام يدل هذا ؟ قال : على أنك لاتفلح أبدا . وقال له رجل : أردت أن أحمل أمى الى بغداد ، فخفت إن حملتها فى البحر أن تعطب ، وإن حملتها فى البر أن تتعب . قال : فخذها فى سفتجة[1] .

قال بعض جلساء المتوكل : كنا نكثر عنده ذكر الجماز حتى اشتاقه ، فكتب فى حمله من البصرة. فلما دخل عليه أفحم. فقال له المتوكل: تكلم فانى احب ان استبرئك. فقال : بحيضة أم بحيضتين يا أمير المؤمنين ؟ فضحك المتوكل. ثم قال له الفتح ! قد ولاك أمير المؤمنين على الـكلاب والقردة . قال فاسمع لى واطع فانت من رعيتى . فقال له : اذا وهب لك أمير المؤمنين جارية ، فما تصنع بها ؟ فقال : انا أعرف من نفسى ما تحتاج والله جارية إلا أن أقود عليها ، فضحك المتوكل ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فمات فرحاً ولم يصل إلى البصرة . وكان الجماز لا يدخل بيته اكثر من ثلاثة لضيقه . فدعى ثلاثة من اخوانه

---

(١) السفتجة : أن يعطى مالا لآخر وللآخر مال فى بلد المعطى فيوفيه فيستفيد من الطريق . وهذا الذى أراده الجماز

فأتاه ستة ، ووقف كل واحد على رجل وقرعوا الباب ، فنظر من كوة أسفل الباب وكذلك كان يعمل ، فعد ستة أرجل ، فلما فتح الباب دخلوا . فقال اخرجوا عني فاني دعوت أناساً ولم أدع كراكي

والجماز هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، وكانوا يزعمون أنهم من حمير صليبة نالهم سبأ فى خلافة أبى بكر وهم مواليه ، وسلم الخاسر عمه . وكان الجماز صاحباً لابى نواس حتي ماتا ، ووصف أبا نواس. فقال : كان أظرف الناس منطقاً ، واغزرهم أدبا ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جوابا وا كثرهم حياءاً وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النغمة والشادة ، ملتف الأعضاء ، بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والاطراف، وكان فصيح اللسان جيد البيان، كثير النوادر وكان راوية للاشعار ، وعلامة بالاخبار وكان كلامه شعراً غير موزون . — وأقبل ابوشراعة —والجماز فى حديثه ، وكانت يدأبى شراعة كأنها كربة نخل،[٢] وكان أقبح الناس وجهاً ، فقال الجماز : فلو كانت أطرافه على أبى شراعة لتم حسنه . فغضب أبو شراعة فبصق الناس فى وجهه

وابو شراعة شاعر مجيد وهو القائل : —

بنى رباح أعاد الله نعمتكم خير المعاد واسقى ربعكم ديما
فكم به من فتى حلو شمائله يكاد ينهلّ من أعطافه كرما
لم يلبسوا نعمة لله مذ خلقوا إلا تَلَبَّسها اخوانهم نعما

قال أبو العباس المبرد : وكان أبو شراعة حليما مألوفاً ، جميل الخلق كريم العشرة ، وكان يقول من الشعر ما يجانب به مذاهب المحدثين ، و يقترف طريق الماضين وأهل البادية ، فشعره عربى محض ، واسمه احمد بن محمد بن شراعة القيسى ومن شعره : —

---

(٢) كرب النخل : أصول السعف الغلاظ العراض .

تقول ابنة البكرى حين أؤبها ... هزيلا و بعض الآيبين سمين
لك الخير لا يدخل لأهلك رحله ... فانك فى القوم الكرام مكين
ذرينى امت من قبل حلى محلّة ... لها فى وجوه السائلين غضون
وافدى بمالى ماء وجهى فاننى ... بما فيه من ماء الحياة ضنين
فقالت لحاك الله لا تنى جانباً ... فقلت لاخوانى الكرام عيون

وله يهجو احمد بن المدبر وأخاه ابراهيم :

حجاب ابن المدبر كسروىّ ... كذاك حجاب كسرى أزدشير
شهدت بأنه من آل كسرى ... سلوه هل شهدت له بزور
كفاك شهادتى بالحق لولا ... تضاحك من أرى حول السرير
فان يكن آلمدبر جر مقياً (١) ... فلست بذاكر أهل القبور

وكتب الى سعيد بن موسى بن سعيد بن سلم الباهلى ، يستهديه نبيذا ، ووجه اليه بقرابة فى غلاف :

اليك ابن موسى الخير أعملت ناقتى ... مجللة أثناء خوص جلالها
كتوم الدعا لا تشتكى ألم السرى ... سواء عليها موتها واعتلالها
إذا سقيت ابصرت ما جوف بطنها ... و إن تركت لم يبد منها هزالها
و إن حملت حملا تحملت حملها ... و إن حط عنها لم تقل كيف حالها
بعثنا بها تسمو العيون وراءها ... إليك وما يخشى عليها كلالها
وغنى مغنينا بصوت فشاقنى ... متى راجع من أم عمرو خيالها
أحب لكم قيس بن عيلان كلها ... و يعجبنى فرسانها ورجالها
ومالى لا أهوى بقاء قبيلة ... أبوك لها بدر وأنت هلالها

وللجماز مقطعات ملاح ، فى ضروب الهجاء والامتداح ، منها قوله فى خصى كان يكايده على قينة يسمى رباح :

---

(١) يريد أنه ليس بعربى فان الجرامقة قوم من العجم صاروا الى الموصل فى أوائل الأسلام .

مالخصى رباح ... والغوانى المـلاح
أليس زانٍ خصى ... غاز بغير سلاح

وفى مثله يقول ابن الرومى :

معشرأشبهوا القرودولكن ... خالفوها فى خفة الأرواح
نمشة فوق صفدة فتراه ... كونيم الذباب فى اللفاح

قال الجاحظ : فى الخصى عشرة أحوال متضادة ؛ لم يخرج من ظهره مؤمن ، ولا خرج من ظهر مؤمن ، وهو أكثر الناس غيرة ، وأشدهم قيادة ، وهوأضعف الناس معدة ، وأشرههم على طعام.وهو أسوأ الناس أدباً ، وهو يعلم الأدب ، وهو أغزر الناس دمعة وأقساهم قلباً ، وما خلا قط معامرأة إلا حدثته نفسه أنه رجل ، ولا خلا مع رجل إلا حدثته نفسه أنه امرأة .

وقال الجماز لبعض المسجديين :

تركت المسجد الجامع ... والترك له ريـبه
فـلا نافـلة تأتى ... ولا تشهد مكتوبه
وأخبـارك تأتينـا ... على الأعلام منصوبه
فان زدت من الغيب ... زدناك من الغيبــه

ومثله قول أبى القاسم اسماعيل بن عباد ، فى مغن يعرف بابن غراب :

أقول قولا بلا احتشام ... يقبله كل من يعيبه
ابن غراب اذا تغنّى ... فانى منه فى ريبه

وقال الجماز فى المتوكل :

قالوا امتدحت الامام قلت لهم ... أخاف ان لا أحدّه بصفه
وكيف يعطى على المدائح من ... كان أبو السمط عنده طرفه
كأنّ انشادنا مدائحه ... انصاف كتب ليست بمؤتلفه

أخذه من قول أبى تمام :

أزكت عليك شهاب نارٍ فى الهوى   بالعذل وهناً أخت آل شهاب
عـذلا شبيهاً بالجنون كأنما   قرأت به الورهاء نصف كتاب

وكان أبو السمط بن أبى حفصة ، أثيراً (١) عند المتوكل ، وكان على بن الجهم يقع فيه لمنزلته عند المتوكل وحسده له . فأغرى بينهما يوماً فقال لحمدون النديم : أيهما أشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين طرحتنى بين لحيي أسدين · قال : لتقولن . قال أعرفهما بالشعر أشعرهما . فقال المتوكل : يا على قدحكم حمدون عليك . قال : علم رأيك فيه فساعدك . فقال المتوكل : تهاجيا . فقال على : قد كظنى الشراب ، فاذا أفقت قلت . فقال أبو السمط بديهاً :

إن ابن جهم فى المغيب يسبنى   ويقول لى حسناً إذا لاقانى
إن ابن جهم ليس يرحم أمه   لو كان يرحمها لما عادانى

فضحك المتوكل وانخذل ابن الجهم ، فقال أبو السمط :

لعمرك ماجهم بن بدر بشاعر   وهذا علىّ بعده يصنع الشعرا
ولـكن أبى قد كان جاراً لأمه   فلما تعاطى الشعر أوهمنى أمرا

ولما أفاق على بن الجهم من سكره قال :

بـلاء ليس يشبهه بـلاء   عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه   ويرتع منك فى عرض مصون

ودخل الضبى على عبد الله بن طاهر . فأنشد شعرا حسنا وبحضرته أعرابى . فقال الأعرابى : ممن تـكون ؟ قال : من العجم · قال : وما للعجم والشعر وإنما الشعر للعرب ، وكل من قاله من العجم فإنما نزا على أمه أعرابى . فقال : وكذلك من لايقول الشعر منكم ، فإنما نزا على أمه عجمى إذاً ؟ فأفحمه .

ودخل الجماز على بعض ولاة البصرة فأنشده :

اثكلتنى الـبر وعنيتنى   ما كان هـذا أملى فيـكا

(١) أثيراً من الاستئثار : يريد أنه من خلصائه

لا تنتفى بعـد ما رشتنى   فانى بعض أياديكا

فضحك ثم قال : ثم ماذا ؟ فقال : ثوب سمرقندى هو ؟ أنشدك إياه مزارعة.

٭٭٭

وقيل لعقيل بن علقمة : لم تقصر شعرك ؟ فقال : يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق . وقيل لآخرمثل ذلك . فقال : لم أر المثل السائر إلا بيتاً واحدا . ولم يكن للجماز حظ فى التطويل ، و إنما كان يقول البيتين والثلاثة ، و إنما قال بيتاً واحدا :

وقعنا من أبى خِزْىٍ   على خِزْىٍ من الخزى

لم يقل غير هذا ، وكذلك ابن بسام ، ومنصور بن اسماعيل الفقيه . والمصريون يقولون : احذر منصورا إذا رمح بالروح . وهو القائل لما ذهب بصره وجفاه الاخوان والرفقاء :

من قال مات ولم يستوف مدته   بعظم نازلة نالته مضرور

وليس فى الحق أن يحيى فتى بلغت   به نهاية ما يخشى المقادير

فقل له غـير مرتاب بفعلته   أو سوء مذهبه قد عاش منصور

ومن ظريف شعره :

تكاد تضيق الأرض عنه برحبها   إذا نحن قلنا خيرنا الباذل السمح

فان قيل من هذا البغيض أقل لـكم   على شرط كتمان الحديث هو الفتح

وقال منصور :

يامن يرى المتعة فى دينه   حلاً و إن كانت بلا مهر

ولا يرى تسعين تطليقة   تبين منها ربة الخدر

من ههنا طابت مواليكم   فاجتهدوا فى الحمد والشكر

وقال :

أبى الناس أن يَدْعوا موسراً   سليم الأديم سليم النسب

وقد خبروك فان لم تطب   بعرضك نفساً فطب بالذهب

وقال :

يامن تولى فأبدى لنا الجفا وتبدل
أليس منك سمعنا من لم يمت فسيعذل

وأتى باب بعض الأشراف الرئيسيين ، فحجبه خادم اسمه شقيف فقال :

إذا وقع الضرير على خصيٍّ فقد وقع المصاب على مصاب

وكان أم هذا الشريف أمة ثمنها ثمانية عشر ديناراً ؛ فعتب على منصور فقال :

من فاتني بأبيه ولم يفتني بأمه
ورام شتمي ظلماً سكت عن نصف شتمه

فدفع اليه مائة دينار. وقال : أسكت عن الجميع . فانظر أعزك الله البايغ إذا شاء كيف يجعل الجد هزلا ، والمعرَّى مُحَلّى ، وهذا المعنى إنما اهتدى إليه من قول عنترة بن شداد العبسى وأمه أمة سوداء اسمها زبيبة :

إنى امرؤ من خير عبس منصباً شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

وسأستقل إن شاء الله ، ذكر ابن بسام ، ونقل ظريف ماله فى غير هذا الموضع.

٭ ٭ ٭

وكتب ابن الكلبى صاحب الخبر : إلى المتوكل أن المعروف بابن المغربى القائد اجتاز البارحة بالجسر سكران ، فشخر ونخر ، وبربر وزمجر وجرجر ، وبأبأ بفيه ، وخرق الشريحة ومرمنصلتاً . وقال : أنا الكركدن فاعرفونى . فضحك المتوكل حتى استلقى . وقال : قد عرفنا ما كتب به البغيض إلا حرفاً واحداً فعلىَّ به ، فلما جاء قال : مامعنى قولك بأبأ بفيه ؟ قال : يامولاى لما توسط الجسر قال بفيه : بب بب . فقال له المتوكل : انصرف فى غير حفظ الله .

وركب المأمون ليلا فاذا بثمامة بن أشرس سكران ، فلما علم بالمأمون توارى عنه ، فقصده المأمون حتى وقف عليه . فقال : ثمامة ؟ قال : أى والله . قال : أسكران ؟ قال : لا والله . قال : فمن أنا ، قال : لاأدرى والله . قال : عليك لعنة الله . قال : تترى إن شاء الله . فضحك وتركه

ولما فرغ المهدى من قصره بعيسا باذ ، ركب فى جماعة للنظر إليه ، فدخله مفاجأة وأخرج كل من هناك من الناس ، و بقى رجلان خفيا عن أبصار الأعوان ، فرأى المهدى أحدهما وهو دهش لا يعقل . فقال : من أنت ؟ قال : أنا أنا أنا أنا . فقال : من أنت ويلك ؟ قال : لا أدرى لا أدرى لا أدرى لا أدرى . قال : ألك حاجة ؟ قال : لا لا لا لا . قال : أخرجوه أخرج الله روحه ، فلما خرج قال المهدى لغلامه اتبعه إلى منزله وسل عنه فانى أراه حائكا ، فخرج الغلام يقفوه . ثم رأى الآخر فاستنطقه فاجابه بقلب جرىء ، ولسان طلق . وقال : رجل من أبناء دعوتك . قال : فما جاء بك إلى هنا ؟ قال : جئت لأنظر إلى هذا البناء ، وأتمتع بالنظر إليه ، وأكثر الدعاء لأمير المؤمنين بطول البقاء ، وتمام النعمة ونماء العز والسلامة ، قال : أفلك حاجة ؟ قال نعم ! خطبت ابنة عمى فردنى أبوها وقال لى : لا مال لك والناس إنما يرغبون فى الأموال ، وأنا لها وامق و إليها تائق . قال : قد أمرت لك بخمسين ألفاً . قال: يا أمير المؤمنين قد وصلت فاجزلت الصلة وأعظمت المنة ، فجعل الله باقى عمرك أكثر من ماضيه . وآخر أيامك خيراً من أولها ، وأمتعك بما أنعم به عليك ، وأمتع رعيتك بك . فامر بتعجيل صلته ووجه بعض خدمه فقال: سل عن مهنته فانى أراه كاتبا ، فرجع الرسولان بصحة ما تفرسه المهدى .

***

وأخذ رجل من لحية مدينى شيئا ، فانتظر أن يقول له قطع الله عنك القذى ، فقال له : لِمَ لمْ تقل لى قلع الله عنك الأسواء ؟ فقال المدينى : بأبى أنت وأمى إنى نظرت فلم أر شيئا أقبح من وجهك ، فكرهت أن أقول قلع الله عنك الأسواء فأكون قد دعوت عليك فيتركك الله بدنا بلا رأس .

***

قال أبو العيناء : استودع رجل عند إمام محلته قارورة زنبق فجحده إياها ، وقام يصلى بهم شهر رمضان وقرأ « قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون » وكررها . فقال الرجل : قارورة زنبق

من نوادر الخلفاء

انفرد المهدى من عسكره فاجتاز برجل على ماء ، فقال : ألك طعام ؟ قال : نعم ! وقدم إليه سفرة كانت معه ، فأكل المهدى ثم غسل يده . فقال له الرجل : أصلحك الله معى شراب فهل لك فيه ؟ قال : نعم ! فشرب . فلما انتشى قال للرجل : أتعرفنى ؟ قال : لا . قال : أنا صديق لوزير أمير المؤمنين ، وسأسأله فى أن يسبب لك أسبابا تنتفع بها ، ثم شرب قدحاً ثانياً . وقال : أتعرفنى من أنا ؟ فقال : لقدقلت إنك صديق لوزير أمير المؤمنين . فقال : أنا وزير أمير المؤمنين ، ثم شرب ثالثا . وقال : أتدرى من أنا ؟ فقال : قل لكى أرى . قال : أنا أمير المؤمنين . فسد الرجل ركوته ونحاها ناحية ، فقال له المهدى : مالك عجلت برفعها ؟ قال : شربت ثلاثة أقداح فادعيت الخلافة . فان شربت الرابعة ادعيت النبوة ، فليس بينى وبينك عمل ، فضحك المهدى وأدركته الخيل فجعلوا يترجلون ويسلمون عليه بالخلافة ، ثم ركب المهدى وأمرهم بالتحفظ على الرجل ، فلما تيقن الرجل الأمر سألهم أن يقربوه من أمير المؤمنين ، فقربوه منه . فقال : يا أمير المؤمنين نصيحة ، فأدناه ، فقال : مارأيت أصدق منك فى دعواك ، وان ادعيت الرابعة ، فأنا أول مؤمن بك . فضحك المهدى منه وأمر له بصلة وضمه إلى ندمائه .

✡ ✡ ✡

قال سفيان بن عيينة — وقد رأى اسماعيل بن جامع السهمى وعليه بزة وأثواب حسان — . فقال : لقد أثرى هذا الفتى ، فعلام يحيى ويعطى ؟ قالوا : انه يغنى هؤلاء الملوك قال : بماذا يغنيهم ؟ أتحفظون شيئا مما يقول ؟ فأنشده بعضهم :

أطوف نهارى مع الطائفين ... وأرفع من مئزرى المسبل

قال : احسن ، ثم ماذا ؟ فأنشدوه :

واسجد بالليل حتى الصباح ... وأتلو من المحكم المنزل

قال : أجاد والله ثم ماذا ؟ فأنشدوه :

عسى فارج الكرب عن يوسف ... يسخر لى ربة المحمل

فقال : آه آه أمسك عليك ؛ اللهم لا تسخرها له .

وكان ابن جامع أطيب الناس غناء ، فاعتقد بغنائه عُقداً نفيسة ، وأموالا جزيلة .
حكى عن نفسه قال : صمنى الدهر ضما شديداً وأنا بمكة ، فانتقلت بعيالى إلى المدينة ، فأصبحت يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم ، فهى فى كمى وأنا جالس مع بعض أهل المدينة على مناقشة ومذاكرة ، إذ قال بعضنا إنه ليبلغنا أن الرشيد يتشوق إليك وأنت ضائع فى بلدنا . قال : فما لى من نهوض . قالوا : نحن ننهضك. فقمت مولياً فاذا بجارية خضراء على رأسها جرة تريد الركى ، وهى تسعى بين يدى وتترنم بصوت شج فى غنائها وتقول :

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
إذا أقبل الليل المضر بذى الهوى جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم سريعاً ولا يغشى لنا النوم أعينا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فأخذ غناؤها بمجامع قلبى ، ولم أدرك منه حرفاً . فقلت : يا جارية ما أدرى أوجهك أحسن أم صوتك؟ فلو شئت أعدت على الصوت . قالت : حباً وكرامة ثم أسندت ظهرها إلى الحائط ثم غنته ، فوالله مادار لى منه حرف . فقلت : يا جارية فلو شئت أعدت على الصوت مرة أخرى . قالت : حباً وكرامة ثم أسندت ظهرها إلى الجدار ووضعت الجرة ثم غنته فوالله مادار لى منه حرف . فقلت : ياجارية لقد أحسنت وتفضلت فلو شئت أعدت الصوت مرة أخرى فغضبت وكلحت وقالت: ما أعجب أحدكم يأتى إلى الجارية عليها علة فيقول أعيدى علىَّ ، فضربت بيدى إلى الثلاثة دراهم فدفعتها إليها فأخذتها شبيهة المتكرهة وقالت : أنت تريد أن تأخذ منى صوتا أحسبك تأخذ عليه ألف دينار وألف دينار وألف دينار . فقلت: أرجو أن يؤول الأمر الى ما تحسبين ، فانبعثت تغنى وأعملت فكرى فى غنائها حتى دار لى الصوت وفهمته ، فانصرفت مسروراً الى منزلى أردده حتى خف على لسانى ، ثم اقبلت أريد بغداد ، فنزل بى المكارى على باب المحول أولا ولا أدرى

أين أتوجه ، ولا من اقصد ؟ حتى انتهى بى السير الى الجسر ، فرأيت الناس يعبرون فعبرت معهم حتى انتهيت الى شارع الميدان ، الى باب الفضل بن الربيع . فرأيت هناك مسجداً مرتفعاً . فقلت : هذا مسجد قوم سراة ، وحضر المغرب فلم البث أن جاء المؤذن، فاذن وأقام الصلاة فصليت ، ثم أقمت مكانى حتى عاد المؤذن للعشاء ، فأقام الصلاة فصليت على تعب وجوع ، ثم انصرف الناس و بقى فى المسجد رجل ، فصلى خلفه جماعة وجماعة من الخدم جلوس ، وقوم ينتظرون فراغه ، فصلى ملياً ثم انصرف الىّ بجميع جسده ، وقال لى : أحسبك غريباً . قلت : أجل وليس لى بهـذا البلد معرفة ، وليست صناعتى من الصنائع التى يتيمم بها الي أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : الغناء فوثب مبادراً ووكل بى بعض من معه ، فقلت للموكل بى : من هذا ؟ قال : سلام الأبرش . ثم انتهى الى دار من دور الخلافة فمشى بى فى دهليزها ساعة حتى انتهى الى مقصورة من مقاصيرها ، فادخلنى فيها ، ودعا لى بطعام فأتينا بمائدة عليها من كل طعام ، فأقبلت على الأكل حتى ترادّت نفسى الى ثم سمعت ركضاً فى الدهليز ، واذا انسان يقول : أين الرجل ؟ فقيل : هوذا . فقال : ادعوا له بغسول وطيب وخلعة حسنة ، ففعل ذلك بى وخلقت ، وأخذ بيدى الرجل وحملنى على دابته ، وأتى بى الى دار الخلافة ، فلم يزل يجاوز بى داراً بعد دار ، حتى انتهى الى دار فعدا فيها أسرة منصوبة بعضها الى بعض ، فلما انتهى بى الى تلك الأسرة ، أمرنى بالصعود فصعدت ، واذا رجل جالس وعن يمينه ثلاث جوار فى حجورهن العيدان ، وفى حجر الرجل عود ، فرحب بى ذلك الرجل ، واذا مجالس مخالية ؟ قد كان فيها قوم فقاموا عنها ، ثم لم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر ، فقال للرجل : تغن ، فغنى بصوت فوالله ما أحسن الغناء ولا أحسن انصوت ، وهو هذا :

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل ولم تر الشمس إلا دونها الكلل

فقام الخادم الى الجارية التى تلى الرجل . فقال : تغنى ، فغنت بصوت لين كانت

فيه أحسن من الرجل حالا ، ثم قال للثانية فغنت ، وللثالثة فغنت بصوت لحنين ، ثم عاد الخادم فقال لى : تغن رحمك الله ! فغنيت بصوت الرجل على غير ما غناه ، فاذا نحو من خمسين خادماً يحضرون الى الأسرة ، فقال لى : ويحك لمن هذا الغناء ؟ قلت لى : فانصرفوا وخرج الخادم فقال : كذبت هذا الغناء لاسماعيل ابن جامع . قال . فسكت ، ثم دار الدور فلما انتهى الى خرج الخادم فقال : تغن رحمك الله ! فقلت فى نفسى أى شىء انتظر ، فاندفعت أغنى بصوت لا يعرف إلا لى :

عوجى علىّ فسلمى جبر كيف الوقوف وأنتم سفر
ما نلتقى إلا ثلاث منًى حتى يفرّق بيننا الدهر

قال : فزلزلت عليهم الدار ، وخرج الخادم فقال : لمن هذا الغناء ؟ فقلت لى . فقال : كذبت هذا غناء اسماعيل بن جامع ، فما شعرت إلا وأمير المؤمنين وجعفر ابن يحيى قد اقبلا من وراء الستر الذى كان يخرج منه الخادم. فقال لى الربيع : هذا أمير المؤمنين قد أقبل عليك فلما صعد السرير وثبت على قدم أمير المؤمنين اقبلها فقال: ابن جامع ؟ قلت : ابن جامع ، جعلنى الله فداك . قال: اجلس يا ابن جامع. وجلس أمير المؤمنين وجعفر فى المواضع الخالية . فقال لى : يا أبن جامع ابشر وأبسط أملك ، فدعوت له . ثم قال لى : غن يا أبن جامع ، فخطر ببالى صوت الجارية المدنية فغنيته ، فنظر أمير المؤمنين إلى جعفر. وقال : اسمعت كذا قط ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما خرق سمعى مثل هذا ، فرفع الرشيد رأسه إلى خادم وقال له : كيس فيه الف دينار ، فمضى الخادم فلم يلبث أن جاء بكيس فيه الف دينار ، فصيرته تحت فخذى. ثم قال : يا إسماعيل غن ما حضرك ؛ فاقبلت اقصد الى الصوت بعد الصوت ، فلم ازل كذلك إلى أن عسعس الليل ، فقال : يا اسماعيل قد اتعبناك هذه الليلة للسرور بغنائك ، فاعد على أمير المؤمنين الصوت الذى تغنيت أولا فغنيته ، فرفع رأسه الى الخادم. فقال له : كيس فيه الف دينار ، فذكرت قول الجارية لى «إنى أحسبك تأخذ فيه الف دينار والف دينار والف دينار » ثم قال : انصرف ، فبقيت لا أدرى

اين أقصد فى ذلك الوقت ؛ فما هو إلا أن نزلت عن الأسرة حتى وثب إلى فراشان فاخذ أحدهما بيدى فمضيا بى ولا أدرى إلى اين يتوجهان ، حتى وقفا على باب دارى هذه ، فاذا أمير المؤمنين قد أمر سلاماً الابرش فاتباع دارا ، وحشاها بالجوار والخدم والوصفاء والفرش والطعام والشراب . ورفع إلى احدهما اضبارة مفاتيح . فقال : ادخل بارك الله لك . هذا مفتاح بيت مالك، وهذا مفتاح حجر جواريك ، وهذا مفتاح بيت فرشك وآنيتك ، فدخلت الدار وأنا أيسر أهل بغداد وأحسنهم حالا ، والحمد لرب العالمين

✡ ✡ ✡

ومن مليح ما جاء فى المغنيات والغناء قول بشار بن برد :

وصفراء مثل الزعفران شربتها ... على وجه صفراء الترائب رود
حسدت عليها كل شىء يمسها ... وما كنت لولا حسنها بحسود
كأنّ مليكا جالساً فى ثيابها ... تؤمل رؤياه عيون رقود
من البيض لم تسرح على أهل ثلة ... سواماً ولم ترفع حداج قعود
إذا نطقت صحنا وصاح لها الصدا ... صياح جنود واجهت لجنود
تميت به ألبابنا وقلوبنا ... مراراً وتحييهن بعد همود
ظللن بذاك الديدن اليوم كله ... كأنا من الفردوس تحت خلود
ولا بأس إلا أننا عند أهلها ... شهود وما ألبابنا بشهود

وقال :

لعمر أبى زوّارها الصيد أننا ... لفى منظر منها وحسن سماع
تصلّى لها آذاننا وعيوننا ... إذا ما التقينا والقلوب دواعى

وقال :

وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش ... ببؤس ولم تركب مطيّة راعى
جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها ... لزوّارها من مزهر ويراع
إذا قلّدت أطرافها العود زلزلت ... قلوباً دعاها للوساوس داع

كأنهمُ فى جنّة قد تلاحقت محاسنها من روضة و بقاع
يروحون من تغريدها وحديثها نشاوى وما تسقيهم بصواع
لعوب بألباب الرجال إذا رنت أضيع التقى والغىّ غير مضاع

***

والشعر فى هذا المعنى واسع الذرع ، سابغ الدرع ، ولأبى الفتح كشاجم فيه كل شىء مليح ، فمن ذلك قوله :

جاءت بعود كأنّ الحب أنحله فما يرى فيه إلاّ الوهم والشبح
فحركته وغنت فى الثقيل لنا صوتا به النار فى الأحشاء تنقدح
بيضاء يحضر طيب العيش إن حضرت و إن نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللّباس عليها معرض حسن وكل ماتنغى فيه مقترح(١)

وهذا مقول عبد الله بن المعتز :

وغنت فأغنت عن المسمعين وارتج بالطرب المجلس
محاسنها نزهة للعيون ومعرضها كلّما تلبس

ولأبى الفتح :

جاءت بعود كأنّ نغمته صوت فتاةٍ تشكو فراق فتى
محنّف حفت النفوس به كأنما الزهر حوله نبتا
دارت ملاويهِ فيه واختلفت مثل اختلاف اليدين شبكتا
لو حركته وراء منهزم على بريد لعاج والتفتا
ياحسن صوتيهما كأنهما اختان فى صنعة تراسلتا
تراه عنها ينوب إن سكتت طوراً وعنه تنوب إن سكتا

وله :

آه من بحة بغير انقطاع لفتاة موصولة الايقاع
أتعبت صوتها وقد يجتنى من تعب الصوت راحة الاسماع

---

(١) فى الاصل : معرب حسن والتصحيح عن ديوان المعانى

فغدت تكثر السجاح وحطت طبقات الأوتار بعد ارتفاع
كأنين المحب ضعف منه صوت شكواه شدة الأوجاع

وله:

اشتهى فى الغناء بحة حلف ناعم الصوت متعب مكدود
لا أحب الأوتار تعلو كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود
وأحب المحببات كحبى المبادى موصولة بالنشيد
كهبوب الصبا توسط حالا بين حالين شدة وركود

وله أيضاً :

غنت فظلت حالتى طرباً أسمو إلى الأفلاك حين رقا
لو لم تحركه أناملها كان الهواء بقيده نطقا
جسته عالمة بجستها جس الطبيب لمدنف عرقا
فحسبت يمناها وقد ضربت رعداً وخلت يسارها برقا

وأبو الفتح كشاجم هذا اسمه محمود بن الحسن بن السندى ، من أهل هذه الصناعة وله فى الغناء كتاب مليح ، وقد دل على فعاله بمقاله :

أفدى التى كلف الفؤاد مزاجها بالعود حتى شفنى إطرابا
باهت بجمع صناعتين فأظهرت كبرا لذاك وأعجبت إعجابا
قالت فضلتك بالغناء وأنت لا تشدو وكنّا مثلكم كتّابا
فعبثت بالأوتار حتى لم أدع نغماً ولم أعقل لهنّ حسابا
وألفتها فأغار ذاك على يدى قلمى وعاتبها عليه عتابا
فجعلت للقرطاس جانب صدره وجعلت جانب عجزه مضرابا

وكان كامل آلات الظرف ، جامعاً لخلال الأدب واللطف ، وله تآليف ملاح تدل على معرفته وتوسعه ، وقد ذكروا أنه سمى نفسه كشاجم لما يعلمه، فالكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجم ، والميم من مغن .

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم :

لقد جاد من غانية ضربها   وزاد كما زاد تغريدها
اذا نوت الصوت قبل الغنا   ء انشدنا شعرها عودها

وقد قال استاذه ابن الرومى فى نحوه :

ضربك فى عودك لم يخرجا   عن حاله والعود فى الضرب
كأنما وقعهما فى الحشا   وقع الحيا فى زمن الجدب

اخذ هذا ابو الحسن المنجم بن يوسف المصرى فقال :

غنّت فاخفت صوتها فى عودها   فكأنما الصوتان صوت العود
غيداء تأمر عودها فيطيعها   ابدا ويتبعها اُتباع ودود
اندى من النّوار صبحاً صوتها   وأرق من نشر الثنا المعهود
فكأنما الصوتان حين تمازجا   ماء الغمامة وابنة العنقود

ومثل هذا

سلامة بن سعيد يجيد حث الراح
اذا تغنى زمرنا عليه بالأقداح

وقال الناجم

تأتى أغانى عابث   ابدا بأفراح النفوس
تشدوا فترقص الرؤو   س لها وتزمر الكؤوس

وقال :

وما صدحت عابث ومزهرها   إلا وثقنا باللهو والفرح
لها غناء كالدعاء فى جسد   أضناه طول السقام والترح
تعيره الراح فهى ما صدحت   ابريقنا ساجداً إلى القدح

وقال :

اذا انت ميزت بين الغناء   ميزتها الأحذق الأطيبا

تهـز القريض بألحانهـا　　كما هزت الغصن ريح الصبا

وقال :

ما تغنت إلا تكشف همٌّ　　عن فؤاد وأقلعت أحزان
تفضل المسمعين حسناً وطيباً　　مثل ما يفضل السماع العيان

وقال :

ما نطقت عابث ومزهرها　　إلاّ ظللنا للراح نعملها
تطلب أوتارها الهموم بأو　　تارها فما تستفيق تقتلها

وقال :

لهـا غناء مطرب معجب　　يفعل ما تفعـله الخمـره
تشوق الأذن الى شدوها　　تشوق العين الى الخضره
كأنما فرحة من زارها　　فرحة من طارت له القمره
لو أن اسحاق شدا شدوها　　لخلت من يسمع فى سحره
منـدرة فى كل ألحانهـا　　لا كالتى تحسن فى الندره

وقال :

لقد برعت عابث فى الغنا　　ء وزادت فاربت على البارع
يسبح سامعهـا معجبـا　　وأصواتها سبحة السامع

وقال :

شدو ألذ من ابتـدا　　ء العين فى إغفائها
أحلى وأشهى من منى　　نفس، وصدق رجائها

وقال ابن الرومى فى بستان جارية أم على بنت الراسبى :

واهاً لذاك الغناء من طبق　　على جميع الأنام مقتدر
أضحت من السا كنى حفائرهم　　سكنى الغوالى مداهن السرر
يا مشرباً كان لى بلا كدر　　يا سمراً كان لى بلا سهر

أصبحت بالترب غير راجحة   عنه وقد ترجحين بالبدر

وتبعه الناجم ، فقال فى عجاب جارية أبى مروان :

أضحى الثرى بجوارها   عطر المسالك والمسارب
حلّت حفيرتها حلو   ل المسك فى سرر الكواعب
يادرّة كانت تضى   ء لناظرى من كل جانب

وهذا من قول بشار :

درة حيثما أديرت أضاءت   ومشم من حيث ما شمّ فاحا
وجنان قال الآله لها كو   نى فكانت رَوْحا ورُوحا وراحا

وله

تلقى بتسبيحة من حسن ماخلقت   وتستفز الورى حتى بارغاد
كأنما صوّرت من ماء لؤلؤة   فكل جارحة وجه بمرصاد

والبيت الاول من هذين قد تقدم نظيره من قول الناجم .

***

رجع ما انقطع ، فمن ظن به خير فانكشف عن شر ، قال يزيد بن هارون : كنت بالحيرة فرأيت شيخا عليه طيلسان وعلى رأسه طويلة وله سمت حسن ، فرجوت أن يكون عنده حديث فقلت: ياشيخ عندك حديث ؟ فقال: أما حديث فلا ولـكن عندى قديم طيب ، فاذا هو خمار وسأل العقيق فى بعض السنين فخرج الناس إلى الصحراء وفيهم سفيان الثورى، فلما كثر الناس انكفأ يريد منزله فبصر بشيخ ضرير قد اهدف على المائة وبيده عصا يتنحرق صفوف النساء وهو يبكى بكاء شديدا، فظن سفيان أن بكاءه لما فرط له معهن. فنظر اليه حتى إذا صار فى آخر الصفوف جنح على محجنه واستقبلهن بوجهه، وكفكف عن عبرته وأنشأ :

عليكنّ السلام فليس منى   لـكنّ فدعننى غير السلام
تخالفت العصا لتشد ظهرى   وتجبر عثرتى عند القيام

فقال له سفيان : أما كان لك فيما مضى من عمرك عظة عن معاصى الله عز

وجل ؟ فقال : بأبى أنت تمنعنى من تلك الحوراء الطرف ، الوافية الردف ، الحسنة التبختر ، الوافية التكسر ، كالظبى الغرير ، والمهاة عند الغدير ، التى يقول فى صويحباتها الشاعر :

يأخذن زينتهن أحسن ما يرى   فاذا عطان فهنّ خير عواطل
يرميننى لا يستترن بجنـة   إلا الصبا وعلمن أين مقاتلى
يلبسن أردية الثياب لأهلها   ويجر باطلهنّ جيـد الباطل

فمضى سفيان يستعيذ بالله منه . ومثل قوله قول كشاجم :

يقولون تب والكاس فى يد أغيد   وصوت المثانى والمثالث عالى
فقلت لهم لو كنت عاينت توبة   وعاينت هذا فى المنام بدا لى

❊ ❊ ❊

وما جرى هٰهنا شوطا فى ظريف الصفات ، يطيب مغناه ويحسن معناه . قال أشجع بن عمرو :

وماجت كموج البحر بين ثيابها   يميل بهـا شطر ويعدلها شطر
إذا وصفت ما فوق مجرى وشاحها   غلائلها ردت شهادتها الأزر

البحترى :

رددت ما خفقت منها الخصور الى   ما فى المـآزر فاستقللن أردافا
إذا نضون شغوف الريط آونة   قشرن عن لؤلؤ البحرين أصدافا

ابن الرومى :

النار فى خديه تتقد   والماء من برديه يطرد
ضدان قد جمعا كأنّهما   دمعى يسيح ولوعتى تقد

وثاب :

صدور فوقهنّ حقاق عاج   ودرّ زانه حسن اتساق
يقول القائلون إذا رأوه   أهذا الدر من تلك الحقاق ؟

أخذه من قول عبد الله بن السمط :

كأنّ الثدى إذا ما بدت　　وزان العقود بهنّ النحورا
حقاق من العاج مكنونة　　حملن فى الدر شيئا يسيرا

ابو النجم الكاتب :

فيا عجبى من صورة آدمية　　علاها بياض الشمس فى صفرة القمر
فجاءت كمثل الدر يشرق لونها　　وريحانة البستان للشم والنظر
يذكرنى رؤياك ريحاً مريضة　　جرت بنسيم الروض فى غلس السحر

ابن الرومى :

فالعين لاتنفك من نظر　　والقلب لاينفك من فكر
ومحاسن الأشياء فيك معا　　فملالتيك ملالتى بصرى

وقال :

لاشىء إلا وفيه أحسنه　　فالعين منه اليه تنتقل
فوائد العين فيه طارفة　　كأنما أخرياتها الأول

وقال عبد القادر بن شعيب السلمى :

ياحصن مسلمة الذى أهدى لنا　　حور الظباء سقيت صوب الماطر
قد كان يبلغنى فكنت مكذباً　　عن حسن أهلك فى الزمان الغابر
حتى رأيت الشمس أشرق نورها　　فى الحى بين خلاخل وأساور
ورأيت غزلان الخدور سوافرا　　يبسمن عن كالأقحوان الزاهر
فجنيت من ثمر الصبابة والهوى　　وشممت من ورق السرور الناضر
فرمين منى مقتلا فقتلننى　　يامن رأى ليثاً قتيل جآذر

ومر أعرابى بأبى نواس وهو ينشد بعض الأمراء:

ويلى على نجل العيو　　ن النهد والقب البطون
الكاتبات عن الضم　　ير لنا بألسنة الجفون

فقال الأعرابى . ويلك أنت وحدك من هذا ؟ بل ويلى أنا وويل أبى وأمى وبنى عمى ، وهذا الفاعل القائم بين يديك

كان رجل من التجار له ولد يتقعر فى كلامه و يستعمل الغريب فجفاه أبوه استثقالا له وتبرماً به ومما كان يأتى به . فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت . فقال: أشتهى أن أرى ولدى فأحضروهم بين يديه وأخر هذا ثم أخر حتى لم يبق سواه فقالوا له : ندعو لك بأخينا فلان ؟ فقال : هو والله يقتلنى بكلامه ، فقالوا : قد ضمن أن لايتكلم بشيء تكرهه ، فأذن لهم فلما دخل قال : السلام عليك ياأبت قل أشهد أنْ لا إله إلا الله وإن شئت قل أشهد أنَّ لا إله إلا الله فقد قال الفراء : كلاهما جائز والأولى أحب إلى سيبويه . والله يا أبت ماشغلنى غير أبى علىّ فانه دعانى بالأمس : فأهرس وأعدس ، وأرزز وأوزز ، وسكبج وسبج ، وزر بج وطهيج ، وأبصل وأمصر ، ودجدج وأفلوذج ولوزج. فصاح أبوه العليل : السلاح السلاح صيحوا لنا بجارنا الشماس لأوصيه أن يدفننى مع النصارى وأستريح من كلام هذا البندوق .

وهاج بأبى علقمة النحوى دم فأتوه بحجام . فقال له : أشدد قصب المحاجم ، وأرهف ظبا المشارط . وأسرع الوضع ، وعجّل النزع ، وليكن شرطك وخزاً ، ومصك نهزاً ، ولا تكرهنّ آبيا ، ولا تردن آتيا فقال الحجام : ابعث خلف عمرو بن معديكرب ، وأما أنا فلا طاقة لى بالحرب . وهاج به مرار فسقط فأقبل قوم يعضون ابهامه ، و يؤذنون فى أذنه ، فقام من غمرات غشيته . فقال : مالكم تتكأكئون على كتكأكئكم على ذى جنة : افرنقعوا عنى . فقال بعضهم : اتركوه فان جنيته تتكلم بالهندية .

وقال ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بن اليتيم : كنت أماشى أبا جعفر ابن النحاس حتى وقفنا على بائع تمر ، فقال له ابو جعفر : كيف تبيعنى ؟ قال : ثلاثة ونص بدرهم . قال له قل ثلاثة ونصف بدرهم . قال ثلاثة و نَصف بدرهم . فقال له : قل ثلاثة ونصف بالكسر ، فضجر وقال : و نصف افرغ لسانك فنحن فى

يبيع وشراء لسنا فى نحو . قال فاجعله أربعة ؟ قال أفعل يابغيض ، فوزن له بدرهم فقال له ابو جعفر : أدر الصنجة من الكفة إلى الكفة ، فقال أنا أعرف ابن النحاس فانه أحمقكم . قال ابن اليتيم فقلت له : أبيت أن تنصرف إلاّ مصفوعا .

وكان ابو العياس مليح الشعر وهو القائل :

لا لأنى أنساك أكثر ذكرا   ك ولكن بذاك يجرى لسانى
أنت فى القلب والجوانح والرو   ح وأنت المنا وأنت الأمانى
كل عضو منى يراك من الشو   ق بعينٍ غنيةٍ عن عيانى

ودخل بستان حسين بن الماذرانى فعلق بثوبه غصن ورد فقال :

علق الورد بى وقال إلى أيـ   ـن وعندى روائح الأحباب
قلت آليت لا أشمك حتى   أتروى من الثنايا العذاب

وقال :

يا زائرى فى ظلمة الليـ   ـل البهيم على وجلْ
حافٍ وقد جعل القناع   على النهار من الخجلْ
هلاّ انتعلت بوجنتىَّ   فكان يضرب بى المثل
سبحان من جعل الخدو   د عَذاب قلبى والمقل

✡✡✡

قال خالد بن صفوان للفرزدق : يا أبا فراس لو رأينك صويحبات يوسف لما أكبرنك ولا قطعن أيديهن ؟ ! فقال : وأنت ياخالد لو رأتك صاحبة موسى لما قالت يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القوى الأمين .

ووهب رجل لابن سيابة ديناراً ثم بعث اليه ليأنس به ، فكتب إليه : شغلتنا أموالنا وأهلونا . وجاور ابن سيابة قوماً فأزعجوه . فقال : ولم تخرجونى من جواركم ؟ قالوا : أنت مريب ، قال : فمن أذل من مريب وأحسن جواراً . وفيه يقول عتبة الأعور :

يا ابن الذى عاش غير مهتضم   يرحمه الله أيّما رجلِ

له رقاب الملوك خاضعة ما بين حاف منهم ومنتعل
أبوك أوهى النجاد عاتقه كم من كمىٍّ أردى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه لم يمس من دائر [1] على وجل
في كفه صارم يقلّبه يقدّ أعناق سادة نبل

وهذا بديع فى وصف حجام .

وقال آخر يصف حجاماً :

له حَوْنة فيها ثلاثون مخلباً مناقيرها بيض وأجوافها حمر
إذا عوّج الكتّاب يوماً سطورهم فليس بمعوجٍّ له أبداً سطر

وقد قال بعض المزينين :

قصصت بموسى الغدر ناصية العهد وأجريت شرط البين فى جبهة الود
قططت بمقراض الجفا طرّة الوفا فجبهة وجه الود مكشوفة الجلد
وما زلت مصّاصا بجمجمة القِلَى أخا النأى فى العتبى على القرب والبعد

ولأهل الصناعات من طريق صناعاتهم كلام مستظرف ، وربما اتفقت الاستعارة مطردة للشاعر على معنى فى صناعة حتى كأنه عانى تلك الصناعة بما جرى على لسانه من البراعة ، فى وصف حقائقها ، ونعت طرائقها كقول عبدالله ابن العباس بن الفضل بن الربيع :

عرست الهوى حتى اذا أورق الهوى فأينع فى أغصانه ثمر الوصل
وحفّت به أنهاره فى غياضه فأصبح ملتفّ الحدائق بالجمل
ولم يبق إلا المجتنَى من ثماره سرور التصافى والمودة والبذل
أطاف بنا ريح الوشاة فهيّجت سحابة هجران تكف على رسل
فمالت عزاليها عليه فأحرقت غصون الهوى والود منّا بلا دخل
ودبّت سيول الهجر حول أصوله فأغصانه فاستقلعته من الأصل

(١) كذا فى الأصل : ولعه من زائر

قال على بن هشام :

حصد الحبيب وصالنا بمناجلٍ طبع المناجل من حديد البين
والشوق يطحنه بأرحية الهوى والعين تعجنه بماء العين
والقلب يخبزه بنيران الأسى والنفس تأكله بلَوْن لوْن

قال الجاحظ سألت ورّاقا عن حاله ؟ فقال : عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، ووجهى عند الناس أشد سواداً من الحبر بالزاج ، وحظى أخفى من شق القلم ، وجسمى أضعف من قصبة ، وطعامى أمضُّ من الحبر ، وشرابى أمر من العفص ، وسوء الحال ألزم بى من الصمغ ، فقلت : لقد عبّرت ببلاء عن بلاء .

وللجاحظ فى هذا النوع رسالة كتب بها الى المعتصم وقيل الى المتوكل فى الحض على تعليم أولاده ضروب العلوم وأنواع الأدب وهى :

يا أمير المؤمنين علم بنيك من أنواع الأدب ما أمكن ، فانك إن أفردتهم بشىء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يعرفوه ؛ وذلك أن حزاما صاحب خيلك حين سألته عن الوقعة ببلاد الروم . قال : لقيناهم فى مقدار الاصطبل فما كان إلا بمقدار ما يحس الرجل دابته حتى قتلناهم ؛ فتركناهم فى مثل نثير السرجين ، فلو طرحت روثة لما سقطت إلا على ذنب برذون . وكان قد أنشد فى الغزل :

إن يهدم الصد عن قلبى مذاوده فان قلبى بقتّ الصبر معمور
ويح امرىء فى وثاق الحب يكبحه لجام هجر على الأسقام مقرور
انل خليلك نيلا من وصالك أو حسن الرقاد فانّ النوم مأسور
أمنت فتل شكالى حين ودّعنى ومبضع الحب فى كفيه مطرور
لبسْتُ برقع هجر بعد ذلك فى اصطبل ود فروث الحب منثور

وسألت بختيشوع الطبيب عن مثل ذلك . فقال : لقيناهم فى مقدار ساحة البيمارستان ؛ فما كان إلاّ بمقدار ما يختلف الرجل مقعدين حتى تركناهم فى محقنة

ثم قتلناهم ، فلو طرحت مبضعا لما وقع إلا على مكحل رجل . وكان قد قال فى الغزل :

شرب الوصل بجنح الهجر فاستطـــاق ... بطـن الوصال بالإسهال
ففؤاد المحب ينحله السهـ ... ـد وقلبى معلّق بالمطال
وفؤادى مبرسم ذو زحير ... يا ابن ماسِويه ضاق احتيالى
لو بسقراط بعض مابى وجالي ... نوس ماتا منه بأسوأ حال

وسألت جعفر الخياط عن مثل ذلك فقال : لقيناهم فى مثل سوق الخلقان فما كان إلا بقدر مايخيط الرجل درزاً ، حتى تركناهم فى أضيق من جربان ، فلو طرحت إبرة لما وقعت إلا على درز رجل . وكان قد قال فى الغزل :

فتقت بالهجران درز الهوى ... بابرة من إبر الصد
فالقاب من ضيق سراويله ... يعثر بى فى تكة الجد
حسدتنى يا طيلسان الهوى ... منه على سوء شقا جَدى
أزرار عينى فيك موصولة ... بعروة الدمع على خدى
يا دستبان القلب يا زيقه ... عدينى الدر كنز[1] بالوعد
قد قص ما أعرف من وصله ... مقراض بَيْنِ مرهف الحد
يا حجزة النفس ويا ذيلها ... مالى من وصلك من بد
ويا جربّان سروى ويا ... جيب غرامى حلت عن عهدى

وسألت اسحاق بن ابراهيم عن ذلك ـ وكان زارعاً . فقال : لقيناهم فى مثل جريب من الارض ، فما كان إلا بقدر ما يسقى الرجل مشارة حتى قتلناهم عن آخرهم ، فلو طرحت منجلا لما سقط إلا على رأس رجل ، فصاروا مثل أكوام التبن إذا خرج عن الحب . وكان قد قال فى الغزل :

زرعت هواه فى جريب مثلّث ... وأسقيته ماء الدوام على العهد
فلما تعالى النبت واخضر يانعاً ... وأفرك حب الحب فى سنبل الود

---

(١) فى الاصل : عذبنى (كذا) الدر كنز بالوعد

أتته أكف الهجر فيها مناجل ... فأسرعن فيه حين أدرك بالحصد
فياشؤم مالى إذ يعطل للشقا ... ويا ويح ثورى صار معلفه كبدى

وسألت فرجا الرخجى عن مثل ذلك ـ وكان خبازاً ـ. فقال : لقيناهم فى مثل مقدار جفنة ، فما كان إلا بقدر مايعجن الرجل قفيزاً أو يخبز أرغفة ، حتى صيرناهم فى أضيق من جحر التنور . فلو طرحت جردقا لما وقع إلا فى خوان الخبز على كثرة القتلى ، وقد كان أنشد فى الغزل :

قد عجن الهجر دقيق الهوى ... فى جفنة من خشب الصد
فاختمر البين فنار الهوى ... تزجى بشوك الهجر من بعدى
وأقبل الصد بهجرانه ... يفحص عن أرغفة الوجد
جرادقا للوعد مسمومة ... مثرودة فى قصعة الجهد

وسألت عبد الله بن عبد الصمد عن مثل ذلك — وكان مؤدبا — . فقال : لقيناهم فى مقدار كنف فما كان إلا بمقدار ما يقرأ الصبى أمامة ، حتى تركناهم فى أضيق من فم الرقم ، فلو طرحت دواة لما سقطت إلا على جحر قتيل . وقد كان قال فى الغزل :

قد أمات الهجران صبيان قلبى ... ففؤادى موله ذو خبال
كسر البين لوح وصلى فما أطـ ... ـمع ممن هويته فى وصال
وقع الرقم عن دواتى فمذ أطلـ ... ـق مولاى حبله من حبالى
مشق الحب من فؤادى لوحـ ... ـين فأغرى جوانحى بالسلال
لاق كبدى دواته فمداد الـ ... ـعين مذ صد مالكى ذو انهمالى

وسألت الجهم بن بدر عن مثل ذلك — وكان صاحب حمّام — . فقال : لقيناهم فى مثل بيت الابتذار [1] ، فقاتلناهم بقدر ما تخاف [2] النورة ، ثم ألجأناهم إلى أضيق من الأبزن ، فهزمناهم بقدر ما يغسل الرجل وجهه ، فلو طرحت ليفة لما وقعت

(١) كذا ولعلها الابتذال (٢) كتب الشيخ حفنى بالهامش : لعلها تحلق

إلاّ على ظهر رجل . وقد كان قال فى الغزل :

يا نورة الهجر علفت الصفا   بما بدا من ليفة الصد
يا مبذر الأسقام حتى متى   تنقع فى حوض من الجهد
أنقل ذيول الوصل لى مرة   منك بزنبيل من الود
فالبين مذ أوقد حمّامه   هيج قلبى مشلح الوجد
أفسد خطمى الهوى والصفا   بحاله الناقض للعهد

وسألت الحسن بن أبى قماش ـ وكان أبوه كناساً ـ . فقال : لقيناهم بقدر ما يكنس الرجل زنبيلا ، حتى تركناهم فى أضيق من جحر المخرج ، فلو رميت بنت وردانة لما وقعت إلا على ظهر قتيل . وكان قد قال فى الغزل :

أصبح قلبى للهوى مخرجا   تسلح فيه فقحة الهجر
خنافس الهجران أثكلنى   نومى فولّى معرضاً صبرى
و بنت وردان الهوى تيّمت   عقلى فما أعقل ما أمرى

وسألت احمد الشرابى . فقال : لقيناهم فى مقدار بيت شراب ، فلم يكن إلا بمقدار مايبذل الرجل دنًّا ، حتى تركناهم فى أضيق من رطلية ، ثم سالت دماؤهم كالدرداى ، فلو طرحت كأساً لما وقع إلا فى كف رجل . وكان قد قال فى الغزل :

شربت بكأس اللهو من راحة الهوى   ورقرقت خمر الوصل فى قدح البين
فسالت دنان الحب يدفقها الصبا   وكرت قرابات دمعى على عينى

وسألت عبد الله الطاهرى ـ وكان طباخا ـ . فقال : لقيناهم فى مقدار مطبخ أمير المؤمنين ، فما كان إلا بمقدار مايشوى الرجل حَملًا أو جديا أو يفرغ من طبخ ثلاثة ألوان أو يعقد فالوذجة ، حتى تركناهم فى أضيق من أثافى القدر ، فلو طرحت ملعقة لما وقعت إلا على بطن قتيل . وكان قد قال فى الغزل :

شبيه الفالوذج فى حمرة الخد   ولوزينج النفوس الظماء
أنت جوزينج الفؤاد وفى اللـيـــــن كلين الخبيصة الصفراء

أنت مستهتر بسكباج ود بعد جوزابة بجنب شواء
يا قتار القدور فى يوم عرس وشبيها بشهدة بيضاء
أنت أشهى إلى الفؤاد من الز بـــد مع البرسيان وقت الغذاء
أطعم الحاسدين ألوان غمٍّ فى قصاع الأحزان والضراء
قد غلا القلب مذ خلت منك دارى غليان القدور بعد الصِّلاء
هام لما كسرت فيك غضارا ت سرورى مفارق الشحناء
إن اسفيداج وجهك يشفى من رقيق الأحزان أى شفاء
فتفضل على العميد بما ء ورد يكبت قلوب العداء

وسألت داود الفراش عن مثل ذلك . قال : لقيناهم فى مثل تربيع الفسطاط ، فما كان إلا بقدر ما يفرش الرجل بيتاً أو بيتين ، حتى تركناهم فى أضيق من صايربات ، ثم قتلناهم فلو رأيت نجار التراب عليهم وقد سالت دماؤهم فى حمرة الأرمنى . وكان قد أنشدنى فى الغزل :

كنس الهجر ساحة الوصل لما عثر البين فى وجوه صفائى
فلقد بث فى فراش همومى تحت خدى وسائد لضنائى
حين هيأت بيت حسن من الوصـــل لأثوابه ستور إخاء
فرش الهجر لى بيوت مسوحٍ متكآها مطارح الحصباء
رق للصب من بواعث وجد قد تخالسنه صباح مساء

يا أمير المؤمنين : إنما ينطق اللسان بما يتصور الجنان ، ويظهر فى الكلام ما يخطر على الأوهام ، فمن لم يعرف إلاّ شيئا واحداً لم يتكلم إلاّ عليه ، ومن كثر علمه كثرت خواطره ، واتسعت مذاهبه ، ورب هزل أنفع من جد ؛ إذا أصيب به موضع الحاجة إليه ، ووضع بحيث تقع همم النفوس عليه ، والسلام (١) .

والجاحظ صنع هذه الأشعار لما وضع هـذه الأخبار ، وكان قديراً على الشعر

---

(١) فى هذه الرسالة الألفاظ الكثيرة المعربة والعاميه تركتها كالأصل لعدم وقوفى عليها

سرّاقا له . روى أبو مسلم الكشى قال حدثنى ابراهيم بن رباح قال مدحنى حماد بن ابان اللاحقى بشعر فيه هذان البيتان :

بدا حين أثرى باخوانه ففلّل فيهم شباة العدم
وذكره العزم غيب الأمور فبادر قبل انتقال النعم

فروى هذا الشعر وعرف بالبصرة ، ثم جاءنى الجاحظ فمدحنى بشعر أدخل فيه هذين البيتين فاحتملت ذلك وأثبته ، فبينما أنا جالس يوما فى مجلس احمد بن ابى دواد والجاحظ فى مجلسه، إذ قال لى احمد : ماوصفت بشىء أحسن مما مدحنى به ابو عثمان وأنشدنى البيتين . فقلت : إن مادحك — أعزك الله — يجد فيك مقالا، والجاحظ ملأ عينيه منى ولا يستحى منى

وله فى رسالة إلى أبى الفرج محمد بن نجاح قصيدة مستحسنة أولها :

أقام يدا والخفض راضٍ بحظه وذو الحظ يسرى حيث لاأحد يسرى
يظن الرضا بالقوت شيئا مهوّنا ودون الرضا كأس أمر من الصبر

وقد طعن أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى بديع الزمان على بلاغة الجاحظ . فقال : هو فى أحد شقى البلاغة يقف ، وفى الآخر يقتطف ، والبليغ من لم يقصد نظمه بنثره ، ولم يزر كلامه بشعره ، أفترون للجاحظ شعرا رائقا ؟ قالوا لا . قال : فهلموا الى نثره تجدوه قريب الاشارات ، بعيد العبارات ، قليل الاستعارات ، ينقاد لعبريات الكلام ، يستعمله بنقد من بديعه يهمله

وليس هذا موضع الكلام على بلاغته ، و إلا فكنت أنبه على معايب كلامه ومقابحه ، ومحاسن خطابه وممادحه .

وهذه أوصاف بليغة فى البلاغات ، على ألسنة قوم من أهل الصناعات (١)

اجتمع قوم من أهل البلاغات فوصفوا بلاغاتهم من طريق صناعاتهم . فقال الجوهرى :أحسن الكلام نظاما ماثقبته يدالفكرة ، ونظمته الفطنة ، ونضد جوهر

---

(١) هذه القطعة أوردها المؤلف فى كتابه زهر الآداب باختلاف فى بعض الالفاظ وما تجده بين المربعين زيادة عنه .

معانيه فى سموط الفاظه ، فاحتملته نحور الرواة . وقال العطار : اطيب الكلام ماعجن عنبر الفاظه بمسك معانيه ففاح نسيم نشقه ، وسطعت رائحة عبقه ، فتعلقت به الرواة ، وتعطرت به السراة . وقال الصائغ : خير الكلام ما أحميته بكور الفكرة ، وسبكته بمشاعل النظر ، وحططته من خبث الاطناب ، فبرز بروز الأبريز فى معنى وجيز . وقال الصيرفى : خير الكلام ما نقدته يد البصيرة ، واجتلته عين الروية ، ووزنته بمعيار الفصاحة ، فلا نظر يزيفه ، ولا سماع يبهرجه . وقال الحداد : خير الكلام ما نصبت عليه منفخة الروية ، وأشعلت فيه نار البصيرة ، ثم أخرجته من فحم الافحام ، ورققته بغطيس الافهام . وقال النجار : خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقدوم التقدير ، ونشرته بمنشار التدبير ، فصار بابا لبيت البيان ، وعارضة لسقف اللسان وقال النجاد : أحسن الكلام مالطفت رفارف الفاظه ، وحسنت مطارح معانيه ، فتنزهت فى زرابى محاسنه عيون الناظرين ، واصاخت لنمارق بهجته آذان السامعين وقال الماتح : أبين الكلام ماعلقت وزم[1] الفاظه بكرب معانيه ، ثم ارسلته بقليب الفطن فامتحت به سقاء يكشف الشبهات ، واستنبطت به معنى يروى من ظمأ[2] [المشكلات] وقال الخياط : البلاغة قميص فجربانه البيان ، وجيبه المعرفة ، وكامه الوجازة ، ودخارصه الأفهام ، ودروزه الجلاوة ، ولابسه جسد اللفظ ، وروحه المعنى . وقال الصباغ : أحسن الكلام مالم تنصل بهجة ايجازه ، ولم تكشف صبغة إعجازه ، وقد صقلته يد الروية من كمود الاشكال ، فراع كواعب الآداب ، وألف عذارى الألباب . وقال البزاز[3] : [أحسن الكلام ما صدق رقم الفاظه ، وحسن نشر معانيه ، فلم يستعجم عنك نشر ، ولم يستبهم عليك طى] . وقال الحائك : أحسن الكلام ما اتصلت لحمة الفاظه بسدى معانيه ، فخرج مفوفا منيرا ، [وموشى] محبرا . وقال الرائض : خير الكلام مالم يخرج عن حد التخليع الى منزلة التقريب إلا بعد الرياضة ، وكان كالمهر

---

(١) الوزم : السيور بين آذان الدلو والعراقى . والكرب : الحبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء . (٢) فى الاصل : من الظمأ (٣) فى الأصل : القزاز

الذى أطمع أول رياضته، فى تمام ثقافته . وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه فى مبرك المعنى، ثم جعل الاختصار له عقالا، والايجاز له مجالا، لم يندّ عن الأذهان، ولم يشذ عن الآذان. وقال المخنث : خير الكلام ماتكسرت أطرافه، وتثنت أعطافه، وكان لفظه حلة، ومعناه حلية . وقال الخمار: أبلغ الكلام ماطبخته مراجل العلم، وصفاه راووق الفهم، وضمته دنان الحكمة، فتمشت فى المفاصل عذوبته، وفى الافكار رقته، وفى العقول حدته . وقال الفقاعى : خير الكلام ما روحت إلفاظه غباوة الشك ، ورفعت رقته فظاظة الجهل، فطاب جشا قَطْعِه ، وعذب مص جرعه . وقال الطبيب : خير الكلام ما إذا باشر بيه نه سقم الشبهة استطلقت طبيعة الغباوة فشفى من سوء التفهم، واورث صحة التوهم. وقال الكحال : كما أن الرمد قذى الابصار، فالشبهة قذى البصائر، فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة، واجل رمص الغفلة بمرود اليقظة. ثم قالوا اجمعون[1]:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهذا المعنى كثير وانما آخذ من كل فن اليسير .

* * *

وقال رجل لغلامه : التمس لى داراً لا تكون بجوار مسجد فانى أحب الأفراح، فاكترى له دارا بين مسجدين . فقال له: ماهذا ؟ ! قال: يامولاى لاتدرى المعنى اهل هذا المسجد يظنونك فى هذا، وأهل ذا يظنونك فى ذا وأنت قد ظفرت بماتحب .

وقال ابو الجهم احمد بن بدر للمتوكل وذكر نجاح بن سلمة أو غيره :

امام الهدى وابن الدعاة الى الهدى ومنهج خير العالمين محمد
أعنى على والٍ يجور تَعبدا علىّ عسوف الظلم غير مؤيد
ومالى ذنب عنده غير أننى عليم بما يختاره لليوم والغد
ولا خير للطرار[2] فى قرب نائب ولا للمريب الفعل فى قرب مسجد

---

(١) فى الأصل: بياض وهذا البيت بالهامش. وفى زهر الآداب ثم قال أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما إذا أشرقت شمسه انكشف لبسه، وإذا صدقت أنواءه اخضرت احماؤه .

(٢) الطرار : الذى يقطع النفقات ويأخذها على غفلة : حكاه فى المصباح .

صحب الغاضرى رجلا من قريش من مكة إلى المدينة فقال القرشى : يا غلام أطعمنا دجاجة ، فأتى بها باردة ، فقال : ويحك أسخنها . ورفع غداؤهم ولم يؤت بالدجاجة ، فلما كان العشاء قال : يا غلام عشانا فلما أتاهم العشاء قال : هات تلك الدجاجة فأتى بها باردة ، فقال : أسخنها . فقال الغاضرى : اخبرونى عن دجاجتكم هذه أمن آل فرعون ؟ هى فانى أراها تعرض على النار غدوة وعشيا . فقال : ويحك يا غاضرى أكتمها علىّ ولك منى مائة دينار ؟ فقال : والله ما كنت لأبيعها بشىء . أخذه الحمدونى فقال فى طيلسان ابن حرب:

يا ابن حرب أطلت ظلمى برفوى   طيلساناً قد كنت عنه غنيا
هو فى الرفو آل فرعون فى العر   ض على النار بكرة وعشيا
زرت فيه معاشراً فازدرونى   فتغنيت إذ رأونى زريا
جئت فى زى سائل كى أراكم   وعلى الباب قد وقفت مليا

وكان احمد بن حرب المهلبى من المحسنين إليه ، المنعمين عليه ، وله فيه مدائح كثيرة فوهبه طيلساناً أخضر فوجد فيه فزراً ولم يرضه [قال أبو العباس المبرد[1] فأنشدنا فيه عشر مقطعات ضمن أواخرها أبيات أغانٍ ملاحاً فاستحلينا مذهبه فيها فجعلها خمسين شعراً فطارت كل مطير ، وسارت كل مسير ، حتى قال :

طيلسان لابن حرب   ذو أيادٍ ليس تحصى
أنا فيه أشعر النا   س إذا ما الشعر نصا
وأرانى صرت أدنى   بعد ما قد كنت أقصى
وأتقانى الناس وازدا   دوا على شعرى حرصا
ولكم قد حاز لى   أردية تترى وقمصا
كان دهراً طيلسانا   ثم قد أصبح شصا[2]

---

(١) ما بين المربعين عن زهر الآداب . وقد تعرض فيه لمقطعات الحمدونى وأتى منها مما أغفل ذكره هنا كما أنه أتى هنا بما أغفله هناك

(٢) الشص : حديدة عقفاء يصاد بها السمك .

وقال ابن الرومى فى هجائه عمر الكاتب الملقب بخرطوم ، وكان من خاصة القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير :

أغلقت حانوتى لطو ... ل كساده وفتحت عمْرا
يا طيلسان الحمَدونى ... شفعت فىّ وكنت وترا
عمرا أخوك جعلته ... لى مكسباً فأفدت وفرا
لاتبعدا من صاحبين لقيتما ضعة وفقرا

قال ابن أبى عون : مر الحمدونى بابن حرب وهو جالس على باب داره وعلى كتفه وسادة . قال : لأى شىء هذه يا حمدونى ؟ قال ارقع بها طيلسانك . قال : ما تزال تهجونا منثورا وموزونا ! !

ومن طريف شعره فيه قوله :

ياطيلسان ابن حرب قد هممت بأن ... تودى بجسمى كما أودى بك الزمن
مافيك من حيلة تغنى ولا ثمن ... قد أوهنت حيلتى أركانك الوهن
فلو ترانى لدى الرّفاء مرتبطا ... كأننى فى يديه الدهر مرتهن
أقول حين رآنى الناس ألزمه ... كأنما لىَ فى حانوته وطن
من كان يسأل عنا اين منزلنا ؟ ... فالأقحوانة منا منزل قمن

البيت للمحرب بن خالد المخزومى . وقال :

قل لابن حرب طيلسا ... نك قوم نوح منه أحدث
أفنى القرون ولم يزل ... عمّن مضى من قبل يحدث
فاذا العيون لحظنه ... فكأنه باللحظ يُحْدَث
يودى إذا لم أرفه ... وإذا رفوت فليس يلبث
كالكلب إن تحمل عليه الدهر أو تتركه يلهث

وقال :

وهبتَ لنا ابن حرب طيلسانا ... يزيد المرء فى الضعة اتضاعا

يسلّم صاحبى فيقد شبرا   له وأقد فى رَدّى ذراعا
أجيل الطرف فى طرفيه طولا   وعرضاً ما أرى إلا رقاعا
فلست أشك أن قد كان قدما   لنوح فى سفينته شراعا
فقد غنيت إذ أبصرت منه   جوانبه على بدنى تداعى
قفى قبل التفرق يا ضباعا   ولا يك موقف منك الوداعا

البيت للقطامى عمير بن شييم التغلبى . وقال فيه :

قل لابن حرب طيلسانك قد   أوهى قواى بكثرة القدم
متبيّن فيه لمبصره   آثار رفو أوائل الأمم
فكأنه الخمر التى وصفت   فى ياشقيق النفس من حكم
فاذا رممناه فقيل لنا   قد صح قال له البلا انهدم
مثل السقيم برى فعاوده   نكس فأسلمه الى سقم
أنشدت حين طغى فأعجزنى   ومن العناء رياضة الهرم

والخمرة التى وصفت فيما ذكر لأبى نواس :

ياشقيق النفس من حكم   نمت عن ليلى ولم أنم
فاسقنى الخمر التى اعتجرت   بخمار الشيب فى الرحم
ثم انصاب الشباب لها   بعد أن جازت مدى الهرم
فهى لليوم الذى بذلت   وهى تلو الدهر فى القدم
عتقت حتى لو اتصلت   بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم مائلة   ثم قصّت قصة الأمم
فرعتها للمزاج يد   خلقت للكأس والقلم
فى ندامى سادة نجب   أخذوا اللذات من أمم
فتمشت فى مفاصلهم   كتمشى البرء فى السقم
صنعت فى البيت إذ مزجت   كصنيع الصبح فى الظلم

فاهتدى سارى الظلام بها　　كاهتداء السفر بالعلم (١)

وزعم ابن قتيبة أن هذا الشعر لوالبة بن الحباب وانما يخاطب به أبا نواس الحكمي .

وقال غيره : بل الشعر لابى نواس وانما أغار على والبة فى قوله :

ياشقيق النفس من أسد　　لم تنم عينى ولم تكد

وقال الحمدونى :

طيلسان لابن حرب جاءنى　　قد قضى التمزيق منه وطره
أنا من خوفى عليه أبدا　　سامرىّ ليس يألو حذره
يا ابن حرب خذه أو فابعث بما　　يشترى عجلا بصفر عشره
فلعلّ الله يحييه لنا　　إن ضربناه ببعض البقره
فهو قد أدرك نوحا فعسى　　عنده من علم نوح خبره
أبداً يقرأ من أبصره　　أئذا كنا عظاما نخره

وكان يقول : أنا ابن قولى ، يريد النسب إليه كما انتسب لأبى . وقال :

يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا　　مل من صحبة الزمان وصدّا
فحسبنا نسج العناكب إذ قيـ　　ـس إلى ضعف طيلسانك سُدًا
إن تنسمت فيه ينجر جرا　　أو تبسمت منه ينقدّ قدّا
طال ترداده إلى الرفو حتى　　لو بعثناه وحده لتهدى

وكان أبو تمام يقول : أنا ابن قولى :

نقّل فؤادك أين شئت من الهوى　　ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى　　وحنينه أبداً لأول منزل

وقال الحمدونى فى الطيلسان :

ولى طيلسان إن تأملت شخصه　　تيقنت أن الدهر يفنى وينقرض
تصدّع حتى قد أمنت انصداعه　　وأظهرت الأيام من عمره الغرض
فلو أن أصحاب الكلام رأونه　　لماروك فيه وادعوا أنه العَرَض

---

(١) فى نسخة ديوانه : اختلاف فى كثير من ألفاظ هذه القصيدة

وقال :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا أمرضته الأوجاع فهو سقيم
فاذا ما لمسته قلت سبحا نك تحيي العظام وهي رميم
طيلسان له إذا هبت الريـــح عليه بمنكبيّ هنيم
لو يدب الحوليّ من ولد الذ رّ عليه لأندبته الكلوم

وقال :

ان ابن حرب كساني ثوبا نظير انحرافه
أظل أدفع عنه وأتقي كل آفه
فقد تعلمت من خشـ يتي عليه الثقافه

* * *

وقف أبو العيناء على باب صاعد بن مخلد فقيل له : إنه يصلي فانصرف ثم عاوده، فقيل له : إنه يصلي . فقال : لكل جديد لذة . وكان صاعد نصرانيا ثم ارتقت به الحال إلى أن توزر للموفق بن احمد بن المتوكل وكان أخوه المعتمد الخليفة ولم يكن له مع الموفق أمر ولا نهي ، وقد قال المعتمد لما ملك عليه أخوه الأمر أو قيل على لسانه :

أليس من العجائب أنّ مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه

ولما أجاب الصولي أبا القاسم بن عبد الله ملك المغرب اقتضى ذكر ولد العباس والخلفاء خليفة خليفة حتى انتهى إلى المعتمد فقال :

ومعتمد من بعدهم وموفّق به رد من إرث الخلافة ما ذهب
منازلهم[1] في كل فضل وسودد وإن لم يكن في العد منهم لمن حسب

ولما احتاج الصولي إلى ذكر الموفق لشهامته وحزامته وكأن القصيدة إنما أجاب بها عن المقتدر بن جعفر بن المعتضد بن الموفق فلو لم يذكره لانقطع عليه ما أراد ،

(١) في الأصل مُنَى أزلهمُ لعله تحريف

وكان المعتمد مضعوفا، وكان أمره قبل تمكن الموفق فى يد وصيف حتى قال باذنجانة الكاتب :

يا دولة بائرة كاسفة ماتُبتغى خليفةمستضعفُ
بين وصيف و بُغا يقول ما قالا له كما تقول الببّغا

***

ودخل أبو خالد يزيد المهلبى على المعتمد مرات فأنشده قصائد على الدال فقال : يايزيد ما أراك تعدو الدال ؟ فقال :وكيف أعزك الله يا أمير المؤمنين واسمى يزيد ، وأبى محمد ، وأكنى بأبى خالد ، وأنت المعتمد ، وتسمى بأحمد ، ومن صفاتك السيد والماجد والجواد ، فأين أدع الدال . وهذا كقول أبى صدقة المدنى وقد قيل له ما أشد إلحافك؟ فقال : تلوموننى على ذلك وأنا اسمى مسكين ، وكنيتى أبو صدقة ، واسم أبى صدقة ، واسم امرأتى فاقة . ووقف أبو العيناء على باب ابراهيم بن رياح فقيل هو مشغول . فقال : إذا شغل بكأس يمناه ، و بحر يسراه ، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه ، لم يحفل بحجاب من أتاه . ودخل أبو العيناء على المتوكل. فقال : أى شىء تحسن؟ قال أفهم وأفْهم وآخذ من المجلس ماحوى، فمرة أغلب ومرة أغلَب . قل كيف شربك للنبيذ ؟ قال أعجز عن قليله وأفتضح عند كثيره . قال: فما تقول فى بلدك البصرة ؟ قال: ماؤها أجاج ، وحرها عذاب ، وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم . قال: ارفع حوائجك إلينا . قال قد رفعتها إلى الله فما أحب نجاحه فليس ينفعنى شرحه ، قال نحب أن تلزم مجلسنا . قال : يا أمير المؤمنين إن أجهل الناس من يجهل نفسه ؛ أنا امرؤ محجوب والمحجوب تختلف إشارته وقد يجوز قصده ، فيصغى إلى غير من يحدثه ، ويقبل بحديثه على غير من يسمع منه ، وجائز أن يتكلم بكلام غير راض ومتى لم أفرق بين هذين هلكت ، وأخرى : كل من فى مجلسك يخدمك وأنا أحتاج أن أخدم ، ولم أقل هذا جهلا منى بما فى هذا المجلس من الفائدة ولكنى اخترت العافية على التعرض للبلاء . قال

الفتح بن خاقان : يا أمير المؤمنين هذا رجل عاقل عارف بنفسه و بحق الملوك . قال: فيلزمنا فى كل الأوقات لزوم الغرض الواجب . و بلغ أبا العيناء أن المتوكل قال : لولا أن ابا العيناء ضرير لنادمناه . فقال: إن أعفانى أمير المؤمنين من رؤية الأهلة وقراءة الفصوص فأنا أصلح للمنادمة . و إنما هذا تولّع منه بلسانه ؛ واقتدار على الكلام ، و إلا فقد تعافى من ذلك المقام . ودخل على ابراهيم بن المدبر وعنده الفضل اليزيدى معلم ولده وابراهيم جالس . فقال للمعلم : فى أى باب هذا ؟ قال فى باب الفاعل والمفعول به . فقال : هذا بابى و باب الوالدة أعزها الله . فغضب اليزيدى ونهض . أخذه البحترى فقال لابراهيم بن المدبر :

أى شىء ألهاك عن سر من را ... ء وظلٍّ للعيش فيها ظليل
إقتصاراً على أحاديث فضل ... وهو مستكره كثير الفضول
لم تكن نُهزة الوضيع ولا رو ... حك كانت لِفقاً لروح الثقيل
فعلام اصطنعت منكسف البا ... ل معار الحذاق (١) نزر القبول
إن ترده تجده أخلق من شيـ ... ـب القوافي ومن تعفى الطلول
مسرجا ملجما وما متع الصبـ ... ـح إدلاجا للجس والتطفيل
غير أن المعلمين على حال ... قليلى التميز ضَعْفى العقول
فإذا ما تذكر الناس معنى ... من مبين الأشعار أو مجهول
قال هذا لنا ونحن كشفنا ... غيبه للسؤال والمسئول

(١) كذا فى الأصل وفى ديوانه طبع بيروت :

فعلام اصطفيت منكشف الز ... ف معاد المخراق نزر القبول
إن تزره تجده اخلق من شـ ... يب الغوانى ومن تعفى الطلول
رائح مغتد وما متع الصـ ... بح إدلاجا للشحذ والتطفيل

ثم أورد ست أبيات لم يذكرها الحصرى كما أن الأبيات الأربعة التى هنا لم يذكرها جامع الديوان وختم القصيدة بقوله :

جل ما عنده التعمق فى الفـ ... ـاعل من والديه والمفعول

ضرب الأصمعى فيهم الأحمـ ـر أم التحقوا بابن الخليل
أبدا شأنه التردد فى الفا عل من والديه والمفعول

***

قال الصولى : كان بالبصرة رجل مهلبي ظريف مماق وكان له إخوان فقالوا له : ألا تدعونا ؟ فقال لهم ألا تدعونى ؟ فألحوا عليه فارتهن قطيفة له على دراهم فاشترى لهم مايصلحهم ودعا مغنية فكان اقتراحهم عليها :

ليت الذين تحملوا أحنوا أمَّا أنا فأضرَّبى الحزن

فقال المهلبي : أما هـذا الذى تقولونه فما أدرى ما هو ؟ ولكن ؛ أمّا أنا فقطيفتى رهن ، فضحكوا وغرموا له ما أنفق . ودعا رجل قوما فلما كان مع المغرب أراد انصرافهم وأرادوا المقام عنده ، فاقتضوه فى السراج . فقال لهم : أما سمعتم قول الله تعالى (و إذا أظلم عليهم قاموا) . و إدعى رجل النبوة فى أيام المأمون فأحضره المأمون وقال له : ما دليل نبوتك ؟ قال: أن أعلم ما انعقد عليه ضميرك ، فقال ما هو ؟ قال فى نفسك أصلحك الله إنى كاذب ، فضحك منه وتركه . وأتى المعتصم برجل آدعى النبوة . فقال ما آيتك ؟ قال آية موسى ، قال : فالق عصاك تكن ثعباناً مبينا ؟ :قال حتى تقول أنا ربكم الأعلى . وآدعى آخر النبوة بالكوفة فأدخل على واليها فقال : ماصناعتك؟ قال حائك ، قال: نبي حائك ؟ ! قال فأردت نبياً صيرفياً ؟ الله يعلم حيث يجعل رسالته . وسأل رجل بعض الفقهاء عن القبلة للصائم فى رمضان ؟ فقال : تكره للشاب و يرخص فيها للشيخ ، قال : إنها فى معشوقة ؟ قال يا إبن أخى هذا يكره فى شوال . قيل لمغفل : قد غلا الدقيق . فقال : وما أبالى إنى اشترى الخبز من السوق . قال حيان بن غضبان العجلي — وقد ورث نصف دار أبيه — : أريد أن أبيع نصف حصتى من الدار وأشترى الباقى فتصير الدار كلها لى . وشكا أهل بلدة إلى المأمون والياً عليهم . فقال : كذبتم عليه قد صح عندي عدله فيكم وإحسانه اليكم . فقال شيخ منهم : يا أمير المؤمنين فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك ، قد عدل فينا خمس سنين فانقله إلى غيرنا

حتى يشمل عدله الجميع وتريح معنا الكل، فضحك منهم وصرفه عنهم قال دعبل: ما غاظنى إلا مخنث قلت له والله لاهجونك. قال: والله لئن هجوتنى لاخرجن أمك فى الخيال. ورؤى بعض المرائين على باب بعض الملوك، و بين عينيه سجادة عظيمة، فقيل له: مثل هذا الدرهم بين عينيك وأنت محتاج إلى أبواب الملوك فقال: إنه ضرب على غير السكة. وعمل بعض المرائين بين عينيه سجادة دلكها بنواة وثوم وعصب الثوم بين عينيه ونام، فتحركت العصابة فصارت فى ناحية صدغه سجادة كبيرة. فقال له ابنه: ما هذا يا أبت؟ فقال: أصبح أبوك ممن يعبد الله على حرف.

ومن ملح ما فى هذا قول أبى نواس وقد نهاهُ الأمين عن الخمر:

عينُ الخليفة بى موكلة   عَقَدَ الحذار بطرفها طرفى
صحّتْ علانيتى له وأرى   دين الضمير له على حرف
ولئن وعدتك تركها عدةً   إنى عليك لخائف خُلْفى

وقال ابن المعتز:

يا أيها الجانى ويستخفى   ليس تجنيك من الظرف
إنك والشوق إلينا كمن   يؤمن بالله على حرف
محوت آثارك عن وُدِّنا   غير آثارك فى الصحف
فان تحاملت لنا زورة   يوماً تحاملت على ضعف

وأتى ابن عائشة إلى بعض الملوك فأنشده:

أعطف علىّ فالكريم يعطف   قد غلق الرهن وملّ المسلف
وارتهن الدف و بيع المصحف

فقال يافاسق: أترهن دفا وتبيع مصحفا. قال: اتكلت فى المصحف أعزك الله تعالى وأجلك. قال رجل لبهلول المجنون: قد أمر أمير المؤمنين لكل مجنون بدرهمين، فقال له بهلول: فهل اخذت نصيبك؟ وأودع بهلول بعض الأفنية بالكوفة عشرين درهما ورجل خياط ينظر إليه من حيث لا يعلم به بهلول، فلما انصرف أخذ الخياط

الدراهم فعاد بهلول يطلبها فلم يجدها فعلم أنه لم يؤت إلا من الخياط . فمر به فقال : يافلان ؛ خذ بيدك عشرة دراهم وخذ ثلاثين وخذ كذا حتى بلغ المائة . قال : وزدها عشرين كم يكون المال قال مائة وعشرين. قال اصبت ومضى . فقال الخياط فى نفسه : ما اظنه إلا يمضى بهذه الدراهم التى حسبها ليزيدها على العشرين فلأردنها الى موضعها فاذا زاد عليها أخذت الجميع ففعل ، فكر بهلول الي الموضع فأخذ الدراهم واحدث فى موضعها ثم مضى ، فقام الرجل مسرعاً فلما أدخل يده امتلأت حدثا ولم يجد شيئا فعارضه بهلول وقال: خذ فى يدك كذا وكذا كم فى يدك قال مائة وعشرين . قال : ما فى يدك إلا الحدث، فانتشر خبر الخياط وولع الصبيان فيه حتى هرب من الكوفة

ولبهلول هذا حكم وكان يتشيع فقيل له يوماً : أيما أفضل أبو بكر أم على رضى الله عنهما ؟ فقال له : أما وأنا فى كندة فعلى ، وأما وأنا فى ضبة فأبو بكر ، وكندة بالكوفة من غلاة الرافضة و بنو ضبة أهل سنة

ولما دخل الرشيد الكوفة خرج الناس للنظر إليه فناداه بهلول ثلاثا . فقال : من المجترىء على فى هذا الموضع؟ قيل بهلول المجنون فرفع السجافة وقال بهلول؟ فقال لبيك يا أمير المؤمنين روينا عن أيمن بن نائل قال حدثنا قدامة عن ابن عبدالله العامرى قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى جمرة العقبة لا ضرب ولا طرد ولا قيل بين يديه اليك اليك ؛ وتواضعك فى سفرك هذا خير لك من تجبرك وتكبرك . قال فبكى الرشيد حتى جرت دموعه على الأرض وقال : أحسنت يابهلول زدنا يرحمك الله . قال وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أيما رجل آتاه الله مالا وجمالا وسلطانا فانفق فى ماله وعف فى جماله وعدل فى سلطانه كتب فى خالص ديوان الله من الابرار. قال: أحسنت يابهلول وأمر له بجائزة سنية فقال : يا أمير المؤمنين ردها على من أخذتها منه فلا حاجة لى بها. فقال : يا بهلول إن كان عليك دين قضيناه قال : يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل الرأى بالكوفة أجمعوا على أن قضاء الدين

بالدين لا يجوز . قال : فنجرى عليك ما يكفيك ؛ فرفع رأسه إلى السماء وقال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت فى عيال الله ومحال أن يذكرك وينسانى ؛ فارسل الرشيد السجف وسار . وقيل إن بهلولا كان يستعمل الجنون سترا على نفسه

وقال هارون المخزومى رأيت مجنونين يتنازعان رغيفاً يقول أحدهما هذا أنت تأكله ويقول الآخر بل أنت تأكله . قال: فقلت لهما — وأنا أظن أن أربح عليهما — أنا آكله . فقالا : يا أحمق انه معأدم فقلت وما أدمه قالا: وجىء الحلق وصفع العنق فوليت عنهما فقالا : يامجنون لولا بشاعة الأدم لكنا أكلناه منذحين

وقيل لسعيد العامرى — وكان من أصحاب النوبهارى —: لقد حظيت بكثرة المال . قال : فانى بعتك مالى كله بحبة من عقل غفار الموسوس. قلت: وأى شىء رأيت من عقله ؟ قال : رأيته يوماً وقد وقف عليه رجلان احدهما سكران فجعل السكران يفترى عليه وهو يفترى على الصاحى . فقلت له: لم لاتشتم الذى يشتمك؟ قال: لأن معه شيطاناً لاأقوى عليه، فالتفت إلىّ السكران وقال: يا ابن الفاعلة اتحرضه علىّ . ورفع رجله من الأرض فشيعنى بها موضحة ومر يعدو. فقال غفار من هذا فررت

ومرّ عثمان بن حفص الثقفى بأبى نواس وقد خرج من علة وهو مصفرّ الوجه وكان عثمان اقبح الناس وجها . فقال له عثمان: مالى أراك مصفرا ؟ فقال أبو نواس: رأيتك فذكرت ذنوبى قال وما ذكر ذنوبك عند رؤيتى؟ فقال خفت أن يعاقبنى الله فيمسخنى قرداً مثلك

ولما حبس الأمين أبا نواس دخل عليه الفضل بن الربيع وكان يتعهد المحبوسين ويسأل عنهم وكانت فيه غفلة ، فأتى أبا نواس وقال : ماجرمك حتى حبست فى حبس الزنادقة أزنديق أنت ؟ قال معاذ الله . قال أتعبد الكبش ؟ قال : ولكنى آكله بصوفه . قال أفتعبد الشمس ؟ قال : والله ما أجلس فيها من بغضها فكيف أعبدها . قال : أفتعبد الديك ؟ قال : لا والله بل آكله ، ولقد ذبحت الف ديك لأن ديكا نقرنى مرة فحلفت أن لا أجد ديكا إلا ذبحته . قال : فلأىّ شىء حبست ؟ قال لأنى أشرب شراب أهل الجنة ، وأنام خلف

الناس . قال : وأنا أيضاً أفعل ذلك ، ثم خرج إلى الفضل فقال ماتحسنون جوار الله تحبسون من لاذنب له ، سألت رجلا فى الحبس عن خبره فقال كذا وكذا وعرفه بكل ماجرى بينه و بين أبى نواس ، فضحك ودخل على الأمين فأخبره الخبر فأمر بتخليته للحال .

وكان أبو نواس حبس فى أيام الأمين مرتين ، إحداهما أنه بلغ الأمين قوله (١)

ومستعبد اخوانه بثرآئه لبست له كبراً أبرّ على الكبر
إذا ضمنى يوماً واياهُ مجلس رأى جانبى وعراً يزيد على الوعر
أخالفه فى شكله وأجره على المنطق المنزور والنظر الشزر
فوالله لا ألوى لسانى بحاجة إلى أحد حتي أوسد فى قبرى
وقد زادنى تيهاً على الناس أننى أرانى أغناهم و إن كنتُ ذا فقر
فلولم أنل فخراً لكانت صيانتى فمى عن جميع الناس حسبى من فخر
فلا يطمعن فى ذاك منى طامعٌ ولا صاحبُ التاج المحجّب فى القصر

فقال : و بلغ بك الأمر إلى أن تعرض فىّ فى شعرك يا إبن اللخناء . فقال : سليمان بن أبى جعفر هو والله يا أمير المؤمنين زنديقٌ وقد شهد عندى جماعة أنه شرب ماء مطر مع خمر فقيل له لم فعلت ذلك ؟ قال لأشرب الملائكة فانه كان مع كل قطرة ملكٌ ، فأمر بحبسه فقال :

يارب أن القوم قد ظلمونى و بلا اقتراف خطيئة حبسونى
والى الجحود بما عليه طويتى بالزور والبهتان قد نسبونى
أمّا الأمين فلست أرجو دفعه عنى فمن لى اليوم بالمأمون

فقال المأمون لما بلغه ذلك : والله لئن أدركته لأحسنن إليه ، فمات قبل دخول المأمون بغداد . ولما دخل بها سنة أربع ومائتين وأتاه الشعراء يمدحونه . قال : ما فعل أبو على الحسن بن هانى ؟ قالوا : توفى ، فلم يسمع منهم شعرا

---

(١) وردت فى باب العتاب من ديوانه مع اختلاف فى بعض الألفاظ والترتيب

وتوجّع وقال : لقد ذهب ظرف الزمان بموته ، وتخطّت رتبة الشعر بذهابه

وكان أبو نواس فى آخر أيام الأمين مستخفيا فلم يظهر حتى قتل لأنه كان أملح الناس وجهًا وكان ابو نواس إذا نظر اليه بقى باهتاً فقال فيه :

عذب قلبى ولا أقول بمن ... اخاف مَن لا يخاف من أحد
اذا تفكرت فى هواى له ... مسست رأسى هل طار عن جسدى
انى على ما ذكرت من فَرَقى ... لآمل أن أناله بيدى

وقال :

يا قاتل الرجل البرئَّ ... وسالماً عزَّ المليك
كيف السبيل للثم سا ... لفتيك أو تقبيل فيك
الله يعلم أننى ... أهوى هواك واشتهيك
واصدُّ عنك حذار أن ... تقع الظنون علىّ فيك

فظهر الشعر فلم يزل ابونواس مستخفًيا . وحبسه الأمين قبل ذلك وذلك لأن المأمون لما خلعه بخراسان ووجه طاهر بن الحسين إليه ليحار به كان يعمل بعيوب الأمين كُتباً لتقرأ على المنابر بخراسان ، وكان مما عابه به أنه قال احتبس شاعراً ماجنًا كافرًا يقال له الحسن بن هانى واستخلصه معه لشرب الخمر وارتكاب المآثم وانتهاك المحارم ، وهو القائل:

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر ... ولا تسقنى سرًّا إذا أمكن الجهر
وبُح باسم مَن اهوى ودعنى من الكنى ... فلا خير فى اللذات من دونها ستر

قال أبو على محمد بن المظفر الحاتمى : هذا معنى ظريف، يقول إن الملاذ بالحواس الخمس وهى : النظر والسماع والشم والذوق واللمس . فقد استمعتت حاسة البصر بالنظر إليها ، وحاسة الشم بتضوعها وطيب نكهتها ، وحاسة الذوق بطعمها ، وحاسة اللمس بلين اللمس ، و بقيت حاسة السمع معطلة . فقال : وقل لى هى الخمر – لتلتذ حاسة السماع فيكمل الاستمتاع .

ثم يذكر الأمين فى خطبة العراق . فيقول : أهل فسق وخمور وفجور وماخور ويقوم رجل بين يديه فينشد أعاييس ابى نواس كقوله :

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة قم سيدى نعْص جبار السموات
فقام والليل يجلوه النهار كما يجلى التبسم عن غرّ الثنيات

ومن هنا أخذ ابن الرومى فجاء بأبدع عبارة وانصع استعارة وأصح تشبيهاً وأملح تنبيهاً . فقال يصف سوداء :

يفتر ذاك السواد عن يققٍ من ثغرها كاللآلىء اليقق(١)
كأنها والمزاح يضحكها ليلٌ تعرّى دجاه عن فلق

فاتصل بالأمين خبر المأمون فأغراه الفضل بن الربيع بأبى نواس فحبسه ، فكتب أبو نواس إلى الفضل من الحبس :

أنت يا ابن الربيع علمتنى الخـ ـير وعودتنيه والخير عاده
فارعوى باطلى وعاودنى حلـ ـمي وأحدثت رغبةً وزهاده
لو ترانى شبهتنى الحسن البصـ ـرىَّ فى حال نسكه أو قتاده
التّسابيح فى ذراعى والمصـ ـحفُ فى لبّتى مكان القلاده
فاذا شئت أن تري طُرْفَة تعـ ـجبُ منها مليحةٌ مستفاده
فادع بى لا عدمت تقويم مثلى فتأمّل بعينك السّجاده
ترى أبداً من الصلاة بوجهى توقنُ النفسُ أنها من عباده
لو رآها بعضُ المرائين يوماً لا شتراها يعدّها للشهاده
ولقد طال ما شقيت ولكن أدركتنى على يديك السعاده

فلما بلغ الشعر الفضل ضحك . وقال : من علم أنَّ السجادة تصلح للشهادة بعد . وكلم فيه الأمين فتركه بعد أن أخذ عليه أن لا يشرب الخمر فقال :

ما من يدٍ فى الناس واحدةٍ كيدى أبى العباس مولاها(٢)
نام الثقاةُ على مضاجعهمْ وسرى إلى نفسى فأحياها

---

(١) اليقق : شديد البياض
(٢) فى ديوانه : كيد أبو العباس أولاها .

قد كنتُ خِفتكَ ثم أمَّنني ... من أن أخافكَ خوفكَ الله

فعفوت عني عفوَ مقتدرٍ ... وجبت له نقمٌ فألغاها[1]

ومن قوله في ترك الشرب :

أيها الرائحان باللوم لُومَا ... لا أذوقُ المدامَ إلاّ شميما

نالني بالملام فيها إمامٌ ... ما أرى في خلافه مستقيما

فاصرفاها إلى سواي فإني ... لست إلاّ على الحديث نديما

فكأني وما أُزيِّنُ منها ... قَعَدِيٌّ يزيِّن التحكيما

كَلَّ عن حمله السلاحَ إلى الحرْ ... بِ فأوصى المطيق أن لا يُقيما

— والقعد — فرقة من الخوارج يأمرون الناس بالخروج وهم لا يخرجون . وزعم المبرد أنه لم يسبق إلى هذا المعنى . وقال في ذلك أيضا :

غنّيا بالطّلول كيف بلينا ... واسقنا لفظك الثناء الثمينا[2]

من سلاف كأنها كل شيء ... يُتَمَنَّى مخيّرٍ أن تكُونا

أكل الدهر ما تجسّم منها ... وتبقى لُبابها المكنونا

فاذا ما اجتليتها فهباء ... يمنع الكف ما تبيح العُيونا

ثم شجت فاستضحكت عن لآلٍ ... لو تجمعن في يد لاقتُنينا

في كؤوسٍ كأنهنّ نجومٌ ... دائراتٍ برُوجها أيدينا

طالعاتٌ مع السُّقاة علينا ... فاذا ما غربْن يغربْن فينا

لو ترى الشَّرب حولها من بعيد ... قلت قومٌ من قرة يصطلونا

وغزال يديرها ببنان ... ناعمات يزيدُها المزج لينا

كلما شئت علّني برضابٍ ... يترك القلب للسرور قرينا

---

(١) في ديوانه : حلت له نقم فأكفاها .

(٢) في ديوانه : غننا بالطلول كيف بلينا . واسقنا نعطك الثناء الثمينا . مع اختلاف في بعض الالفاظ كقوله : بخير أن تكونا ، مخير أن يكونا . وقوله : قرينا بدله : خدينا

ذاك عيش لو دام لى غير أنى عفتُه مكرها وخفت الأمينا

وقال أيضاً :

أعاذل أعتبت الامام وأعتبا وأعربت عما فى الضمير وأعربا

وقلت لساقيها أجزها فلم يكن ليأبى أمير لمؤمنين وأشربا[١]

فجوزها عنى سلافا ترى لها إلى الأفق الأعلى شعاعاً مطنّبا

إذا عب منها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

ترى حيثما كانت من البيت مشرقا ومالم تكن فيه من البيت مغربا

يدورُ بها رطب البنان ترى له على مستدار الخد صدغا معقربا

سقاهم ومنانى بعينيه منية فكانت الى قلبى ألذ وأطيبا

قال الحسن بن الضحاك أنشدت أبا نواس قولى :

وشاطري اللسان مختلف الـ ـكرة شاب المجون بالنسك[٢]

كأنما نصب كأسه قمر يكرع فى بعض أنجم الفلك[٢]

فلما بلغت فيه [نعر نعرة] منكرة . فقلت : مالك فقد رعتنى . فقال: هذا المعنى انا أحق به ، ولكن سترى لمن يروى ثم أنشدنى بعد أيام :

اذا عب منها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

فقلت هذه مصالة يا أبا على . فقال : اتظن أنه يروى لك معنى مليح وانا فى الحياة .

وقال فيه ابن الرومى فجاء بأحسن منهما :

ومهفهف كملت ملاحته حتى تجاوز منية النفس

تصبو الكئوس إلى مراشفه وتضج فى يده من الحبس

---

(١) فى الاصل : وقلت لساقيها ادرها فلم يكن . والتصحيح من ديوانه . وقوله: يدور بها رطب البنان . الخ فى ديوانه :

يدير بها ساق اغن ترى له على مستدار الاذن صدغا معقربا

(٢) فى الاصل : بالنسل والقلل وكتب محمد حفنى المهدى على هامش النسخة : الذى احفظه بالنسك وانجم الفلك . قلت وهو الصحيح

أبصرته والكأس بين فمٍ منه وبين أناملٍ خمس
وكأنها وكأنّ شاربها قمر يقبّل عارض الشمس

وانما اتبع ابو نواس فى هذه الأشعار التى وَصفَ فيها ترك الشرب وطاعته لأمر الأمين مذهب أبي معاذ بشار بن برد وذلك أنه لما قال :

لا يؤيسنك من مخبأة قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بعدما جمحا

فبلغ ذلك المهدى فغاظه . وقال: يحرض الناس على الفجور و يسهل لهم السبيل اليه. فقال له خالد بن يزيد بن منصور الحميرى : يا أمير المؤمنين قد افتتن النساء بشعره وأى امرأة لا تصبو إلى مثل قوله :

عجبت فطمة من نعتى لها هل يجيد النعت مكفوف البصر
بنت عشر وثلاث قسّمت بين غصن وكثيب وقمر
دُرّة بحريّة مكنونة ما زَها التّاجر من بين الدُّررْ
أذرت الدّمع وقالت ويلتى من وَلوع الكف ركّاب الخطر
أمّتى بدّد هذا لعبى ووشاحى حلّه قد انتشر
فدعيني معهُ يا أمّتى علّنا فى خلوةٍ نقْضى الوطَرْ
أقبلتْ فى خلوةٍ تضربُها واعتراها كجنون مستقرْ
بأبى والله ما أحسبه دمع عينى غسل الكحل قطَرْ
أيُّها النُّوامُ هبُّوا ويحكم وسلونى اليومَ ماطعم السَّهرْ

فأمرهْ المهدى أن لا يتغزل . فقال أشعاراً فى ذلك منها (١) :

---

(١) وجدت فى غير الاصل هذه القطعة وفيها :

لمعت الى تسومنى لعب الشباب وقد طويته
وتقول إنك قد جفو ت وكنت لى شرخا حويته

مع اختلاف فى بعض الالفاظ

يا منظراً حسناً رأيتُهْ ... من وجه جارية ٍ فديتُهْ
والله رب ِّ محمـدٍ ... ما أن غدرْتُ ولا نويتُهْ
أعرضتُ عنـك وربّما ... عَرَض البلاءُ وما اتّقيتُهْ
إنَّ الخليفـةَ قد أبى ... وإنْ أبى شيئاً أبيْتُهْ
ويشوقنى بيت الحبيـ ... ـب إذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ
ومُخضَّبٍ رخص ِ البنا ... ن ِ بكىَ علىّ وما بكيته
قامَ الخليفـةُ دونه ... فصبرت عنه وما قليتُهْ
ونهـانىَ الملك الهما ... م عن النساء فما عصيتُـهْ
بل قد وفيت فلم أضـعْ ... عهـداً ولا وأياً وفيتُـهْ
وأنا المطلُّ على العـدى ... وإذا غلا الحمد اشتريتهْ

وقال :

والله لولا رضى الخليفة ما ... أعطيت ضيماً علىَّ فى شجنى
قد عشت بين الندمان والرا ... ح والمزهر فى ظل مجلس حسن
ثم نهانى المهدى فانصرفت ... نفسى صنيع الموفق اللقن

وقال :

أفنيت عمرى وتقضى الشباب ... بين الحميّا والجوارى الأواب
فالآن شفعت أمام الهدى ... وربما طبت لحب وطاب
لهوت حتى راعنى داعياً ... صوت أمير المؤمنين المجاب
لبيك لبيك هجرتُ الصبا ... ونام عذالى ومات العتاب
أبصرت رشدى وتركت المنى ... وربما زات لهنَّ الرقاب

وفى هذه الكلمة يقول :

يا حامد الفعل ولم يبـله ... سبقت بالسيل سيل السحاب
الفعل أولى بثناء الفتى ... ماجاءهُ من خطأ أو صواب

دع قول وأى وانتظر فعله ينبى عن اللقحة مافى الحلاب
إذا غدا المهدىَّ فى جنده وراح فى آل الرسول الغضاب
بدا لك المعروف فى وجهه كالظَّلْمِ يجرى فى الثنايا العذاب.

ومن شعره المطرب فى الغزل قوله :

أيها السّاقيان صُبَّا شرابى واسقيانى من ريق بيضاء رود
إن رأبي الصدا وإن شفائى شربة من رضاب ثغر بَرود
عندها الصبر عن لقائى وعندى زفرات يأكلن قلب الجليد
ولها مبسم كثغر الأقاحى وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السواد من حبّة القلـ ـب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعدَ ليالٍ والليالى يبلين كلَّ جديد
لم أبالى من ضنّ عنى بوصل إن قضى الله منك لى يوم جود

وقوله :

لو عاينوها لم يلوموا على البكا كريما سقاه الخمر بدرٌ محلّق
فكيف تناسى من يكون حديثه بأدنى وإن غيبت قرط معلق

وقوله :

كأنها حين لاحت فى مجاسدها فارتج أسفلها واهتزّ أعلاها
حوراء جاءت من الفردوس تفتنه كالشمس طلعتها والمسك ريّاها
من اللواتى غدت فرداً وشق لها من ثوبه الحسن سربالا فردّاها
راحت ولم تعطه برأ لقرحته بها ولو سألته النفس أعطاها
تغمه نفسه من طول صبوتها حتى لو اجتمعت فى الكف ألقاها
ماشاهد القوم إلا ظلّ يذكرها ولا خلا ساعة إلا تمناها

وقول بشار — عجبت فطمة من نعتى لها — قد احتذاه محمد بن مناذر :

قد جدَّ بى فى اللعِب ذو راحة من تعَب

جسم من الفضة قد أشرب ماء الذهب
جارية صغيرة مشغولة باللعب
صاحت وقد روّعتها بقبـلة واحربى
أنت وربى يافتى تريد أن تصنع بى
إيّاك أن يدعو عليـك اليوم أمى وأبى
فلم أزل أختلها حتى علوت مركبى
وهى كغصن مالت الر يح به مضطرب
تجود عيناها بجا رى دمعها المنسكب

ومن مليح ماقيل فى الصغار قول أبى نواس الحسن بن هانى : (١)

حين أوفى على ثلاثٍ وعشر لم يطل عهد اذنه بالشنوف
وبه غنّة الصبا تعتليها بحة الاحتلام للتشريف
حين رام أنسنا منه بعين وثنى أختها من التخويف

وقال عبد الله بن الحسين الكاتب

جارية أذهلها اللعبُ عمّا يقول الهائم الصب
شكوت ما ألقاها من حبها فاقبلت تسأل ما الحب

وقال ابن المعتز :

الآن زاد على عشر بواحدة وزاد أخرى وشاب الحب بالخدع
وجاوب اللحظ منه لحظ عاشقه وجرر الوعد بين اليأس والطمع
وكان غرًّا بقتلى ليس يحسنه والآن بدّع فى قتلى على البدع

وقال غيره :

إنى بليت بطفلة هيفاء جائلة الوَشاح

---

(١) لم أقف على هذه الابيات فى نسخة ديوانه

ومليحة يا ويلتى ماذا لقيت من الملاح
ما جاز عشرا سنُّها بيضاء كالقمر اللياح

وقال اعرابى فى جارية صغيرة وعدها أبوها أن يزوجها منه :

أعاقنى بعشقها أبوها مليحة العينين عذبٌ فوها
قليلة الأيام إن عدُّوها لا تحسن السب اذا سبوها

وقال قيس بن الملوح :

وعلّقت ليلى وهى غر صغيرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجْمُ
صغيرين نرعى البهم ياليت أننا إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم

***

مزيد المدينى قالت له امرأته يوماً ليس شىء أربح من عمل النبيذ فعملته ، فاتاها برجل معه درهم واحد . فقالت له: لا أبيعه إلا جملة فاتى صاحب الشرطة فقال له إن امرأتى عندها نبيذ فوجَّه الحرس وقال كونوا معه فان كان فى بيته نبيذ فأطرحوه وامرأته فى الحبس ، وإن لم يكن فيه شىء فردوه إلىَّ . فجاءوا فدخلوا منزله فوجدوا النبيذ . فقال لأمرأته : قد جئتك بمن يأخذه جملة فكسروا جرار النبيذ وجلدوهما جميعاً ومضوا بهما إلى الحبس ، فلما حصلا فيه . قال لامرأته: وأزيدك فائدة عمّا نحن فيه لم تخطر ببالك . قالت: وما هى يامشؤم؟ قال : استرحنا من كرى البيت . وزُفت إليه امرأة فأتته الماشطة وهى تجلى فقالت: انحلها شيئاً قال قد نحلتها تطليقة . ودفع قميصه إلى الغسال فرده إليه وقد نقص شبراً . فقال : ليس هـذا قميصى ، قميصى أتم من هذا شبراً . قال : جعلت فداك إنما تقلص فى الغسل لأنه قطن . فقال له مزيد : أقعد حاسبنى فى كم غسلة يرجع حرمازا . ودخل على بعض الموالى وكان المولى ذا مال كثير وهو على سرير ممتد وبين يديه رجل من ولد أبى بكر الصديق وآخر من ولد عمر بن الخطاب وهما على الأرض. فتجهمه وقال : قبحك الله

يا مزيد فما أكثر إلحافك، وأشد إجحافك، كل يوم تأتيني سائلا. قال: لم آتك في مسألة و إنما أتيتك أسألك عن معنى قول الحارث بن خالد المخزومي:

إني وما نحروا غداة منًى عنـد الجمـار تؤودها العقل

لو بدّلت أعلا منازلهـا سفلا وأصـبـح سفلها يعلو

فلما رأيتك فوق ورأيت هذين تحتك عرفت معنى البيتين. فقال: اعزب عليك لعنة الله، وارتج المجلس ضحكا. وذكر بحضرة ابن أبي عتيق شعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي. فقال رجل من ولد خالد بن العاصي: صاحبنا اشعر — يعني الحارث — فقال ابن أبي عتيق بعض قولك يا ابن أخي؟! فلشعر ابن أبي ربيعة لوطة بالقلب وعلق بالنفس ودرك للحاجة، ليس بشعر ماعصى الله قط أكثر مما عصى بشعر ابن أبي ربيعة، فخذ عني ما أصف لك. أشعر قريش من رق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه وتقطعت حواشيه وأنارت معانيه وأعرب عن صاحبه. فقال الذي من ولد خالد بن العاص صاحبنا يقول:

إني وما نحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل

لو بدلت أعلا منازلهـا سفلا وأصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بها فيردها الإقواء والمحل

لعرفت مغناها بما احتملت مني الضلوع لأهلها قبل

فقال ابن أبي عتيق: يا ابن اخي استر على صاحبك ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا ما يطبن عليها الحارث، حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله، مابقي عليه إلا أن يسأل الله في حجارة من سجيل وعذاب أليم. ابن أبي ربيعة كان أحسن للربع مخاطبة وأجمل مصاحبة حيث يقول:

سائلا الربع ما ليلي وقولا هجت شوقا إلى الغداة طويلا

أين حلوا أهلوك إذ أنت مسـ ـرور بهم هل أراك جميلا

قال ساروا وامعنوا واستقلوا وبكرهي لو استطعت بديلا

سئمونا وما سئمت مقاماً   واستحبّوا دماثةً وسهولا

وانما أخذ الحارث قوله: لعرفت مغناها بما احتمات البيت . من قول امرء القيس. قال علىّ بن الصباح : وأَرِقَ ابى محلِم . قال لى أبو محلم : اتعرف لامرىء القيس أبياتاً سينيّة قالها عند موته فى قروحه والحلة المسمومة غير القصيدة التى أوّلها :

ألِمّا على الربع القديم بِعَسْعَسَا   كأنى أنادى أو أكلم أخرسا

فقلت لا اعرف غيرها. فقال: أنشدنى جماعة من الرواة وانشد أبياتا اولها :

لمنْ طلل درست آيه   وغيّره الزمن الأخرس

تنكره العين من حادثٍ   ويعرفه شغف الأنفس

وأخذه طريحُ بنُ اسماعيل الثقفى فقال وأحسن :

تستخبر الدمن القفار ولم تكن   لترد أخباراً على مستخبر

فأخذه أبو نواس إلا انه قلبه فجعل الانكار للقلب فقال :

ألا لا ارى مثلى امترى اليوم فى رسم   تعرّفه عينى ويلفظه وهمى

أتت صور الأشياء بينى وبينه   فظنّى كلاظنٍّ وعلمى كلا عِلم

قال ولو قال : تنكرُه عينى ويعرفُهُ وهمى، لكان كالأوّل وكان أجود. فلعلّ أبا نواس قصدَ الخلافَ واعجبَهُ قوله ـ ويلفظهُ وهمي ـ لأنها لفظة جرتْ مليحةً، وقد ملح الحسنُ بنُ وهبٍ فى هذا المعنى إلاّ انّه المّ به وأجمله ولم يذكرُ القلب فقال :

ابليت جسمى من بعد جُدّته   فما تكادُ العُيونُ تُبصرهُ

كأنّه رسمُ منزلٍ خلقٍ   تعرفُه العينُ ثم تنكره

وزعم يحيى بن منصور الذهلى انه يعرف معهد أحبابه بقلبه وكتمها عينه فقال :

اما يستفيق القلب إلاّ انبرى له   تذكر ضيقٍ من سعاد ومربع

اخادع عن عرفانه العين انه   متى تعرف الاطلال عينى تدمع

وقال غيره :

هى الدار التى تعر   ف أم لا تعرف الدارا

ترى منها لأحبابـ   ـك أعلاما وآثارا

فيبدى القلبُ عِرفاناً وتُبدى العينُ إنكارا

***

وحصلت لابى علقمة النحوى علة ، فدخل عليه أعين الطبيب يعوده . فقال : ما تجد ؟ قال : اكلت من لحوم هذه الجوازل فطسست طسة فأصابنى وجع ما بين الوابلة إلى دابة العُنق فما زال يزيد وينمى حتى خالط الخِلْب والشراسيف فماذا ترى ؟ قال: خذ خرفقاً وشرفقاً وشلبقة فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه . فقال : ما تقول ؟ فقال : وصفتَ لى من الداء ما لا أعرف ، فوصفت لكَ من الدواء مالا تعرف . قال : ويحك فما افهمتنى قال : لعَنَ الله اقلنا إفهاماً لصاحبه.

وقال رجل اسمه عُمر لعلىّ بن سليمان الاخفش علمنى مسئلةً من النحو ؟ قال : تعلم أن اسمك لا ينصرف ، فأتاه يوماً وهو على شغل . فقال مَن بالباب . قال : عمر . قال : عمر اليوم ينصرف. قال: او ليس قد زعمت أنه لا ينصرف قال : ذاك اذا كان معرفة وهو الآن نكرة . وقال الصولى سكر هارون النديم عند المعتضد سكراً شديداً ونهض الجلساء كلهم سواه فقال : له الخادمُ الموكل بالندماء انصرف . فقال : أمير المؤمنين امرنى بالمبيت هاهنا . فقال : يا أمير المؤمنين هارون ينصرف . قال : لا ينصرف ، فلما أصبح رآه المعتضد فقال من هذا ؟ قيل هارون ابن على . فقال : للخادم الموكل بالندماء متى تقدم للجلساء المبيت هنا . فقال : أنت اعزك الله قلت هارون لا ينصرف . قال : إنا لله إنما اردت النحو . قال ابو العبر : قال لى أبو العباس يحيى بن أحمد بن يحيى بن ثعلب : الظبى معرفة أو نكرة ؟ فقلت : إن كان مشويا على المائدة فمعرفةٌ ، وإن كان فى الصحراء فهو نكرةٌ . فقال : ما في الدنيا أعرف منك بالنحو

***

أبو الحسن على بن سليمان كتبَ إلى بعض اخوانه يستعير دابة، ودابة لاتجىء بوزن الشعر لأنه جمعٌ بين ساكنين :

أردتُ الركوب إلى حاجةٍ   فجد لى بفاعلةٍ من دببتْ

فأجابه الفتى وكانَ ظريفاً :

زيدَ بها وجع غامز   فكن أنت لى فاعلا مِن عذرتْ

ومن ملح النحويين :

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ؟   ويحرمُ مادون الرضى شاعر مثلى !!

كما سامحوا عمراً بواوٍ مزيدةٍ   وضويقَ باسم الله فى ألف الوصل

وقال أبو الفتح البستى :

حُذفتُ وغيرى مثبتٌ فى مكانه   كأنّى نون الجمع حين يضاف

***

وكان المتوكل قد بسط عبادة المخنّث للدخول معه على كل حال ، فدخل عليه وهو نائم مع سوداءَ كان يحبُّها ، فلما رآهُ أمرَها أن تغطى وجْهها . فقال : يا أمير المؤمنين ومَن معكَ ؟ قال : ويلك وبلغ فضولكَ إلى هذا الموضوع ومدت الجارية رجلها فبانت سوْداء . فقال : يا أمير المؤمنين تنام ورجلك فى الخف . فقال المتوكل : قمْ عليك لعنة الله ! وضَحِكَ وأمر له بصلةٍ فأخذها وأنصرفَ .

وكان عبادة يشرب بين يديه ويترك فى القدح فضلة . فقال : يا عبادة ماتدرى ما يقولُ الناسُ ؟ قال : وما هو ؟ قال : يقولونَ إن شارب النبيذ إذاشرب وعبس وجهه وفضلت فى القدح فضلة ان ابليس يضرب قفاه ويقول اشرب فضلة مااستطبت ، فمضت الأيام واصطبح المتوكل وعبادة حاضر فشرب قدحاً كان فى يده وفضلت فضلة . فقال : يا أمير المؤمنين جاءك ارجل

وتجارى الجوارى بحضرة المتوكل فسبقتهن جارية ممشوقةٌ . فقال : المتوكل لعبادة : اجر معها حتى ننظرُ من يسبق صاحبه . فقال عبادة : إن سبقتها فما لى ؟ قال:هى لك وإن سَبقتكَ صفعتكَ ، فجرت معه الجارية فَسَبَقَتْه مرة بعد أخرى فقال : يا أمير المؤمنين كيف لا تسبقنى وهى تجرى بمدارين وأنا أركض بخرجين،

فضحك المتوكل ووهبها له . وغفل عنه المتوكل مرة فكتب له رقعة يستأذنه فى الحج فضحك . وقال : عبادة يحج ؟! علىّ به ، فلما دخل عليه . قال له : ماخبرك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لقد تواضعت حتى ما آكل إلا الخشكار ، ولا أشرب إلا نبيذ الدردى ، ولا أسمع إلا غناء حوراء ، فأمر له بصلة .

ألمّ جحظة البرمكى بهذا المعنى فقال :

إنى رضيت من الرحيق بشراب تمرٍ كالعقيق
ورضيت من أكل السميـ ـذ بأكل مسوّد الدقيق
ورضيت من سعة الصحو ن بمنزل ضنكٍ وضيق
وجعلت تغريد الحما مة منزلى عند الشروق
فغدوت كسرى صاحب الإيـ ـوان والعيش الأنيق
وحجبت نفسى عن حجا ب الباخلين ذوى الطريق
القاطعين مخافة الإ نفاق أسباب الصّديق

قال ابن أبى عتيق لأمرأته تمنيت أن يهدى إلينا مسلوخ فنتخذ من الطعام لون كذا ولون كذا ، فسمعته جارة له فظنت أنه أمر بعمل ما سمعته فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت فقرعت الباب . وقالت: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعمونى منها . فقال ابن أبى عتيق لامرأته : أنت طالق إن أقمنا فى هذه الدار التى جيرانها يتشممون الأمانى . ولبس مزيد جبة فقيل له أتتمنى أن تكون لك ؟ قال : نعم ! وأضرب عشرين سوطاً قيل ولم ويحك ؟ قال : لا يكون شىء إلا بشىء . قال الأصمعى : طلب الحجاج رجلا فهرب منه فمر بساباط فيه كلب نائم فى ظله . فقال : ياليتنى مثل هذا الكلب ، فما أتت ساعةٌ حتى مر به الكلب وفى عنقه حبل فسأل عنه فقالوا جاء كتاب الحجاج وبه يأمر بقتل الكلاب . وفى كتاب للهندان[1] أن ناسكا كان له سمن وعسل فى جرة . ففكر يوماً فقال أبيع هذه الجرة بعشرة دراهم

(١) كذا فى الاصل : ولعله للهند

فاشترى خمسة اعنز فأولدهن فى كل سـنة مرتين فيبلغ النتاج فى سنتين مائتين وابتاع بكل أربع بقرة وازرع وينمى المال فى يدى، فاتخذ المساكن والعبـيد ويولد لى ولد فأسميه كذا وآخذه بالأدب فان هو عصانى ضربت بعصاى رأسه وكانت فى يده عصا فرفعها كالضارب فأصابت الجرة فانكسرت وتبدد السمن والعسل. قال يزيد بن معاوية: ثلاث يخلقن العقل وفيهن دليل على الضعف، سرعة الجواب، وطول التمنى، والاستغراب فى الضحك. وكان يقال: التمنى والحلم إخوان. وقالوا فى نقيض ذلك: الأمل رفيق مونس، إن لم يبلّغك فقد ألهاك. وأنشدوا:

أتانى من ليلى جواب كأنما ... سقتنى به ليـلى على ظمأ بردا
منىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى ... وإلاّ فقد عشنا بها زمنا رغدا

وقال اعرابىّ:

رفعت عن الدنيا المنى غير حبها ... فما أسأل الدنيا ولا استزيدها
وتحت مجارى الصـدر منّا مودة ... تَطَلّع سرّاً لا ينـادى وليـدها

وقيل لاعرابى: ما امتع لذات الدنيا؟ فقال: ممازحة الحبيب ومغالطة الرقيب وأمانى تقطع بها أيامك، وأنشد:

عليـنى بموعـد ... وامطلى ماحييت به
ودعيـنى أفوز منـ ... ـك بنجوى تطلّبـه
فعسى يعـثر الزمـا ... ن بحظى فينتـبه

ودخل كثيّر بن عبد الرحمن على عزة. فقالت: ما ينبغى أن نأذن لك فى الجلوس. قال: ولم ذلك؟ قالت: لأنى رأيت الأحوص ألين جانباً عند القوافى منك فى شعره، واضرع خداً للنساء وأنه الذى يقول:

يا أيها اللائمى فيهـا لأصرمَها ... أكثرت لو كان يغنى عنك إكثار
اقصر فلست مطاعاً إذ وشيت بها ... لا القلب سالٍ ولا فى حبّها عار

ويعجبنى قوله:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زوّاراً ولكنّ ذا الهوى ... إذا لم يُزَرْ لا بد أن سيزور
لقد منعتْ معروفها أم جعفر ... وإنى إلى معروفها لفقير

ويعجبنى قوله:

كم من دنيّ لها قد صرت اتبعه ... ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا
لا أستطيع نزوعا عن محبتها ... أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعنى ... حتى إذا قلت هذا صادق نزعا
وزادنى رغبة فى الحب أن منعت ... أشهى إلى المرء من دنياهُ مامنعا

وقوله :

إذا أنت لم تعشق ولم تدرما الهوى ... فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
وما العيش إلا ما تلذ وتشتهى ... وإن لام ذو الشنآن فيه وفنّدا
وإنى لأهواها وأهوى لقاءها ... كما يشتهى الصادى الشراب المبردا
علاقة حب لجَّ فى سَنَن الصبا ... فأبلى وما يزداد إلا تجدُّدا

هذان البيتان ألحقها الضبي وغيره بهذا الوضع من شعر الأحوص ، وأنشدهما أبو بكر بن دريد لأعرابيٍّ . فقال لها كُثيرَ : والله لقد أجاد فما استجفيت من قولى ؟ قالت : فذلك قولك :

وكنت إذا ماجئت أجاس مجلسى ... وأظهرن منى هيبة لا تجهما
يحاذرن منى غيرة قد عرفتها ... قديما فما يضحكن إلا تبسُما
تراهن إلا أن يؤدين نظرة ... بموخر عين أو يقلبن معصما
كواظم ما ينطقن إلا بجوره ... رجيعة قول بعد أن تتفهما
وكنّ إذا ما قلن شيئاً بسترة ... اسر الرضى فى نفسه وتحرما

وقولك :

وددت وبيت الله انك بكرةَ ... هجان وإني مصعب ثم نهرب
كلانا به عدوٌ فمن يرنا يقل ... على حسنها جرباء تعدى وأجرب

نكون لذى مالٍ كثير مغفل فلا هو يرعانا ولا نحن نطاب
إذا ما وردنا منهلا صـاح أهله علينا فما ننفك نجفى ونضرب

و يحك ؟ ! لقد أردت فىّ الشنعاء ماوجدت أمنية أوطأ من هذه ، فخرج من عندها خجلا . وكثير إن قبح فى هذا فقد ملح فى قوله :

فليت قلوصى عند عزة قيدت بقيـد ضعيف عر منها فضلّت
وغودر فى الحى المقيمين رحلها وكان لهـا باغ سواى وندت
وكنت كذى رجْلين رجل صحيحة وأخرى رمى فيها الزمان فشلّت
وكانت كذات الظلع لمَّـا تحامات على ظلْعها بعد العثار استقلت
أريد ثواءً عنـدها وأظنها إذا ما أطلنا عندها المكث ملت

وكان كثيّر على حدة خاطره وجودة شعره أحمق الناس . ودخل عليه نفر من قريش يعودونه وهو عليل ويهزؤن به قال بعضهم فقات له : كيف تجدك قال بخير ثم قال هل سمعتم الناس يقولون شيئا قات نعم سمعتهم يقولون انك الدجال قال أما لئن قالوا ذلك إنى لأجد فى عينى اليمنى ضعفا مذ أيام . قال : الجاحظ حدثنى ثمامة ابن أشرس قال كان ممرور يأتى ساقية لنـا سحراً فلا يزال يمشى مع دابتها ذاهباً وراجعاً فى شدة الحر والبرد فاذا أمسى توضأ وصلى وقال اللهم اجعل لنا من هذا الهم فرجا ومخرجاً ثم انصرف إلى بيتـه فكان كذلك إلى أن مات . قال : وحدثنى ثمامة قال مررت فى غب مطر والأرض ندية والسماء مغيمة والريح شمالية و إذا شيخ أصفر كأنه جرادة وقد جلس على قارعة الطريق وحجام زنجى يحجمه وقد وضع على كاهله واخدعيه محجمة كأنها قعب وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه . قال: فوقفت عليه وقلت ياشيخ لما تحتجم فى مثل هذا اليوم فقال لمكان الصفار الذى فىّ . قال : الجاحظ مارأيت رجلا عظيم اللحية إلا وجدته كوسج العقل . وقالت أعرابية لقاض قضى عليها : عظم رأسك فبعد فهمك ، وانسـدلت لحيتك فانشمر عقلك ، ومارأيت ميتا يقضى بين حيين قبلك . وعاب كوسج ألحى ، فقرأ: والبلد الطيب

يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكداً. فقرأ الكوسج: قل لايستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث. قال: هشام بن عبد الله يوماً فى مجلسه يعرف حمق الرجل بخصال أربع؛ بطول لحيته وشناع كنيته ونقش خاتمه وافراط شهوته. ثم رمى ببصره إلى رجل طويل اللحية فى أقصى المجلس فدعا به. فقال: هذه واحدة ثم سأله عن كنيته فقال كنيتى أبو الياقوت الأحمر فقال وما نقش خاتمك قال وتفقد الطير فقال مالىَ لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. وخرج مهزم ابن الفرج القبعسى[1] فقال: أيها الأمير انى قدقلت بيتاً، وأنشد:

كفي حزنا إن الفراء كثيرة وإنى بمرو الشاهجان بلا فرو

فقال طاهر: هذه والله قافية شرود اجيزوا، فارتج عليهم. فقال مهزم أنا أولى باجابة نفسى. وقال:

صدقت لعمرى أنها لكثيرة ولكنها عند الكرام أولى الثرو

فضحك طاهر، وقال: أما لئن أغفلناك حتى حملناك على سوء القول لنفسك سنستدرك، وأمر له بعشرة أثواب من وبر الخز والوشى، فباع منها تسعاً بتسعين ألف درهم وأمسك واحدة. قال الجاحظ: كان جعيفران الموسوس يماشى رجلا من إخوانه على قارعة الطريق فدفع الرجل جعيفران على كلب فقال: ما هذا؟ قال: أردت أن أقرنك به. قال: فمع من أنا منذ الغداة. شرب طوقان المغنى عند الشريف الرضى فسرق رداؤه فلما أصبح افتقده. فقال: قد سرق ردائي. فقال له الشريف: سبحان الله من تتهم منّا أما علمت أن النبيذ بساط يطوى ما عليه فقال: انشروا بساطكم حتى آخذ ردائى وأطووه إلى يوم القيامة. دخل رجل أكول على قوم فأكل أكلا ذريعاً. فقال أحدهم: عجبت من أكله وشرطه. وقال الآخر: وشقه دجاجة وقطه، وقال آخر: وأكله دجاجة و بطه. وقال آخر: كأنّ جالينوس تحت إبطه. فقالوا له: أما الذى قلناه فمفهوم فما معنى قولك كأنّ جالينوس تحت إبطه

---

(١) كذا فى الاصل ولم اقف على هذه النسبة

قال : اسكي يناوله الجوارشفات[1] لئلا يتخم. قيل لمخنث كم ورثت أختك من زوجها؟ قال : أربعة أشهر وعشراً — يريد العدة . قال بعض العلويين لأبي العيناء : يقتضي وقد أمرت بالصلاة عليّ أن تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. قال نعم! فاذا قلت الطيبين الأخيار خرجت أنت منهم . أخذه يزيد بن محمد المهلبي فقال في صاحب الزنج بالبصرة :

أيها الخائنُ الذي دمّر البصـ ... ـرةَ أبْشِر من بعدها بدمارِ
إن تقل جدى النبي فما أنـ ... ـت من الطيبين والأخيار
قد نفى الله في الكتاب ابن نوح ... حين كان ابنه من الكفار

و إنما قال المهلبي هذا له قبل أن ينكشف أمره أنه دعي .

***

قال أبو بكر الصولي: وحدثني محمد بن أبي الأزر وقد أذكرته خبر علي بن محمد صاحب الزنج فقال ادعى أنه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي رضوان الله عليهم، فنظرت مولده ومولد محمد بن احمد الذى ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين وكان لمحمد بن احمد ولد اسمه علي مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان، ثم رجع عن هذا النسب فادعى أنه علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ابن يحيى المقتول بخراسان من زيد بن علي . قال أبو عبدالله محمد بن علي بن حمزة: لم يكن ليحيي ولد يقال له رحيب ولا غيره لأنه قتل ابن ثماني عشرة سنة ولا ولد له. وقال: بشر بن محمد بن السرى بن عبدالرحمن بن رحيب هو ابن عمر من أهل مخا[2] هو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ورحيب رجل من العجم من ضياع الري وكانت مدته من حين نجم إلى أن قتل أربع عشرة سنة، وجملة من قتل

---

(١) كذا الجوارشفات ، والمحفوظ بحذف الفاء (٢) كذا في الأصل وفي الكامل لابن الاثير بعد سياقه ما ادعاه أولا قال قال ابوجعفر : وكان اسمه فيما ذكر علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس وأمه بنت علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني اسد بن خزيمة من قرى الري .

ألف ألف وخمسمائة ألف وله شعر حسن مطبوع، وزعم أبو بكر بن دريد أنه عمل له أكثره وما أرى هذا يصح لأنه لايشاكل طريق ابن دريد ، فمنه :

ما تغطى عساكر الليل منِّى ما تجلى مضاحكُ الصبح عنِّى
جسم سيف في جوف غمد ثياب صدر أنس من تحته قلب جنِّى
ميت حس وحيٌّ نفس كما الشمس يرى مشبها بعين التظنِّى
شمّرى إذا استقلّ بعزمٍ لم يُعرّج بليتنى ولو أنّى
ما ينال الكرى سويداه إلّا حسوة الطائر الذى لا يُثنِّى
إن رماه خطب قرى الخطب رأىٌ فيه روع النّجا وحكم التأنّى
كم ظلامٌ جعلته طيلسانى صاحبى همتِّى وقلبى مِجَنِّى
كم جبالٌ قطعت فى وصل أخرى تاركاً ما أخاف مِنْ سوءِ ظنِّى
مستخفٍّ بذا وذاك وهذا لم أسمّع ندامتى قرع سِنِّى
أنا روض الرَّبيع فى كل زهرٍ فيلسوف الزَّمان فى كل فن

وقال :

لقد علمت هاشمٌ أنّنا صِباحُ الوُجوهِ غَدَاةَ الصِّياح
وأنّا إذا زعزعتْ فى الوغى ذُيول الرِّياح ذبول الرماح
نسوق السُّيُوف بدفع الحُتوف وننكى الجراح بكفّ الجراح
ونسمو سَماحاً أكفّ السَّماح بقسم رماح وبيض صفاح
وقرم صبحناه فى داره بكل أقبٍّ ونهد وقاح
فغودر بعد عناق الملاح ضجيع النّجيع مراح الجراح
كليل الأنين مذال الجبين مهين السِّلاح مهيض الجناح
صلى نور عينى بنور الأقاح وراح الأكف بماء وراح
فما طول عشقى مزاح الملاح بمشتغل عن صياح الصباح

وقال :

اسمعانى الصياح بالامليس وصياح العيرانة العيطموس[1]
واتركانى من قرع مزهر ريّا واختلاف الكئوس بالخندريس
ليس تُبنى العلى بذاك وهذا لكن الضرب عند أزم الضروس
عوفت[2] عن كل اللبانات نفسى وسمت نحو غير ذاك حُدوسى
وخلا من هواجس النأى قلبى كخلو الطلول بعد الأنيس
واسبطرّت حمالق القوم للمو ت وصارت نفوسهم فى الرُّؤس
رب سيد يحمى الخميس بعضب ويجلى ظلامُ ليل الخميس
عمّمته يُمنى يدىّ بعضب تركت جنبه كجنب العروس
تخبرنك الكماة عن غدواتى فى غداة الوغى أبا قابوس
فسلُوا عامرًا وعارض لمّا أن لقوا بالفجور والتدليس
أترونى أقرّ بالنّوْم غمضاً ياعبيد الصليب والناقوس

وقال :

وإنا لتُصْبح أسيافنا إذا ما اصطبحنا بيوم سفوك
منابرهن بطون الأكف وأغمادهنّ رؤس الملوك
ومالى فى الخلق من مشبهٍ ولا فى اكتساب العلى من شريك

وقال يخاطب بنى العباس :

بنى عمنا لا توقدوا نار فتنة بطيءٌ على مرّ الليالى خمودُها
بنى عمّنا إنّا وأنتمْ أناملٌ تضمنها من راحتيها عُقودُها
بنى عمّنا وليتم التّرك أمرنا بديئا وأعقابا ونحن شهودها

---

(١) الامليس : الفلاة ليس بها نبات والعيطموس : التامة الخلق من الأبل والنساء

(٢) كذا فى الأصل وكتب الشيخ حفنى بالهامش لعلها (عوقت) بالقاف وإلا فالصحة عيفت

فأقسم لا ذقت القراح وإن أذق ببلغة عيش أو يبار عميدها

وقال :

لهف نفسي على قصور ببغدا د وما قد حوته من كل عاص
وخمور هناك تشرب جهراً ورجال على المعاصي حراص
لست بابن الفواطم الزهر إن لم أقحم الخيل بين تلك العراص

وقتله الموفق بعد أن جرت له معه مواقعة عظيمة وجرح الموفق جرحاً في صدره أشرف منه على الموت ، ولذلك قال ابن المعتز :

شقَّ الصفوف بسيفه وشفى حرارات الأحن
دامي الجراح كأنها وَرْدٌ تفتح في غصن

***

قال الجاحظ : سمعت رجلا يقول لآخر ضرب بنا الساعة زنديقاً . قال : وأي شيء الزنديق؟ قال الذي يقطع المزيقة قلت وكيف علمت أنه يقطع المزيقة قال رأيته يأكل التين بالخل . وهذا كما قال النظام لرجل: اتعرف فلاناً المجوسي ؟ قال : اعرفه ذاك الذي يحلق وسط رأسه مثل اليهود قال لا مجوسياً عرفت ولا يهودياً وصفت. باع مزيد المديني دابة فلما كان من الغد اتاه النخاسون طمعاً فلما نظر اليهم قد أقبلوا نحوه قام يصلي فاطال الصلاة. فقالوا له وهم لا يعرفونه : يا عبد الله قد ذهب يومنا فأطمعهم طول قيامه وكان أحسن الناس سمتاً وأظهرهم هدياً فانفتل من صلاته . فقال: ما عدا لكم فقد قطعتم على صلاتي. فقالوا له : قد ظهر بالدابة عيب . قال : وماعيبه قالوا يخلع الرسن قال لا أعرفه بهذه الصفة فماذا تريدون قالوا خصلة من ثلاث اما الحطيطة واما رد الثمن واخذ الدابة وأما اليمين بالله انك ما تعرف هذا فيه . فقال : أما الثمن فقد فرقناه واما الحطيطة فما تمكنا وأما اليمين فاني ما حلفت قط على حق ولا على باطل فاعفوني منها فانها اصعب الخطط عندي . قالوا : ما من ذلك بد فانطلق بنا إلى الوالي فقام معهم فلما بصر به الوالي ضحك ، وقال: ما جاء بك أبا إسحاق فقص عليه

القصة. فقال: قد انصفك القوم فقال اعز الله الأمير أحلف وأنا فى هذا السن وضرب يده على لحيته و بكى، وقال ما حلفت على حق ولا على باطل والتوى . قال : لابد فالتوى ساعة ثم قال أصلح الله الأمير فان حملت نفسى على اليمين وحلفت واعنتونى بعد . قال : أوجعهم ضرباً واحبسهم، فلما سمع ذلك استقبل القبلة وقال: بلغت السماء وكوّرت الشمس ونثرت الكواكب وشربت البحر ولطعت ما فى المصحف من الذكر الحكيم وتوليت عاقر الناقة وسرقت عصا موسى عليه السلام ولقيت الله بذنب فرعون يوم قال أنا ربكم الأعلى ، وغير ذلك من محرج الايمان . لقد كان عندى دواب كلها تخلع أرسانها فكان هـذا الحمار يقوم فيعيدها عليها و يصلحها بفمه قليلا قليلا فضحك الوالى حتى فحص برجليه و بهت النخاسون وعجبوا منه وانصرفوا عنه . وقال بعض الشعراء :

سألونى اليمين فارتعت منها ... كى يغروا بذلك الارتياع
ثم ارسلتها كمنحدر السيـ ... ـل تهادى من المحل اليفاع

ومن ظريف ما فى هذا الكتاب ما حكاه الصولى قال كنت يوماً بين يدى أمير المؤمنين الراضى بالله إذ دخل عليه بعض الخدم برقعة دفعها صاحب الخبر الملازم لمجلس ابى عمر القاضى : يذكر أن رجلا أحضر خصما للقاضى وادعى عليه مائة دينار فألزم القاضى الغريم اليمين إذ لم يجد الخصم بينـة فأخذ الدواة وكتب بيتين فدفعهما الى القاضى فأمر القاضى غلامه فأحضر مائة دينار ودفعها إلى الرجل والبيتان هما:

وانى لذو حلف كاذب إذا ... ما اضطررت وفى الأمر ضيق
وهل من جناح على مسلمٍ ... يدافع بالله ما لا يطيق

فعجب الراضى من الرجل وديانته لخلاصه من الحكم، وعجب من كرم القاضى وحسن ما فعله ، ثم امرنى بالركوب إلى القاضى ومسألته فى البحث عن صاحب البيتين واحضاره اليه . فلم نزل اياماً حتى حصل لنا فجئنا به إلى دار السلطان فأمر له بألف دينار وخمس خلع ومركوب حسن وأمره بملازمة الدار ، ثم قلّده الأهواز

واعمالها. وخرج أبو سعيد الحر بى مرة وهو شارب فجاس يبول وعليه طيلسان خلق أبريسمى فمر به بعض المكارين فى الليل وتناول طيلسانه فصاح به أبو سعيد : فقال له الفتى: ما تريد ؟ قال اصرف الله عنك الأذى . ودخل على ابى سعيد اللصوص فاخذوا كل ما فى داره فلما مضوا حمل أبو سعيد البارية ومضى فى اثرهم، فنظر اليه أحدهم فقال : أى شىء تصنع معنا ؟ قال: نطاب بيتاً نتحول فيه بمرة ، فضحك اللصوص وردوا عليه ما أخذوه منه . وكان ببغداد طبيب اسمه نعمان لا ينجح مريض على يديه ، فقال فيه بعض الشعراء :

أقول لنعمان وقد ساق طبه نفوساً نفيسـات إلى داخل الأرض
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

البيت لطرفة بن العبد . وقال : كشاجم لعيسى بن نوح النصرانى

عيسى الطبيب ترفّق فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك إلاّ فراق جسم لروح
شتّان ما بين عيسى وبين عيسى المسيح
هذاك محيي ميت وذا مميت صحيح

هذا منقول من قول رجل من بنى تميم ، لما دخل هلال بن أجور البصرة بعد إيقاعه ببنى المهلب وقد أطافت به بنو تميم فقال شيخ من الأزد رجالهم يطيفون به كما يطيفون بعيسى بن مريم . فقال التميمى: هذا ضد عيسى بن مريم فان ذاك يحيي الموتى وهذا يميت الأحياء . قال رجل للشعبى: ماتقول فى رجل أدخل أصـبعه فى أنفه فخرج عليه دمٌ أترى له أن يحجم؟ فقال: الحمد لله الذى نقلنا من الفقه الى الحجامة . وقال : له رجل ماتقول فى رجل شتمنى فى أول يوم من شهر رمضان أتراه يؤجر قال ان قال لك يا أحمق رجوت له ذلك . دخل زاهر بن العلاء على الحجـاج فنسى التسليم فقال : التحيات لله الطيبات الصلوات لله ثم ذكر التسليم فقال السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته . ودخل بعض الهاشميين على الرشيد معزيا .

فقال : يا أمير المؤمنين أحسن الله عزاك وربك عزّاك وأحاله علينا وعليك بخير ورحم فلانا ولا عرفه قليلا ولا كثيراً ، تأمر بشيء يا أمير المؤمنين ؟ قال: نعم! آمر أهلك أن يدفنوك فانّ موتك حياة وحياتك موت . مات أخ لأبى علقمة النحوى فأتى ابنه يعلم أباعلقمة بموت أخيه. فقال: ما كانت علته؟ فقال الغلام تورمت رجلاه فانتهى الورم إلى ركبتاه فقال ا و علقمة: لحنت فقل إلى ركبتيه . فقال الغلام: قد شق عليك موت أبى حيث لم تدع بغضك ساعة(١) . ومرت بداود بن المعتمر امرأة جميلة فقام يتبعها حتى أدركها • فقال: لولا ما رأيت عليك من سيماء الخير لم اتبعك ، فضحكت حتى استندت إلى الحائط فقالت انما يمنع مثلك من الطمع فى مثلى مايرى من سيماء الخير ، فاذا كان هذا هو الذى يطمع فى النساء فانالله و إنا اليه راجعون . وتعشق ابو القماقم السقاء قينة فبعث اليها حضر عندى اخوان فابعثى الىّ بجام لوزينج آكله على ذكرك : فبعثت اليه به فلما كان من الغد بعث اليها ارسلى لى بطبق مازاورد آكله على ذكرك . فقالت : جعلت فداك ذكروا ان منبع الحب من القلب فاذا تناهى بلغ إلى الكبد،وأنا أرى حبك لايتجاوز معدتك. فقال: انما فعلت هذا لأقوى على محبتك ألم تسمعى قول الشاعر :

إذا كان فى قلبى طعام ذكرتها ... وان جعت لم تخطر ببالى ولا فكرى
و إن كان هذا العام قد قلّ بقله ... فيقبح من يهواك يا ربة الخدر
و يزداد حبى ان شبعت تجدداً ... وان جعت يوماً لم تكونى على ذكرى

ومن مليح مافى هذاالباب انأبامسعود الأعمى كان جالساًفى صحن داره فأشرفت عليه جارية ظريفة فعضت تفاحة ورمت بها فى حجره . فتناولها وقال :

أيا تفاحة رمّت ... فؤادى للهوى رمّا
لقد أهداك انسان ... وأهداك لأمرٍ ما
ليهدى لاعج الشوق ... إلى من عض أو شمّا

(١) كذا فى الأصل . ولعله : لقد شق على موت أبى حيث لم يدع بغضك ساعة

فلم تكن إلا ساعة حتى وافت جارية لها معها جام لوزينج وهى تقول : مولاتى تقرئك السلام وتقول لك قد سمعت شعرك ورأيتك بدأت بالعض قبل الشم فعلمت انك جائع فتبلغ بهذا الجام حتى يدرك طعامنا . قال: وكيف كنت أقول ؟ قالت كنت تقول :

أيا تفاحة رضّت فؤادى للهوى رضا
لقد أهداك انسانٌ وأهداك لما يرضى
ليهدى لاعج الشوق الى من شمّ أو عضا

***

وكان احمد بن أبى طاهر قبيح الوجه وكان له جارية من أحسن النساء ، فضحك اليها يوماً فعبّست فى وجهه. فقال لها : أضحك فى وجهك فتعبسين فى وجهى، فقالت : نظرت أنت الى ماسرك فضحكت، ونظرت إلى ما ساءنى فعبست . وليس هذا كقول حمرة امرأة عمران بن حطان ـ وكان قبيحاً وكانت جميلة ـ انى لأرجو أن نكون جميعاً فى الجنة . فقال: ولم ؟ قالت لأنك أعطيت مثلى فشكرت وأعطيت أنا مثلك فصبرت، فالصابر والشاكر فى الجنة . وخطبت بعده فلبست بعض ثيابه وخرجت تتمثل بقوله :

وتلبس يوماً عرسه من ثيابه إذا قيل هذا يا حميرة خاطب

فانصرفوا عنها . وكان ابو الحسين جحظة البرمكى أطيب الناس غناء وأحسنهم مجالسة وأمتعهم مؤانسة ، وكان قبيح المنظر جدا جاحظ العينين وفيه يقول ابن الرومى :

نبئت جحظة يستعير جحوظة من فيل شطرنج ومن سرطان
يا رحمتى لمنادميه تحملوا ألم العيون للذّة الآذان

***

قال المداينى: جاء رجل الى جار له من الأشراف فقال له: جارك فلان توفى ولا

كفن له فتأمر له بكفن، فقال : والله الآن ماعندى شىء ولكن تعاهدنا بعد أيام. قال: فنماحه أصاحك الله الى أن يتيسر الكفن . وجدت امرأة أشعب ديناراً فأتته به فقال ادفعيه إلىّ حتى يلد لك فى كل أسبوع درهمين. فدفعته إليه فصار يدفع إليها فى كل أسبوع درهمين ، فلما كان فى الاسبوع الرابع طلبته منه . فقال لها مات فى النفاس ، فقالت : ويلى عليك كيف يموت الدينار . فقال لها : الويل لك على أهلك كيف تصدقين بولادته وتنكرين موته فى نفاسه . سقط أحدب فى بئر فذهبت حدبته وصار آدر[1] فدخل اليه جيرانه يهنئونه فقال : لا تفعلوا فالذى جاء شر من الأول . قال ابن خالويه : استعرضت جارية فقلت لها أبكر أنت أم أيش ؟ قالت : أنا أيش فاشتريتها .

* * *

قال ابو العالية : لما مات سعيد بن سلم الباهلى . قال لى الرشيد : علم فلانا تعزية يعزى بها ولد سعيد — لفتى من بنى هاشم. فقلت للفتى: إذا صرت للقوم فقل عظم الله أجركم ، وأحسن عزاءكم ، ورحم سعيداً ، قال: هذا طويل فقلت. فقل أعظم الله أجركم وختم بالصبر على قلوبكم . قال : هذا أطول من ذاك. قال فقلت: أعظم الله أجركم وكررته عليه يومين ، فلما كان اليوم الثالث ركب وركبنا معه ، فلما قرب من باب القوم خرجوا اليه حفاة اعظاماً له ، فلما رآهم . قال : مافعل سعيد ؟ قالوا مات قال جيد وما أظن ذلك ، فايش عملتم به ؟ قالوا دفناه . قال أحسنتم ثم انصرف .

لما مات سليمان بن وهب لقى الناس عبيد الله بن سليمان يعزونه ، فأتاه بعض أولاد الأشراف . فقال: مات سليمان قال نعم! قال ومات ابو على قبله قال نعم! قال ومات أبوهما قال نعم! قال هذا كما قال الله تعالى: وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ؛ فأوردهم النار وبئس القرار .

وبنو وهب من ظرفاء الكتّاب وأدبائهم ، ولهم الرسائل الحسان . والشعر الجيد وفيهم يقول ابو تمام :

---

(١) الآدر : من ينفتق صفاقه من جانبه الأيسر

كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبى وشعب كل أديب
إن قلبى لكم لكالكبد الحـ ـرا وقلبى لغيركم كالقلوب

وكلف الحسن بن وهب بهوى بنان جارية ابن حماد وكان من ظريف أخباره معها : أن الواثق تقدم إلى ايتاخ باتخاذ حلتين من رفيع الوشى على صفة دفعها إليه وأمره بتعجيلهما ، فتقدم ايتاخ فى ذلك إلى سليمان بن وهب كاتبه فجد فى الحلتين حتى فرغ منهما الصانع وأحضرتا فعرضتا على الواثق فاستحسنهما وأمر بقطعهما، فتشاغل عن قطعهما وسأل أخاه الحسن بالنيابة عنه فى ذلك ، فقطع الحسن منهما قميصاً لبنان وانصرف إلى منزله فأحضرها وخلعه عليها وجلس يشرب معها . واتصل الخبر بسليمان فقامت عليه القيامة وأمر باحضار الوشايين وطلب شكلا لها فتعذر عليه ، فابتاع حلتين تقار بهما بخمسة آلاف درهم وصدق ايتاخ عن خبره فطلبهما الواثق فدافعه ايتاخ بهما وتعالل عليه إلى أن فرغ الخياطون من الحلة التى ابتاعها سليمان بن وهب واحضرت للواثق، فلما لبسها انكرها ودعا ايتاخ فسأله عن السبب فصدقه فضحك ضحكا كثيراً ، ودعا خادماً فأمره باحضار الحسن و بنان على الصورة التى يجدهما عليها فأحضرهما فى قبة فلما رآهما الواثق قال للحسن و يلك تأخذ ثو بى تقطعه لهذى بغير أمرى، قال : أنت يا أمير المؤمنين تقدر على مثله وأنا لا أقدر عليه ، وأنا والله أحبها وأعجبنى الثوب فتقر بت منها به . فضحك ووصله وصرفهما . وفيها يقول الحسن :

أقول وقد حاولت تقبيل كفّها و بى رعدة اهتز منها وأسكن
ليهنك أنى أشجع النـاس كلّهم لدى الحرب إلا أننى عنك أجبن

وحضرت عنده يوماً وقرب منها نار فتأذت منها . فقال الحسن :

بأبى كرهت النار حتى أبعدت فعلمت ما معناك فى إبعادها
هى ضرة لك فى التماع بهائها وهـبوب نفحتها لدى ايقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صنيعها وضيائها وصـلاحها وفسادها

قال أبو فراس : قال لى عبيدالله بن سليمان بن وهب ـ وهو وزير ـ أنشدنى : مما تحفظه من شعر عمى أبى على فأنشدته :

بنفسي وأهلى ساحرالطرف فاتره محكّمة أجفـانه ومحاجره

فقال عبيد الله : لقد كان رحمه الله كثيراً مايضع خده على خدى وأنا غلام و ينشد هـذا الشعر و يبكى . فقلت : يا سيدى كان يتعشقها ليقول شعراً . ومن طبع كلامه قوله : شربت البارحة على وجه الجوزاء ، فلما انتبه الفجر نمت فما افقت حتى لفحنى قميص الشمس .

وأنشدونا فى تضمين أبيات مالك بن الريب المزنى فى قصيدته :

ألا ليت شعرى هل ابيتن ليلة بذات الغضا أزجى القلاص النواجيا

وسمعت من ينشدها لابن الرومى وأخلق بها أن تكون له :

تعرض لى بعد القطيعة ما لـكى وأظهر فضلا بعد ما كان جافيا
وقد كدّر الأنبات ماء شبابه فأصبح رنقاً بعد ما كان صافيا
فقلت له جرعت بالشعر نسوة فقال أجـل كل العيال رثاليا
فمنهن أختى وابنتاها وخالتى وبا كية أخرى تهيج البوا كيا
فبينا يعاطينى الـكلام بداله حريفان عن بعد فصاح مناديا
خذ انى فجرانى بدمعى إليكما فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

***

كان معاوية بن مروان اخو عبد الملك بن مروان مغفلا ، فبينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان إذ نظر إلى حمار يدور بالرحى وفى عنقه جلجل . فقال للطحان : لم جعلت فى عنق الحمار جلجلا . قال : لر بمـا أدركتنى سامة أو نعسة فاذا لم اسمع صوت الجلجل علمت بأنه قد قام فصحت به . فقال : له معاوية ارأيت إن قام وقال برأسه هـكذا وهكذا وحرك رأسه ما علمك أنه قائم . فقال الطحان : ومن لحمارى بمثل عقل الأمير أعزه الله تعالى . قال بعض البرامكة : كنت بالسند فاتصل بى انى صرفت عنها وكنت كسبت

ثلاثين ألف دينار ، فخفت أن يجفونى الصارف و يُسعى إليه بالمال فصغته عشرة آلاف اهليلجة كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل وجعلتها فى حمل اهليلج ، ولم ابعد أن جاء الصارف فركبت البحر وانحدرت إلى البصرة فاخبرت أن بها الجاحظ وأنه عليل ، فأحببت أن اراه قبل وفاته فصرت إليه فافضيت الى باب دار لطيف فقرعته ، فخرجت إلىّ جارية صفراء فقالت: من أنت؟ قلت شيخ غريب أحب أن أدخل إلى الشيخ فأسر بالنظر اليه ، فأديت الجارية ما قلت وكانت المسافة قريبة لقصر الدهليز والحجرة فسمعته يقول: مايصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل . فاخبرتنى فقلت لا بد من الوصول إليه . فقال : هذا رجل اجتاز بالبصرة فسمع بى و بعلتى فقال أراه قبل موته لأقول قد رأيت الجاحظ ، فدخلت فسلمت فردّ ردا جميلا واستدنانى وقال من تكون أعزك الله؟ فانتسبت اليه فقال رحم الله آباءك وقومك السمحاء الأجواد ، الفصحاء الأمجاد ، فلقد كانت أيامهم روض الأزمنة ، ولقد انجبر بهم قوم كثير فسقيا لهم ورعيا ، فدعوت له وقلت : أنا أسأل الشيخ أن ينشدنى شيئا من ألذ الشعر أذكره به ، فانشدنى :

لئن قدّمت قبلى رجالُ لطالما مشيت على رسلى فكنت المقدّما
ولكن رأيت الدهر تأبى صروفه فتبرم منقوضاً وتنقض مبرما

ثم نهضت ، فلما قاربت الدهليز صاح بى يافتى أرأيت مفلوجا ينفعه إلا هاليلج . قلت: لا ! قال : أنا ينفعنى الاهليلج الذى معك فاهد لنا منه ، فقلت السمع والطاعة وخرجت مفرط التعجب من وقوفه على خبرى حتى كأن بعض أسبابى كاتبه بحالى وقت أن صغته ، فانفذت اليه مائة اهليلجة . وهذا يدل على كثرة بحثه وتنقيره إذ كان وهو فى هذه السن العالية والفالج الشديد تنشر عنه الأخبار ، ولا تطوى عنه الأسرار ، فكيف كان قبل هذا . ومن احدى عجائبه أنه الف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال . وقيل لأبى العيناء : ليت شعرى أى شىء كان الجاحظ يحسن؟ فقال : ليت شعرى أى شىء كان الجاحظ لا يحسن . وفيه يقول الشاعر :

ولقد رأيت العلم يو ماً ما حواه اللاّفظ
حتى أقام طريقه عمرو بن بحر الجاحظ(١)

وأتى ابو العيناء الجاحظ يسأله فى رجل أن يكتب له كتاب عناية إلى صاحب البصرة. فقال: نعم! لا تنصرف إلا به، وكتب له الجاحظ الكتاب، ختمه ودفعه إليه، فأتى إلى أبى العيناء بالكتاب فقال افضضه واقرأه على لأرى ما كتب وأعيده إليه ليختمه، ففتحه فاذا فيه: كتابى إليك سألنى فيه من أخافه لمن لا أعرفه، فافعل فى أمره ماتراه والسلام. فغضب ونهض إلى الجاحظ. فقال: أعرّفك باعتنائى بهذا الرجل فكتبت له مثل هذا. فقال: لا تنكر ذلك فانها امارة بينى و بينه إذا عنيت برجل. فقال: بل أنت ولد زنا لم تكن قط لرشد. قال: أتشتمنى. قال: لأنها إمارة لى عند الثناء على إنسان.

أدعى رجل النبوة فى زمن المهدى وأدخل عليه. فقال: أنت نبى؟ قال نعم! قال: إلى من بعثت. قال: أو تركتمونى ان أبعث إلى أحد، بعثت بالغداة وحبست بالعشى. فقال: صدقت أعجلناك وضحك منه ووصله وأطلقه. قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت عروساً تزف إلا وظننتها لى، ولا رأيت جنازة إلا وظننت أن صاحبها أوصى لى بشيء. ولقد اطاف بى مرة صبيان فنادوا: يا أشعب يا أشعب. وأضجرونى، فدفعتهم عنى بأن قلت لهم دار فلان تَهَب، فبادروا. فلما ولوا ظننت أنى صادق فتبعتهم.

قال الشافعى: رأيت بالعراق أربعة أشياء لم أر مثلها؛ رأيت جدّةً بنت احدى وعشرين سنة، ورأيت قلنسوة قاض وسعت ثمانية نوى، ورأيت شيخاً ابن نيّف وتسعين سنة يمشى على القيان يعلمهنّ الغناء وضرب العود. وإذا صلى صلى قاعداً، ورأيت والياً سأل بعض من يلم به لِمَ لا يجتمع الناس على بابى؟ فقال: لأنك عدل لا تضرب أحداً فوجه إلى امام مسجد الجامع فأمر بضربه بالسياط، فاجتمع الناس على بابه وأقبلوا يتزاحمون، والرجل يقول: ما ذنبى أيها الأمير؟ والأمير يقول له: جمّلنى بنفسك قليلا يا شيخ.

---

(١) فى غير الاصل: ولقد رأيت الظرف دهـ را ما حواه اللاحظ

وولى الحجاج أعرابياً على تبالة فجمع أهلها وقال : إن الأمير أوصانى عليكم ووالله لا أحسن أن أقضى بين خصمين مرتين ، ووالله لا أوتى بظالم ولا مظلوم إلا وضربتــه حتى أقتله ، فتناصف الناس بينهم .

***

قال المداينى : كان لأبى الاسود الدئلى دكان إلى صدر الرجل يجلس فيه وحده ويضع بين يديه مائدة ويدعو إليها كل من يمر به وليس لأحد أن يجلس؛ فينصرفون عنه . وكان أبخل الناس فمر به صبى من الأنصار . فقال له أبو الأسود : هلم إلى الغداء يا فتى فأتى إليــه فلم ير موضعاً يجلس فيه فتناول المائدة فوضعها فى الأرض. ثم قال: يا أبا الاسود إن كان لك فى الغداء حاجة فانزل ، وأقبل الفتى يأكل حتى أتى على جميع ما فى المائدة، وسقطت آخر الطعام من يده لقمة على الأرض فأخذها وقال لا أدعها للشيطان فقال أبو الاسود : والله ما تدعها للملائكة المقربين فكيف تدعها للشياطين . ثم قال له ما اسمك؟ قال لقمان فقال أبو الاسود: أهلك كانوا أعلم زمانهم إذ سموك بهذا الاسم . ولم يعد بعد إلى ما كان يصنع . واسم أبى الاسود عمرو بن ظالم من بنى الدئل من كنانة ، وكان قد أدرك حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسافر إلى البصرة على عهد عمر رضى الله عنه ، واستعمله على بن أبى طالب رضى الله عنه على البصرة وكان شيعياً ، وهو أول من وضع العربية وهو القائل :

أمنت على السر آمرءا غير حازم ... ولكنه فى الود غير مريب
اذاع به فى الناس حتى كأنه ... بعلياء نار آذنت بثقوب
وما كل ذى اب بموتيك نصحهُ ... وما كل موتٍ نصحهُ بلبيبِ
ولكن متى ما جمعا عند واحد ... فحق له من طاعة بنصيب

وكان مجاوراً لبنى قشيرٍ ـ وهم عثمانية ـ وكانوا يرجمونه فاذا أصبح شكاهم . فيقولون: ما نحن رجمناك، الله تعالى رجمك فيقول: كذبتم يافعلاء أنتم ترمون فتخطئون ولو كان الله رمانى ما اخطأنى ؛ ثم باع داره وانتقل عنهم . فقيل له : أبعت دارك ؟ فقال : بل بعت جارى ، وفيهم يقول :

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوالَ الدهر ما تنسى عليًّا

أحبّ محمداً حبًّا شديداً ... وعباسا وحمزة والوصيا

فان يك حُبّهم رشدا أصِبْهُ ... ولست بمخطىء إن كان غيًّا

فقالوا له: أشككت؟ فقال: مما شك الله تعالى إذ يقول وأنا أو إياكم لعلى هُدًى أوْ فى ضلالٍ مبين. وقال عمر بن شبة لمّا وقعت الفتنة أيام ابنْ الزُّبير بالبصرة مرّ أبو الأسود على مجلس بن قشير. فقال: على ماذا أجمع أمرُكم فى هذه الفتنة؟ قالوا: لِمَ تسألنا ياأبا الأسود؟. قال: لأخالفكم فانّ الله لم يجمعكم على حق. وأنشد ابنُ شبّة فى هذا المعنى لبعض المحدثين:

اذا اشبه الامران يوماً واشكلا ... علىَّ فلم أعرف صواباً ولم أدر

سألت أبا بكر خليل محمـــد ... فقلت له ما تستحب من الأمر

فان قال قولا قلت شيئاً خلافه ... لأنّ خلاف الحق قول أبى بكر

ومن هنا أخذ أبو العيناء قوله فى أحمـد بن الخصيب: لو تأمل أحد أخلاقه فاجتنبها، لاستغنى عن الآداب يطلبها. وهذا مما يقرأه أبو العيناء فى كلام طويل عمله على ألسنة القواد والكتاب والرؤساء وغيرهم لما نكب أحمد. فقال قال محمد بن عبدالله بن طاهر: غدر بمن آثره وتخطى ما لا يقدره فحل به ما يحذره. وقال ابن طالون: تكبر وتجبر ودبر فدمّر. وقال موسى بن بغا الكبير لولا أن القدر يغشى البصر لما نهى ابن الخصيب فينا ولا أمر. وقال فارس بن بغا: لم تتم له نعمة لأنه لم تكن له فى الخير همة. وقال سليمان بن يحيى بن معاذ: كان يأمر ولا يأتمر وينهى ولا يزدجر ويعبّر ولا يعتبر. وقال جعفر ابو عبد الواحد: أحسن حسناته سيئة وأصغر سيئاته كبيرة. وقال مروان بن عيسى ابن جعفر الهاشمى: كانت دولته دولة المجانين خرجت من الدنيا والدين. وقال أبو عبدالله محمد بن زبيدة: بعُد من الشرف فتحامل عليه وقرب من ضده فمال إليه. وقال اسحاق بن ابراهيم الطاهرى: كان إذا دنوت منه غرك وإذا بعدت عنه ضرك. وقال داود بن اسحاق بن محمد بن العباس: ما أحسن قط إلا أخطأ ولا

أصاب الآ تعدى . وقال المعلى بن أيوب: نعمته أعجب من نكبته . وقال ميمون ابن ابراهيم: لو تأمل أحد أخلاقه فاجتنبها لاستغنى عن الآداب أن يطلبها . وقال الحسن بن محمد بن أبى الشوارب القاضى: كان يحسد ا! سنين و يجتنب أفعالهم ويذم المسيئين و يعمل أعمالهم . وقال عيسى بن فرحا نشاه: أعقل منه مجنون وأجن منه لا يكون . وقال برد الخيار : ما كان أقرب وليه مما يكره وعدوه مما يحب . وقال ابن حمدون: لئن فضحته القدرة لقد جملته النكبة . وقال احمد بن أبى الأصبع: ماعلمت أن خدمة الشياطين أيسر من خدمة المجانين ، كان غضبه إذا أطعناه أكثر من غضبه إذا عصيناه . وقال ابراهيم بن رباح: كان لا يفهم ولا يفهم و ينقض مايُبرم . وقال سعيد بن حميد: كان يخافه الناصح و يأمنه العاش ولا يبالي أن يراه الله مسيئا . وقال جعفر بن الفضل الجرجراى : مازال يستوحش من النعمة حتى أنس بالنقمة . وقال ابراهيم بن الجراح: كان إذا أحسن اعتذر واذا أساء أمتن. وقال محمد ابن مجمع: مجامعه ردية وأوانيه دنية ضاعت بينهما الرعية . وقال عبد الله بن منصور : كنت أرثي للسلطان من قربه كما أرثي للأمة من ظلمه. وقال ابراهيم بن المدبر: لئن كان حكمه بالخطأ نافذا لقد أصبح الحكم فيه بالصواب ماضياً . وقال عطية الكاتب: قد عرف غب ماصنع وما حصد إلاّ ما زرع. وقال سلمة بن سعيد: عرف نصيحتي فعادانى واجتهادى فنافانى. وقال ابن فراشه: كنت إذا نصحته وقانى واذا أخشنته منانى . وقال محمد بن داود التسترى: كان لا يرى درهما فى يد سواه إلا حسبه حقا له تخطاه . وقال أيوب بن سليمان: كان لا يعلم ولا يتعلم و يستصغر من يتعلم . وقال يعقوب بن أحمد: كان وليه على وجل وعدوه على أمل . وقال ابن ثوابة الكاتب: أساء عشرة الأحرار فأصبح مقفرّ الديار . وقال عريب: لم يجاور النعمة بالشكر فحل به ما استحقه بالكفر . وقال شار به : ما انور بفقده الأيام واسر بهلاكه الاسلام. وقال محمد بن الزيات قال المعتصم: لسان بذىء وخلق ردىء وطبع مسىء وقال سعيد ابن هارون : لقد رحم الله عباده إذ طهر منه بلاده وقال سليمان بن بشار: اشتد

طغيانه فبعدت أوطانه. وقال ميمون بن هارون: كتب الله له البلاء صراحاً فانبت له كالنملة جناحاً . وقال سليمان بن وهب: كان سفلة المحضر سيء المنظر ردىء المخبر. وقال حجاج بن هارون: والله ما كان له فى الشرف اسباب متان ولا فى الخير عادات حسان. وقال بعض الندماء: ما رأيته سمّى على طعام قط ولا استثنى فى يمين ولا حمد الله على نعمة . وقال تمام بن كثير الهاشمى نديم المتوكل من ولد الحارث ابن العباس: كان النداء عنده عارضة والسخف مروءة وقذف المحصنات فرض . وقال سعيد الصغير: حمل حتفه بكفه ورمى نفسه بسهمه . وقال صالح الحريرى : لايعى اليه حروان مسه الضر[1] وقال اسحاق بن صالح بن مرشد : تعرض لسخط الله فأصبح فى لعنة الله . وقال أبو الفرج بن نجاح : ما سمعته قط إلاّ زاريا على الزمان عاتبا على الاخوان آمناً من الحدثان . وقال محمد بن نصير بن منصور بن بسام: صار سلطان البغى اليه فحلت دائرة السوء عليه . وقال أحمد بن عبد الرحمن الكلبي : جهله عامر الغفلة وسفهه قاهر الجملة . وقال ابراهيم بن سعيد: إن من عجائب الدهر أن يكون له فى الأمة نهى أو أمر. وقال ثمرة الرائض: لو كان ابن الخصيب دابة لكدح بلجامه وتقاعس فى عنانه وحرن فى ميدانه. وقال ابن مزينّه: كنت اذا وقع شعره على صدرى احسست النقصان فى عقلى. وقال أبو عبد الله الصفار :ما اكثر خطأ ابن الخصيب واحوجه الى ما نحن فيه حتى يصيب .وقال بعض كتابه : كنت أرى قلم ابن الخصيب يكتب بما لا يصيب ـ وهو أطول من هذا. وهذا ضد هذه الكلمات التى قيلت بعد وفاة الاسكندر نبه بها حكماء زمانه اخترت منها هنا قطعة ، لما جعل فى تابوت ذهب تقدم إليه أحدهم فقال: كان الاسكندر يخبأ الذهب فقد صار الذهب الآن يخبئوه . وقال الآخر: أنظر إلى حلم النائم كيف انقضى والى ظل الغمام كيف انجلى. ودخل عليه آخر فقال: قد أمات هذا الميت كثيرا من الناس لئلا يموت وقد مات الآن . وتقدم آخر فقال : مالك لاتقل عضواً من أعضائك وقد كنت تستقل

(١) كذا فى الأصل.

بملك العباد . ودخل آخر فقال: مالك لاترغب بنفسك عن الجحر الضيق وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد. ودخل آخر فقال: كان لا يقدر عنده على الكلام فالآن لايقدر عنـده على السكوت. وقال آخر : كان غالباً فصار مغلوباً وآكلا فصار مأكولا. وقال آخر : ما كان اقبح افراطك فى التجبر امس مع شدة خضوعك اليوم. وقالت بنت دارا بن دارا :ماظننت غالب أبى يغلب. وقال رئيس الطباخين: نضدت النضائد والقيت الوسائد ولست أرى عميد القوم. وقال آخر: حركنا الملك بسكونه. وقال آخر: كان الملك امس انطق منه اليوم وهواليوم أوعظ منه أمس . أخذ قوله حركنا بسكونه ـ ابو اسحاق بن القاسم أبو العتاهية فقال :

يا علىّ بن ثابت بان منى صاحب جل قدره يوم بنتا
قد لعمرى حكيت لى غصص المو ت وحركتنى لها وسكنتا

وأخذ قوله الآخر فقال :

كفى حزنا بموتك ثم انى نفضت تراب قبرك عن يدّيا
وكانت فى حياتك لى عظاتٌ وأنت اليومُ أوعظ منكَ حيّا

***

وكان احمد بن الخصيب القائم بأمر المنتصر بعـد قتله أباه المتوكل واستيلائه على الخلافة فلما مات المنتصر أقره المستعين احمد بن المعتصم على ما كان ولم يطل عمر المنتصر بعد أبيه . ومن عجائب الاتفاقات ماحكاه بعض أصحاب التواريخ : أن المنتصر لما أصبح فى الخلافة وجلس للبيعة فرش فى الدار بساط جليل كسروى فوقف أحد رجال المنتصر على بعض صنائعه وقد نظر إلى دارة فيها صورة رجل ميت مسجي على سريره وقدامه ملك منتصب على سرير الملك على رأسه التاج والمراز بة قيام بين يديه وعلى رأسه سطور بالفارسية، فلما نظر الرجل إلى الصورة وقرأ ماعليها دمعت عيناه، فدعا به وقال له : ماهذا الذى تنظر اليه. قال: لاشيء يا أمير المؤمنين. قال: فلم بكيت؟ قال طرفت عينى بثوبى. قال: لابد من الصدق عمّا رأيت. قال: وقعت عينى يا أمير المؤمنين

على هذه الصورة فبقيت أعجب من حسن تصويرها ثم قرأت ما عليها مكتوب فاذا هو «هذه صورة شِيرَوَيْهِ بن كسرى قتل أباه فلم يعش بعده إلا تسعة شهور» فانخذل المنتصر ووجم ولم يعش إلا هذا القدر، فأقام احمد بن الخصيب مع المستعين على ما كان عليه. وكانت حال اوتامش التركى قد توافت فى أيام المستعين فاستخف به ابن الخصيب وجاءه بعض كتّابه فأسمعه ما كره فجاء إلى صاحبه فعرفه ماجرى فكرب الى المستعين فحمله على مكروهه فأمر بهدم داره واستصفاء أمواله و بعثه الى اقريطش [1] وكان ابن الخصيب غبيا جاهلا . قال ابراهيم بن المدبر: كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكب عليه، فقلت: أراك راغباً فى الهليون. فقال: بلغنى أنه يزيد فى السهاد و يؤيد فى الباه، ثم جلسنا للشرب فغنت بعض القيان:

ان العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يَحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتّى لاحراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

فقال هذا الشعر لأبى ، فقلت : قاتل الله جريراً ما كان أسرقه لشعر أبيك . وماتت له بنية فخرج إلى جلسائه يعصر عينيه وقال قد قلت فى هذه الصبية :

غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال له بعض جلسائه : أعز الله الوزير هذا مشهور فى شعر جرير . فقال : لعله وافقه . وكان كاتب أوتامش شجاع بن القاسم وابن الخصيب عنده سحبان وائل، وكان شجاع أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم وانما علم علامات يكتبها فى التواقيع .قال الحسن بن مخلد: وصفنى محمد بن عبـد الله بن طاهر للمستعين وسأله أن يدخلنى فى جملة من ينادمه فدعانى لمنادمته يوماً، فانا لقعود بين يديه ومعنا أوتامش إذ دخل شجاع بن القاسم ومعه شيء يريد عرضه، فنظرت اليه وقد أخرج سراويله من خفه ووقع على قدميه ودخل تحت عقبه من إحدى رجليه وهو يسحبه ويدوسه ،فغمزت محمد بن عبدالله فضحك ورأى المستعين ذلك فسأله عن سبب ضحكه فدافعه . فقال:له بحياتى فقال

(١) اقريطش : جزيرة فى بحر المغرب يقابلها من بر أفريقية لوبيا. حكاه ياقوت

له: سل الحسن ياسيدى فنظر إلى وقال هيه ياحسن!! فأومأت إلى سراويل شجاع فضحك حتى استلقى، وقال: ويلك ياشجاع ماهذا؟ قال الساعة يا سيدى داسنى كلب فخزقت سراويله وثيابه، فازداد ضحك المستعين وأهل المجلس وضجر أوتامش من ضحكهم بكاتبه. وسأل شجاعا بعض الهاشميين حاجة. فقال لهم: ليس الأمر فيها إلىّ وهو للأمير ــ يعنى أوتامش ــ وهو يجلس أول من أمس ــ يعنى بعد غد ــ وكانت جميع أتباع شجاع تخاليط، وجملة كلامه أغاليط. قال ابن عمار عملت شعرا رائجيا لامعنى له وواقفت سعيد بن عبيد على أن يروى الشعر رجلا من الهاشميين وكان لنا صديقا وكان جلداً شهما على أن ينشده شجاع بن القاسم ويعرفه أنه مدح له وضمنا له على ذلك ألف درهم والشعر:

شجاع لجاع كاتب لاتب معاً   كجلمود صخر حطه السيل من عل
خبيص لبيص مستمر مقوم   كثير أثير ذو شمال مهذب
بليغ لبيغ كلما شئت قلته   فان كنت مسكاتا عن القول فاسكت
فطين لطين آمر لك زاجر   حصيف لصيف كل ذلك يعلم
أريب لبيب فيه فهم وعفة   عليم بشعر حين أنشد يشهد
كريم حليم قابض متباسط   اذا جئته يوماً إلى البذل يسمح

فوقف إليه. وقال: أيها الوزير ليس الشعر من صناعتى ولكنك أحسنت إلىّ وإلى أهلى بما أوجب شكرك فتكلفت أبياتاً مدحتك فيها فتفضّل بسماعها. فقال: قد أغناك شرفك وحالك عن الشعر. فقال: لابدّ أن يتفضّل الأمير بسماعها، فأنشد الأبيات فشكره عليها وسرّ بها سروراً زائداً ودخل إلى المستعين فأخرج له صلة عشرة آلاف درهم وأجرى له ألف درهم فى كل شهر. فقال لهما الطالبى: أنتما أوصلتما ذلك إلىّ والله لا أخذت منكما شيئاً ولولا اتساعكما لوصلتكما بما وُصِلتُ به. وقدم إليه شاعرٌ محسنٌ فقال له: قد سبق إلىّ من الوزير وعدٌ وتلاهُ شكر والوزير حقيق بانجاز وعده وقبول شكرى وأنشدهُ:

أبو حسن يزيد الملك حُسنا ويصدق فى المواعد والمقال

جبانٌ عن مذمة آمليـه جرىٌّ فى العطية والنّوال

اجـل الله فى سر وجهر فأعطاه المهابة بالجـلال

فقال له: وما يدريك أنّى جبان ولم يفهم معناه . فقال :أعزّك الله إنّما قلت أنك تجبن عن البخل ولا تبخل بشىء،وإلا فأنت شُجاع كأسمك . فقال : ما أعطيك على هذا الشّعر شيئاً ولكن على ميلك وشكرك، ووقع له بألف دينار ولو فهم ما قال لجعل مكان الألف ألوفا . وفى المستعين يَقول البحترى من قصيدة طويلة :

وما لحيـة القصّار حين تنفشت بجالبـة خيراً على من يناسـبه

بحور ابن جلاء على الشعر عنده ويغدو شجاع وهو للجهل كاتبه

وكان الحسن بن مخلد مضطلعاً بأمر الدواوين عالما بالدخل والخرج، ولم تكن له صناعة فى الكتابة ولا استحقاق للمنادمة . قال أبو الفضل أحمد بن سليمان :جمعنى والحسن بن مخلد مجلس فيه أبى فسألنى عن سنّى فأخبرته وأخبرنى عن سنّه فرأيته أكبر منّى بعشر سنين. فقلت له : قال لى الزّبير بن بكّار كانت العرب تقول العشرة بين المشايخ لدّة. فغضب وظن أنى قد شتمته ، والتفت إلى أبى فقال : يا أبا أيوب ليس كل من علم شيئاًمن العربيّة يطلق لسانه فى الناس بالشتم . فقال له أبى : انه لم يرد مكروها و إنّما أرادَ التقرب منك ومعنى لدة ترب فلم يسكن إلى أن افترقنا

***

سقط أبو الحارث حمير من سطح،فقيل له : أ كان السّطح مرتفعاً ؟ قال : لا تسأل عن شىء استطبت برد الهواء قبـل الوصول إلى الأرض . وقال رجل : أشتهى أن أرى خلقى، فجاءهُ أبو الحارث بمرآةٍ فجعلها تلقاء وجهه . وتشهى قوم ضروباً من الطعام. فقالوا: ما تشتهى يا أبا الحارث ؟ فقال : الوفاء بهذا . وأكل يوماً مع قوم رُؤساء فتبادروا إلى الأعين ليقتلعوها فتنحى ناحية . فقالوا : مالك ؟ قال: ظننتكم ناساً فاذا أنتم نسورٌ . وجلس يتغدّى مع الرّشيد وعيسى بن جعفر فأتِىَ

بخوانٍ عليه ثلاثة أرغفة فأكل أبو الحارث رغيفه قبلها . وقال : ياغلامُ فرسى ! ففزع الرشيد وقال : ويلك مالك ؟ قال أريد أن أركب إلى ذلك الرغيف الذى بين يديك ، فضحك الرشيد وأمر له بجائزة . ومال أبو الحارث على زفر بن الحارث وعنده جوار يغنين وأبو الحارث جائع . فقال : اسقوا أبا الحارث وغنينه مايقترح فقال : بحياتى غنين :

خليلىّ داويتما جوى ظاهراً فمن ذا يداوى جوى باطنا

فقال زفر غنين :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

ونظر أبو الحارث إلى برذون يُستقى عليه الماء فقال :

وما المرء الاّ حيث يجعل نفسه ففى صالح الأخلاق نفسك فاجعل

لو أن هذا البرذون هملج لما فعل به هذا . ونصب مع رفقاء له قدرا وجعل فيها لحماً. فلما تلهوجت نشل بعضهم قطعة وقال تحتاج إلى ملح ، ونشل آخر قطعة وقال تحتاج لى ابزار ، ونشل آخر قطعة وقال تحتاج الى بصل ، فرفع أبو الحارث القدر وقال : واللهّ تحتاج هذه القدر إلى لحم

***

وسرق مدنى قميصاً فبعثه مع ابنه يبيعه فسرق منه فى الطريق ، فلما رجع قال أبوه : بعت القميص . قال نعم ! قال : بكم ؟ قال : برأس المال . دعا بعض الملوك بأبى علقمة الممرور وآخر مجنون ليضحك منهما ، فشتماه فغضب . وقال : السياط ياجلادين . فقالا : كنا مجنونين فصرنا ثلاثة ، فضحك وأجزل صلتهما . وطبخ بعض البخلاء قدراً فقعد هو وامرأته يأكلان . فقال : ما أطيب هذا القدر لولا الزحام. قالت : أى زحام ها هنا إنما أنا وأنت . قال : كنت أحب أن أكون أنا والقدر

نزل شيخ إعرابى من بنى نهشل يكنى أبا الأغر على بنت اخت له من قريش بالبصرة وذلك فى شهر رمضان ، فخرج الناس إلى ضياعهم وخرج النساء يصلين فى المسجد ولم يبق فى الدار إلا الأماء ، فدخل كلب فرأى بيتاً فدخله وانصفق

الباب فسمع الأماء الحركة فظنن لصاً دخل الدار ، فذهبت إحداهن إلى أبى الأغر فأخبرته فأخذ عصاً ووقف على باب البيت . فقال : إيها والله ! إنى بك لعارف فهل أنت من لصوص بنى مازن وشربت نبيذاً حامضاً خبيثا حتى اذا دارت الأقداح فى نفسك منتك نفسك الأمانى فقلت أطرق درو بنى عمرو والرجال خلوف والنساء يصلين فى مسجدهن فأسرقهن ، سوأة لك والله مايفعل هذا حر ، بئسما منتك نفسك فاخرج بالعفو عنك وإلا دخلت بالعقوبة عليك ، وأيم الله لتخرجن أولأهتفن هتفة يلتقى فيها الحيان عمرو وحنظلة ويصير زيد زيداً ويجىء سعد بعدد الحصا وتسيل عليك الرجال من ها هنا وهاهنا ، ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود فى بنى تميم فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللين . فقال: اخرج بأبى أنت منصوراً مستوراً انى والله ما أراك تعرفنى ولئن عرفتنى لوثقت بقولى واطمأنيت الى أنا ابو الأغر النهشلى ، وانا خال القوم وجلدة مابين أعينهم لا يعصون لى رأيا ، وأنا خفير كفيل أجعلك شحمة بين أذنى وعاتقى فأخرج فأنت فى ذمتى ، والا فعندى قرصتان احداهما لابن أختى البر الوصول فانتبذها حلالا من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع هذا الكلام أطرق وإذا سكت وثب يريد الخروج ، فتهافت ابو الأغر ثم قال: يا ألأم الناس أرانى بك الليلة فى واد وأنت فى آخر ، وأنت فى دارى تقلب البيضاء والصفراء وتصيح فتطرق وإذا سكت عنك وثبت تريد الخروج ، والله لتخرجن أو لألجن عليك ، فلما طال وقوفه جاءت جارية وقالت : أعرابى مجنون والله ما أرى فى البيت أحداً ، ودفعت الباب فخرج الكلب مبادراً ووقع أبو الأغر مستلقيا . فقلن له : قم ويحك فانه كلب . فقال : الحمد لله الذى مسخه كلباً وكفى العرب حرباً .

وقد روى ابن قتيبة وغيره هذا المقام لأبى حية النميرى واسمه الهيثم بن الربيع ، وعليه عول ابى على محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمى فى الحكاية التى وضعها على أستاذه على بن هارون وأتى فيها مليحة نادرة . وزعم أنه أحس حس برذون فى أصطبله فراعه وتوهمه لصاً ــ وهى طويلة فى نحو أربعة أجلاد . وقال فى أولها :

هذه حكاية أبى الحسن على بن هارون مع اللص الذى تخيل أنه دخل داره أخبرنى بها أبو القاسم القنطرى وغيره من حاشية أبى الحسن ، ولفظ بعضهم يزيد على بعض. فجمعت الروايات على اختلافها ونظمت شتيتها وهذبت العبارة عنها وأوردت المعانى مكسوة من النثر الرائع والتشبيه الواقع مايطرب سامعه ويروق متصفحه ، ليكون وروده أغرب وحفظه أقرب . ونحلت أبا الحسن وجماعة ولده قطعاً من بارع الشعر تناسب قطع الرياض نبت القطر ، صنعتها على ألسنتهم ونسبتها إلى ارتجازاتهم . وتمثلت عنهم بفقر من أشعار العرب أسميت قائلها ، لئلا تلتبس بما اختصصت فى نظمه وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وقال فى آخرها : لقد كان فى نبأ هذه الكريمة تبصرة لمستبصر ، وتذكرة لمتذكر. هذا ولم تقترح [1] فيها الأقران ، ولا تنازلت فيها الفرسان ، ولا استبهمت فيها البهم ، ولا أريق فيها ملء محجم دم ، وإنما هو تخييل جبان ، وتسويد جنان . ولقد عزونا إلى هذه الطائفة من التشبيهات الباهرة والأمثال النادرة مايبعد جدا عن مثلها ، وإنما بعثنا على ذلك أشر الشبيبة ومراح الصبا ولين الغصن وفضل القدرة واستجابة [2] ما تدعيه من أفانين الكلام ، ونستغفر الله من فضول القول كما نستغفره من فضول العمل .

وأبو حية النميرى من أحسن الناس شعراً وأرقهم فيه طبعاً — على لوثة كانت به ؛ وهو القائل :

ألا أيها الربع القواء ألا انطق ... سقتك الغوادى من أهاضيب فرّق
مرابيع وسميّ تسوق نشاطه ... حرار الصبا فى العارض المتألق
وما أنت إلا ما أرى بعد ما أرى ... يد الحى فى زى بعينى مونق
غراب ينادى يوم لا القلب عقله ... صحيح ولا الشعب الذى انصاع ملتقى
جزيت غراب البين شرّاً لطالما ... شقيت بتحجال الغراب المنعق

(١) كذا فى الأصل ولعله : تقترع من المقارعة (٢) فى الاصل واستحبابة .

ورقراقة تفتر عن متبسّم | كنَوْر الأقاحى طيب المتذوق
اذا امتضغت بعد امتناع من الضحى | أنابيب من عود الأراك المخلّق
سقت شعث المسواك ماء غمامة | فضيضاً بخرطوم العراق المصفق
فان ذقت فاها بعدما سقط الندّى | بعطفى نجدراه رداح المنطق (١)
شممت العرار الغض غب هميمة | ونوْر الأقاحى فى الندى المترقرق
شرقت بريا عارضيها كأنما | شرقت بدار العراق المعنق (١)

هذا شعر ظريف الصنعة حسن الوشى فى السبك ؛ وقد ملح ماشاء فى وصف الثغر وطيب النكهة ، وهو معنى حسن جميل

قال ابو العباس بن الفرج الرياشى سمعت الأصمعى يقول : أحسن ما قيل فى وصف الثغر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراكٍ كأنه | من العنبر الهندى والمسك ينفح (٢)
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى | اليه الندى من راحة المتروّح
هجان الثنايا مغربا لو تبسّمت | لأخرس عنه كاد بالقول يفصح

وكتب كشاجم إلى بعض القينات وأهدى اليها سواكا :

قد بعثناه لكى تجلى به | واضحاً كاللؤلؤ الرطب الأغر
طاف منه العرف حتى خلته | كان من ريقك يُسقى فى السحر
ليتنى المهدى فيروى عطشى | برد أنيابك فى كلّ سحر
وأما والله لو يعلم ما | حظه منك لأثنى وشكر

وقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر إذ يقول :

واذا سألتك رشف ريقك قلت لى | أخشى عقوبة ذلك الأملاك
ماذا عليك دفعت قبلك للثرى | من أن أكون خليفة المسواك

---

(١)—(١) كذا فى الأصل ولم أهتد لتصحيحهما مع كثرة البحث وفى البيت الأخير بياض بين بدار وبين العراق (٢) يصبح والتصليح من ديوان المعانى فى الأصل

أيجوز عندك أن يكون متيم صبٌّ بحبك دون عود أراك

وقال ابن الرومى :

ألا طالما سؤت الغيور وساءنى و بات كلانا من أخيه على وجر
وقبلت أفواهاً عذاباً كأنها ينابيع خمرٍ حصبت لؤلؤ البحر

وقال :

تعلك ريقا يطرد النوم برده و يشفى القلوب الحائمات الصواديا
وهل قعب حصباؤها مثل ثغرها يصادف إلاّ طيب الطعم صافيا

وقال :

وما تعتريها علة بشريّةٌ من النوم إلا أنها تتحير
كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الورى تتغير

وقال ابن المعتز :

بأبى حبيبٌ كنتُ أعهدُهُ لى واصلا فازورَّ جانبهُ
عَبِقُ الكلام كمسكة نفحتْ من فيه تُرضى مَن يُعاتبه

وقال العطوى :

ذات خدين ناعمين ضنيـــنين بما فيهما من التفاح
وثنايا ورَيقة كغدير من عقار وروضة من أقاح

* * *

أكل الحجاج مع رجل بيضا فأقبل يأكل المخ ويرمى اليه بالبياض . فقال الرجل : أيها الأمير عدّل العجة . وكان بعض الأكاسرة يتطير فلقيه رجل أعور فأمر بحبسه فأقام مدة ثم أطلقه فتعرض له فقال : لم حبستنى؟ قال: تشاءمت بك. قال: فأنت أشأم منى خرجت من قصرك فلقيتنى فلم تر الا خيراً ؛ وخرجت أنا فلقيتك فحبستنى . فقال الملك : صدق وأمر له بصلة . قال رجل لأحدب : لئن رفستك لأقيمن حدبتك ! قال : إنك إذاً لعظيم البركة علىّ . قال الفضل اليزيدى : كان محمد بن

نصر بن منصور بن بسام أشد الناس همة وآلة وغناء ، وكان ناقص الأدب . وكنت أختلف إلى ولده علي يقرأ عليّ الشعر ، فدخلت يوماً وهو يشرب وعنده عبد الله ابن محمد بن اسحاق وكان مثله فى الجهل وقد مدّت الستارة فغنت القينة :

ألا حيّ الديار بسعد إني   أحب لحب مَن سكن الديارا
أراد الظاعنون ليحزنونى   فهاجوا صدع قلبى فاستطارا

فقال عبد الله بن محمد بن اسحاق لمحمد: لولا جهل الاعراب ماجرى ذكر السعد هاهنا . فقال له محمد : لا تفعل فانه يقوى معدهم و يصلح أسنانهم .

وكان على بن محمد : مليح المقطعات حلو الشعر خبيث الهجاء ، وليس له حظ فى التطويل إنما يسنح له المعنى فاذا أراد أن يركب عليه معنى آخر استهدم بناؤه ، وهو القائل فى أبى يحيى المنجم يرثيه :

قد زرت قبرك ياعليُّ مُسلّماً   ولك الزيارة من أقلّ الواجبِ
ولو استطعت حُملتُ عنكَ ترابهُ   فلطالما عنى حملتَ نوائبى
ودمى فلو أنى علمت بأنه   يسقى ثراكَ سقاه صوب الصائب
لسكبته أسفاً عليكَ وحسرة   وجعلت ذاكَ مكان دمعٍ ساكب
ولئن ذهبت بملء قبرك سؤدداً   لجميل ما أبقيت ليس بذاهب

— وقد أنشد هذه الأبيات أبو بكر محمّد بن القاسم الأنبارى لغيره . وقال :

كم قد قطعتُ إليك من ديمومةٍ   نُطَفُ المياهِ بها سواد النّاظرِ
فى ليلة فيها السّماء مردة   سوداء مظلمةٌ كقلب الكافرِ

وقال فى جحظة البرمكى :

يامَن هجوناه فغنّانا   أنت و بيتُ الله أهجانا
سيّان إن غنّى لنا جحظةٌ   أو مر مجنونٌ بنا قرنانا

وقال فى المعتضد وقد ختن ولده :

انصرف النّاس من ختانٍ   يرعون من جوعهم خزاما

فقلت لا تعجبوا لهذا فهكذا تختتن اليتامى

وقال يستطرد بالمعتضد :

وعدتَ بوعدٍ فأخلفتَهُ وما كانَ ضرّكَ أن لا تعدْ

تحب الثّناء وتأبى العطاء وما تمّ ذلك للمُعتضدْ

وقال فى العبّاس بن الحسن لمّا ولّى الوزارة :

وزارة العباس من نحسها تستقلع الدّولة من أسّها

شَبّهتُهُ حين بَدى مُقبلا فى خلعٍ يُخْجلُ من لُبْسِها

خازنة الكسوة قد قدّرت ثياب مولاها على نفسها

وقال ابنُ بسام فى أبيه وكان مولعاً بهجائه :

خبيصةٌ تعقد من سكّره وندمة تطبخ من قنبره

عند فتى أسمحُ من حاتمٍ قدرين فى البيت على مجمره

وليس ذا فى كل أوقاته يكنسها فى الدّعوة المنكره

* * *

وكان ابن المعتزّ يهاجيه ، فمن ذلك قوله فيه (١) :

يا ثقيلا على القلوبِ إذا ء نّ لها أيقنت بطول الجهاد

يا قذىً فى العيون يا حرقة بيـ ن التّراقى حزارة فى الفؤاد

يا طُلوع العذول ما بين إلف يا غريماً وافى على ميعادِ

يا ركوداً فى يوم غيمٍ وصيف يا وجوه التجّار يوم الكساد

خل عنّا فإنما أنت فينا واو عمرو أو كالحديث المعاد

فأجابه ابن بسام بقوله :

فقدتك يا قذاة في شرابٍ دخَلْتَ من الدناءة كلّ باب

(١) كذا فى الاصل وفى الآمالى لابى على : أنها لمحمد بن نصر بن بسام ، ويلاحظ ان المؤلف يريد هنا ولده على بن محمد .

لئيم الفعل أشأم من غراب وضيع القدر أطفل من ذباب
وأثقل حين تبدو من رقيب وأكذبُ حين تنطقُ من سراب
واغدر للصديق من الليالى وأنكى للقلوب من العتاب

ومن ملح مافي هذا الباب قول جحظة :

يا لفظة النعى بموت الخليل يا وقفة التوديع بين الحمول
يا سربة النازح يا أجرة المنزل يا وجه العذول الثقيل
يا طلعة النعش ويا منزلاً اقفر من بعد الأنيس الحلول
يا نهضة المحبوب عن غضبة يا نعمة قد آذنت بالرّحيل
ويا كتاب جاء من مخلفٍ للوعد مملوءاً بعذرٍ طويل
يا بكرة الثكلى إلى حفرة مستودع فيها عزيز الثكول
يا وثبة الحافظ مستعجلا لصرفه القينات عند الأصيل
ويا طبيباً قد أتى باكراً على أخى سقم بماء البقول
يا شوكة فى قدم رَخصةَ ليس الى إخراجها من سبيل
يا عثرة المجذوم فى رجله ويا صعود السعر عند المعيل
يا ردة الحاجب عن قسوةٍ ونكسةٍ من بعد برء العليل

وجحظة هذا أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحي بن خالد بن برمك . قال أبو الحسن محمد بن محمد بن مقلة الوزير: سألتُ جحظة من لقبك بهذا اللقب ؟ فقال : أبو العبر لقينى فقال : ماهو حيوان إن نكّوه أتانا آلة للمراكب البحرية . فقلت : علق إذا نكّوه صار قلعاً . فقال : أحسنت ياجحظة فلزمنى هذا اللقب . وكان طيب الغناء حسن المسموع؛ إلا أنه ثقيل اليد فى الضرب . وكان حلو النادرة كثير الحكاية صالح الشعر ، ولا تزال تندر له الأبيات الجيدة .

٭٭٭

أنشدت سكينة بنت الحسين رضى الله عنها قول الشاعر :

فما للنوى لابارك الله فى النوى وعهد النوى يوم الفراق دميم (١)

قال ابو علقمة النحوى لجارية كان يهواها : ياخريدة أخالك عروبا فما بالها نمقك وتشنئينا . فقالت : مارأيت أحدًا يحب أحداً ويشتمه سواك . الخريدة الناعمة اللينة ، والعروبة المتحببة الى زوجها . وقال بلال بن أبى بردة لجلسائه : ما العروب من النساء ؟ فماجوا وأقبل اسحاق بن عبد الله بن الحارث فقالوا : قد جاءكم فسلوه . فقال : هى الخفرة المتبذلة لزوجها وأنشد

يعرين عند بعولهن اذا خلوا فاذا خرجن فانهن خفار

والمقة المحبة . وقد حكى قول أبى علقمة عبد الرحمن الطلحى . واتى الهيثم بن العريان بغريم قد مطل غريمه ديناراً . فقال : ماتقول ؟ قال انه ابتاعنى عنجرا واستنسأته حولا فصار لايلقانى فى لقم إلا اقتضانى . فقال الهيثم . أمن بنى أمية أنت ؟ قال لا قال : فمن اكفائهم من بنى هاشم ؟ قال لا قال : ويلى على ابن الفاعلة فعلى من تتكلم بهذا الكلام ؟! السياط فلما جرد قال : أصلحك الله ان إزارى مرعبلة فقال : دعوه فلو ترك التثاقل بالغريب فى وقت لتركه الآن : العنجر عجم الزبيب . واللقم الطريق ، والمرعبلة الخلقة . دخل ابو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده ابو عبد الله بن المرزبان . فقال لابن منارة : احب أن اعبث بابى العيناء . فقال له : لاتقوم به فابى الا العبث به ، فلما جلس أبو العيناء قال له يا أبا عبد الله لم لبست جباعة ؟ قال : وما الجباعة ؟ قال التى مابين جبة ودراعة : قال ابو العيناء . لأنك صفنديم . قال : وما صفنديم ؟ قال الذى هو مابين صفعان ونديم .

ودخل ابو بكر سيبويه المصرى (٢) نافلة البصرة على كافور الأخشيدى وعنده بعض ندمائه . فقال : أيها الأستاذ دعنى اهاتره . فقال إنك لا تطيقه . قال : لا د

---

(١) كذا فى الأصل ولعل هناك جواب لجحظة أو لغيره عن هذا البيت فسقط من الأصل .

(٢) فى دار الكتب المصرية ترجمة حافلة بنوادره واخباره وقد طبعت فى العام الفائت

من ذلك . قال شأنك قال : ياأبا بكر ماحد الرأس ؟ قال ما احاط به جربّانك ، وأدبك عليه سلطانك ، ولاعبك فيه اخوانك . فخجل الرجل . وضحك كل من حضر . وكان سيبويه هذا يشبه بأبي العيناء فى سرعة جوابه وجودة بديهته وكثرة روايته . وكان الناس يتبعونه ويكتبون مايقول ، وكان قد شرب البلاذر فعرضت له حدة مفرطة . وأحضره ابو بكر محمد بن الخازن . فقال : بلغني بلاء لسانك وكثرة أذاك للناس وقبيح معاملاتك للأشراف ، فاحذر أن تعود فينا لك مني اشد العقوبة . وصال عليه بالكلام . وكان الصبيان يتولعون به اذا مر ويصيحون : ياخازن ياخازن . أخرج عليه فيغضب فقال له ذلك يوماً صبي وأبو بكر المعيطى حاضر فضحك المعيطى . فقال للصبي : ضرب الله عنق الخازن كما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنق عقبة بن ابى معيط يوم بدر على الكفر . وضرب ظهر أبيك بالسوط كما ضرب على بن أبي طالب رضى الله عنه ظهر الوليد بن عقبة على شرب الخمر ، والحقك ياصبيّ بالصبية . فقام المعيطى كأنما نشر من قبر — يريد بقوله للصبى والحقك بالصبية . قول النبى صلى الله عليه وسلم لعقبة بن ابى معيط وقد قال له فمن للصبية يا محمد ؟ قال : النار والعياذ بالله منها . دخل مفلح الحسنى الحمام وكان من جملة أصحاب الحسن بن عبد الله بن طفج بن جف الفرغانى واليه ينسب . فأتى سيبويه ليدخل فقيل له : الأمير مفلح أخلاه فأصبر ساعة . فقال : أو مثلى يمنع الدخول ؟ لا أنقى الله مغسوله . ولا بلغه سوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج . فقال له : إن الحمام لا يُخلى إلا لأحد ثلاثة مبتلى فى قُبله ، أو مبتلى فى دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأى الثلاثة أنت ؟ قال أنا المغروم أعزك الله . وهذا كجواب أشمول الأخشيدى ، وكانت له دار مشرفة على النيل يتنزه اليها فى زمان المد وطيب الهواء ، وكان يجاوره العباس بن البصرى فى راقوبة له ، فاحتسب فى تلك الدور وقيل لكافور إنها مبنية فى فناء النيل فأمر بهدمها . فدخل ابن البصرى على كافور فأنشده :

يا أيها الأستاذ ياذا الذى همته أعلى من الكوكب
أنظر إلىّ و إلى فقى وارث لضعفى ولما حلّ بى
فأن لى بالشط راقوبةً أضيق من قارورة المحاجب
صغيرة ضيقة عرضها عرض سرير جاء فى مركب
كأنها رِجْل سمارية أخرجها (١) أوزبرب
فلو رأيت الزنج فى شطنا وقد أحاطوا بأبى تغلب
عِمّه ذا حمراء مصقولةٌ وفاس ذا معتدل المحرب
فى يدهم محاب(٢) هائلٌ يا رب سلمنى من المحاب
إن أخذتنى ضربةٌ منهمُ رأيتنى أرقص كالأحدب
قد احدق الصفع بجيراننا بالشط بالأقرب فالأقرب
وان تماديت وخايتنى خشيت أن أدخل فى الاولب

فضحك كافور ، والتفت إلى شمول . وقال : أنت بجواره ؟ قال : أنا مالى دار أعز الله الأستاذ قد سلمت . وكان أبو الفضل بن حنزابة ربما رفع أنفه تيهاً . فقال له — وقد رآهُ فعل ذلك . اشمّ الوزير أيدهُ الله رائحة كريهةً فشمر أنفه ؟ فخجل فاطرق . واستعمل أبو بكر النهوض فلقيه رجل فقال : من أين يا أبا بكر ؟ فقال : من عند الزاهى بنفسه ، المدل بِعُرْسِهِ ، التائه على أبناء جنسه . وكانت بنت الأخشيد تحتـه فاذلك قال المدل بعرسه . وأتى مسلم بن عبد الله الحسينى وهو من أهل الحجاز وأوطن مصر فحجب عنه . فقال : قولوا له يرجع إلى لبس العبا ، ومص النوى ، وسكنى الفلا ، فهو أشبه به من نعيم الدنيا . وكانت دار أبى جعفر احمد بن نصر التاجر المغربى بمصر معروفة بالشؤم من قبل أبى جعفر فكان أبو بكر يرميها فيقول : ياسيدتى تعودين إلى عادتك الجميلة ، وأخباره كثيرة .

---

(١) فى الأصل بياض وفى الوسط حرف الف فقط (٢) كذا بالحاء المهملة فى المكانين ولعلها بالخاء المعجمة وهو المنجل .

لما جعل عيسى بن موسى ولىّ العهد بعد المهدى وكان ولى عهد المنصور ، قال لمخنث قدّم إليه وقد جنا جناية : ما أراك تعرفنى فكنت تفعل هذا الفعل ؟ قال : بلى والله أيها الأمير إنى بك لعارف فانت الذى كنت غداً فصرت بعد غدٍ . خرج مخنث فى شدة الهاجرة ببغداد وهو وقت لا يتصرف فيه أحد ، فلقيهُ رجل فقال : لكم الليل ولنا النهار . فقال : صدقت ولكن رأيت وجهك فظننته قطعة من الليل . مرض رجل فجاء أبو العبر يعوده وقد ثقل ، فصاحت امرأته : مَن لى بعدك ياسيدى ؟ قال : فغمزها أبو العبر وَأومأ إليها أنا لكِ بعده ، فلما مات الرجل وانقضت عدتها تزوجها أبو العبر فأقامت عنده حيناً ثم حضرت أبا العبر الوفاة فجاء عواده فصاحت من لى بعدك ياسيدى ؟ ففتح عينيه . وقال : لا يغمزها إلا من تكونُ أمهُ زانية .

٭ ٭ ٭

و بينا ابن أبى ليلى فى مجلس القضاء إذ تقدم إليه امرأتان عجوز وشابة . فقالت الشابة : أنا اصلح الله القاضى امرأة مبدنة وقد بهرنى النّفسَ فان رأى القاضى أن يأذن لى فأحسر عن وجهى فليفعل فقالت العجوز : أصلح الله القاضى إنها من أحسن الناس وجهاً و إنما تريدُ أن تخدع القاضى لا أمتعها الله بما وهبها من الجمال . فقال لها ابنُ أبى ليلى : إذاً أنت شددت قناعك فشأنك ووجهك . فحسرت الفتاة عن وجه جميل . ثم قالت : أصلح الله القاضى إن هذه عمتى وأنا أسميها أمى لكبر سنها ، وان أبى مات وخلف مالا وخلفنى فى حجرها فجعلت تمونى وتحسن التدبير فى المال وتوفيره علي إلى إن بلغت مبلغ النساء فخطبنى ابن عم لى فزوجتنى منه فكان بى و به من الحب مالا يوقف على صفته ، ثم ان ابنة لعمتى أدركت فجعلت هذه ترغب زوجي فيها فتاقت نفسه اليها فخطبها . فقالت : لست أزوجكها حتى تجعل أمر بنت أخى فى يدى . فقال لها : قد فعلت ! فلم أشعر حتى أتانى رسولها فقال : عمتك تقرئك السلام وتقول لك إن زوجك خطب ابنتى وانى أبيت أن أزوجها منه حتى يجعل أمرك فى يدى

ففعل ذلك فأنت طالق ، فحمدت الله تعالى على ما بليت به . وان زوج عمتي هذه قدم من سفر فسألني عن قصتي فأخبرته فقال تزوجين نفسك فقلت نعم ! على أن تجعل أمر عمتي في يدي. قال لي : فما تصنعين إذاً ؟ قلت ذلك إليّ إما أن أعفو وإما أن أقتص. قال: قد فعلت، فأرسلت إلى عمتي أن زوجك خطبني واني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي ، ففعل فأنت طالق ! فضحك ابن أبي ليلى ! فقالت العجوز : لاتضحك أيها القاضي فالذي بقي أكثر وأعظم . فقالت الشابة : ثم أن زوج عمتي مات فجعلت تخاصمني في ميراثه فقلت لها : هو زوجي وأنا أحق بميراثه ، فأغرت ابن عمي ووكلته بخصومتي ففعل . فقلت : يا ابن العم إن الحق لا يُستحى منه وقد صلحت لك إذ نكحت زوجاً غيرك فهل لك في مراجعتي؟ فقال : كان ما كان ولا ذنب لي فيه بل كنا على أشد رغبة وأعظم محبة ثم قال أو تفعلين؟ قلت: على أن تجعل أمر بنت عمتي بيدي . قال : قد فعلت فأرسلت إلى بنت عمتي أن زوجك خطبني وإني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي ففعل. فأنت طالق . فقالت العجوز: أصلح الله القاضي أيحل هذا أطلق أنا وابنتي؟ فقال ابن أبي ليلى: نعم بالتعس والنكس لك . ثم ركب إلى المنصور فأخبره حتى ضحك وفحص برجليه ، وقال أبعد الله العجوز ولا فرّج عنها .

أتى رجل نخاساً فقال: اشتر لي حمارا ليس بالصغير المحتقر ، ولا الكبير المشتهر ، إن أشبعته شكر(١) ، وإن أجعته صبر ، وإن خلا الطريق تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصدم بي السواري ، ولا يدخل بي تحت البواري . إن ركبته هام ، وإن ركبه غيري نام . فقال له النخاس : أنظرني قليلا ، فان مسخ الله ابن أبي ليلى القاضي حماراً اشتريته لك .

وكتب بعض الكتاب إلى محمد بن منصور : وإن بين كل أمر يطالبه الرجاء وبين المطلوب إليه ذريعة يتوصل بها إلى معروفه ، ولي بارتجائك لمعرفتي بفضلك ،

---

(١) كذا في الاصل . وفي الامالي لابي علي: ان أقللت علفه صبر ، وإن أكثرته شكر

وكذا الوسيلة ، وما كنت متوسلا اليك بشىء هو أرجى فى حاجتى ولا أصلح لطلبتى من التوسل إليك بحسن الظن فيك ، وحاجتى أكرمك الله ظريفة من الجوارى لم تتداولها أيدى التجار ولا تبذلها معاودة العرض ، ولى فيها شريطة أعرضها عليك لترى رأيك فيها ، أحبها فرعاء فانه يقال إذا اتخذت الجارية فاستجد شعرها فان الشعر أحد الوجهين . وتكون رائقة البياض ، تامة القوام ، فان البياض والطول نصف الحسن . وتكون مليحة المضحك فانه أول ما يجاب المحبة ، ويكسب الحظوة ولست أكره الانكسار فى الثدى لأنه ليس للناهد عندى سوى لذة النظر . ولست من قول الشاعر :

جال الوشاح على قضيب زانه رمان ثدى ليس يقطف ناهد

فى شىء ، وأكره العجيزة العظيمة وأريدها وسطا ، لأن خير الأمور أوسطها ، لها طرف أدعج ، وحاجب أزج ، وكفل مرتج ، ومتى وافقت هذه الصفة وكانت رخيمة الكلام ، شهية النغمة ، فهى حرة قبل أن ترسلها ، وحاجتى أبقاك الله يحملها قدرك ، ويستحقها شكرك ، وأنا بالاضعاف حرى ، وأنت بالاسعاف قمين . فأنفذ إليه محمد بن منصور خمسمائة دينار ، وكتب إليه : قد سألت أكرمك الله عن هذه الصفة فلم أجدها ، فالتمسها أنت . فإن وجدتها فهذه خمسمائة دينار تدفعها عربونا حتى أبعث إليك بالثمن والسلام .

* * *

قال أبو سودة لابنه : يابنى تعلم خطبة النكاح فانى أريد أن أنكح أخاك ، قال : نعم ! فلما كان من الليل قال أتعلمت شيئا ؟ قال : نعم ! قال : هات . قال : الحمدلله أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . حى على الصلاة حى على الفلاح . فقال أبوه : يا بنى لا تقم الصلاة حتى أذهب وأجىء فانى على غير وضوء . وهذا كقول ابن أبى حفصة لما قال على بن الجهم قصيدته التى أولها :

الله أكبر والخليفة جعفر

أراد عليٌّ أن يقول قصيدة ... بمدح أمير المؤمنين فأذّنا
فقلت له لا تعجلنّ إقامة ... فلست على طهر فقال ولا أنا

قال يزيد بن ابى حبيب لرجل : من أين أقبلت ؟ قال : من أسفل الأرض . فقال له : كيف خلفت قارون ؟ . وقال عبد الله بن خزيمة لصاحب شرطته : أين تذهب ياهامان ؟ قال : ابنى لك صرحا .

أسلم رجل ابنه إلى المعلم وقال له ؟ علمه الهجاء ولا تشغله بغيره ، فطال تردداه إلى المكتب . فقال أبوه : تعلمت الهجاء ؟ قال نعم ! قال ما هجاء طير قال : ط ا س ر ا ا ح الا ى ا ، قال ما هجاء سمكة ؟ فقال س م ك ا ه ا خ ح د د ، فأرسل إلى المعلم فحضر . فقال له : ويحك تقدمت اليك أن تعلم هذا الصبى الهجاء وقد سألته عن هجاء طير فقال كذا وكذا وسألته عن هجاء سمكة . فقال : كذا وكذا . فقال المعلم : تجىء إلى صبى صغير تهجيه شيئا يطير فى الهواء وشيئا يغوص فى قعر البحر كيف يتهجاه . فقال هجه أنت . فقال المعلم : أهجى لك حماد ؟ قال هج . فقال : ح م د ك س فانتهره أبو الولد وانصرف . أبو محمد النو بهارى : أتاه رجل فقال وضعت رأسى فى حجر امرأتى فقالت : ما أثقل رأسك ؟ فقلت أنت طالق إن كان رأسى أثقل من رأسك . فقال : تطلق عليك ، فقيل له ولم ؟ فقال لأن القصابين أجمعوا على أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة . وكان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام أصيبت عينه عام غزوة مسلمة القسطنطينية ، وكان يطعم الطعام حيث نزل . فجاء اعرابى فجعل يديم النظر إلى المغيرة ولا يأكل . فقال له : مالك يا أعرابى ؟ فقال : إنه ليعجبنى كثرة طعامك وتريبنى عينك . قال : وما يريبك منها . فقال : أراك أعور تطعم الطعام وهذه صفة الدجال ، فضحك المغيرة وقال كل يا أعرابى فان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله .

***

حضر يعقوب بن اسحاق الكندى مجلساً فيه قينة ، فقالت له : اقترح . فقال لها غنى :

لو تجسين يا عتيبة عرقي لوجدت الفؤاد قرحا تفقا

فقالت : إن أردت جس العروق والنظر إلى الأوال ؛ فعليك بالبيمارستان

هذا البيت — فى أبيات لأبى العتاهية اسماعيل بن القاسم ويكنى بأبى اسحاق وابو العتاهية لقب — وفيها :

قال لى احمد ليعلم مابى أتحب الغداة عتبة حقا
فتألمت ثم قلت نعم هاجرى فى العروق عرقاً فعرقا
قد لعمرى مل الطبيب ومل الـ عواد منى مما أعنى وأشقى
ليتنى مت فاسترحت فإنى أبداً ما حييت منها ملقى

وكان أبو العتاهية سهل الشعر لينه وتندر له الأبيات على صحة شعره فتحسن ، وكان يقال شعر أبى العتاهية سباطة الملوك تجد فيها الدرة والخزفة ، وأنشد الجاحظ شعره فمجه فقال لمته[1] أملس المتون ليس له عيون . وقد قال ابن الرومى لرجل أنشده شعراً سليما من العيوب مطبوعا عاريا من تدقيق المعانى : نحن أعزك الله نحب مع السلامة الغنيمة . وكان الرشيد مغرماً بشعره مستظرفا له . قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى : ذكرتُ عند الرشيد بذم وكان فيه أن قيل : هو يا أمير المؤمنين على حداثة سنه وقصر معرفته يخالفك فيقدم العباس بن الأحنف على أبى العتاهية ، فاستحضرنى وقال : من أشعر عندك أبو العتاهية أم العباس ؟ فعرفت ما أراد فقلت: أبو العتاهية ، فقال : أنشدنى للعباس فأنشدته أحسن ماأعرف له :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأنى ذبالة نصب تضىء للناس وهى تحترق

فقال : فأنشدنى لأبى العتاهية فأنشدته أحسن ما أعرف له :

كأن عتابة من حسنها دمية قس فتنت قسها
يارب لو أنسيتنيها بما فى جنة الفردوس لم أنسها

---

(١) فى الأصل : لهه ولينظر

إنى إذاً مثل التى لم تزل　　دائرة فى طحنها كدسها
حتى إذا لم يبق منه سوى　　حفنة برٍّ خنقت نفسها

فقال هذا الذى أنشدت لأبى العتاهية من أعابيثه التى لا يلتفت لها بالاً ولكن هلاّ أنشدتنى قوله :

قال لى احمد ولم يدر ما بى　　أتحب الغداة عتبة حقا

وأنشد الأبيات ، ثم قال : أيحسن أحد أن يقول : فتنفست ثم قلت نعم . قلت لا يا أمير المؤمنين وما أحفظ الشعر . قال : أحفظه ! وكنت أعرف به منه

***

ومن جيد شعر أبى العتاهية قوله لاحمد بن يوسف وكان له صديقاً قبل الوزارة فلمّا وزّر للمأمون جفاه

أبا جعفر إنّ الشريف يهينه　　تناهيه من دون الأخلاء بالوفر
فإنْ تهت يوماً بالذى نلت من غنى　　فانّ عزائى بالتجمّل والصبر
ألم تر أنّ الفقر يرجى له الغنى　　وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله له وقد أتاه فقيل له إنه نائم :

لئن عدت بعد اليوم إنى لظالم　　سأصرف وجهى حين تبغى المكارم
متى يظفر الغادى إليك بحاجة　　ونصفك محجوبٌ ونصفك نائمُ

وقوله :

ميّت مات وهو فى ورف العيـ　　ـش مقيمٌ فى ظل عيش ظليل
فى عداد الموتى وفى ساكنى الدنـ　　ـيا أبو جعفر أخى وخليلى
لم يمت ميتة الوفاء ولكن　　مات عن كل صالح وجميل

وهذا القول لعمرو بن مسعدة :

عييت عن العهد القديم عييتا　　وضيَّعت عهداً كان لى ونسيتا
وقد كنت فى أيام ضعفٍ من القوى　　أبر وأوفى منك حين قويتا

تجاهلت عمّا كنتَ تحسن وَصفهُ ومتّ عن الاحسان حين حييتا

وكان عمرو بن مسعدة صديقاً له قبل ارتقاء حاله ، فلمّا بلغ فى أيام المأمون إلى رتبة الوزارة سأله حاجة فلم يقضها فتأخر عنه فغضب عمرو وحجبه فكتب إليه :

بلوتُ إخاء النّاسِ يا عمْرُو كلّهمْ وجرّبت حتى أحكمتنى تجاربى

فلم أرَ وُدَّ الناسِ إلاّ رضاهُمْ فمن يزر أو يغضب فليس بصاحب

وانحدر إلى واسط فلم يعد حتى تغيّرت حال عمرو : فأمّا شعره فى الزهد (١) فقد فات فيه الشعراء و بزّ النظراء . وغزله يلين كثيراً و يشاكل كلام النساء ، كقوله :

لجت عتيبة فى هجرى فقلت لها تبارك الله ما أجفاك يا ملكهْ

إن كنت أزمعت ياسؤلى و يا أملى حقاً على عبدك المسكين بالهلكه

فقد رضيت بما أصبحت راضية هاقد هلكت على آسم الله والبركه

وربما بلغ بلينه إلى الاضحاك كقوله :

عِتَابةُ النّفسِ كاعِبٌ شَكِلَهْ كحلاء بالْحُسن غير مكتحله

بالله هل تذكرين يا سكنى وأنت لا تقصرين فى الحجله

أيام كنّا ونحنُ فى صغر نلعبُ هالا مهلهلا هلله

وهذا و إن قصد به الهزل فليس فى حلاوة قول العباس :

لست أنسى مقالها لرسولى أبدا أو تضمّنى أرْمَاسِى

هات قُل لى كتاب من ذا فانى منهُ فى خيفة وفى إيجاسِ

فنبذت الكتاب سرا إليها فتبدّى العنوان من عبّاسِ

فرمت بالكتاب زهواً وقالت ما بقى للقُرود إلاّ الكراسى

ولا كملاحة قوله :

جارية أعجبها حسنها ومثلها فى الخلق لم يخلق

عرّفتها أنى مُحبٌّ لها فأقبلت تضحك من منطق

(١) جمع شعره فى الزهد وطبع فى بيروت

وانصرفت نحو فتـاة لـهَا   كالرشأ الأغيـد فى قرطق
قالت لها قولى لهـذا الفتى   أنظر إلى وجهك ثم اعشق

***

وكان بالرملة شيخ جليل نظير لأبى بكر النّابلسى فى طريق الزهد ، وكان ألكن اللّسان . فنزل بعض الجند دار صديق له فخاف طول مكثه وأن تصير الدار نزلا للجُند ، وسار بذلك إلى الشّيخ وسأله أن يبعث إليه مَن يعرفه بالرّجل أنه من خاصّته لينتقل عنها ، فانفذ معه رسولا ثم رأى الشّيخ أنّ قيامه آكد فنهض فلحقه. فقام الجندى اليه . فقال : ايها الشّيخ الجليل سيّدى أتانى رسولك ، ولا والله أقيم أكثر من يومين ألتمس منزلا وانتقل. فقال الشيخ: نعم ! ياسيّدى وشهرين اذا شئت ، وماهذا التضييق على نفسك . فقال صاحب الدار : والله أعزك الله لئن أقام بها عشرة أيام لتصيرن دارى نزلا . فقال : ياهذا انك أن تقول ، أن هؤلاء ، إنما أحب اليك أن يأتوا الى دارك ، لسبب ما ، فليس الأمر كما زعمت . فقال : فسر لى أكرمك الله هـذا الكلام ، وأنا أهب له الدار . وكان بالرملة أيضاً كاتب جاهل ألـكن ، فأرسل غلامه إلى الصوارف يبتاع له شرابا ، فاشترى له زكرة شراب وحملها على حمار وأتى الرملة . فقبض عليه أصحاب المصالح ، فقالوا : زن درهماً ، فامتنع فأرجلوه عن الحمار فضربوه خمسين مقرعة وأخذوا الشراب والحمـار ، فأتى مولاه فأخبره . فكتب إلى متولى النظر فى أمرهم ، أما بعد : فان غلاماً ، وان حماراً ، ألبسبله ، فضرباه خمسين ، رطلا فى زكرة ، فرأيك فى اطلاق الحمار ، وأبقاك . وقال بعض اخوانه : كنت عنده فاحتجم . فقال : ماعندى اليوم شراب نبيذ ، فأجلس حتى أكتب إلى صديقى فلان يبعث لى بقنينة أشربها معك . فقلت له : أنت مطول فى كتبك فاعمل على الاختصار . فكتب : أما بعد احتجت قنينة والسلام ، فقلت له : ولا هذا كله

ومثل هذا فى الاختصار ، قيل إن شاعراً مدح نصر بن سيار بقصيدة فيها مائة

بيت كلها نسيب ، وانما المدح منها فى بيتين . فقال له نصر : ماتركت معنى ظريفاً ولا نسيباً مليحاً إلا أوردته فى نسيبك دون مدحك . فقال : غداً أغدو عليك بغير هذا ، فغدا عليه بقصيدة أولها :

هل تعرف الدار لأم الغمر　　　دع ذا وحبّر مدحة فى نصر

وكتب هذا الكاتب كتابا إلى بعض أخوانه : اشتهيت، وليس عندى إلا ، وليس يحلو إلا من عندك ،وهو الدمكسك أصلحك الله ، يطرح المحشمة، فأرسل إلى ممسامنفصلاً والسّلام ـ أراد النمكسود ـ وهو لحم يقطع طوابيق و يشدّ بالملح فى ألواح و ينشر حتى يذهب ماؤُهُ و ينشف ، فاذا احتيج الى شىء منه بلّ بالمآء وأصلح ، و إنما يستعمل كذا ليسافر به ولا يفسد . ولذا قال أبو العيناء : الزّينبى نمكسود الخمر . وكتب رجلٌ الى قاض فى أمر قوم من جيرانه اختصموا : إنّ الذى لم يجر بينهما غير مفهوم ، وقد أردت الاستصلاح فعاد استفساداً ، فان رأى القاضى أدام الله عزله أن يصفح عن كتابى فان فيه نقصاً . فقال القاضى : لا بل فيه زيادة لام كفانا الله شرها .

***

و رءى قبران مكتوب على أحدهما : من رآنى فلا يغترّ بالدُّنيا فإنى كنتُ من ملوكها أصرّف الريح كيف شئت . وعلى الآخر مكتوبٌ : كذب إنما كان حداداً ينفخ بالزّق . وكان بالكوفة رجلٌ باقلاّنى فخرج الطائف ليلا فأخذهُ سكران ، فقال من أنت ؟ فقال :

أنا ابن الذى لا تنزل الدّهر قدره　　　وان نزلت يوماً فسوف تعودُ
ترى الناس أفواجاً الى ضوء ناره　　　فمنهم قيامٌ حولها وقُعودُ

فقال الطائف : قد جاء عن النبىّ صلّى الله وسلّم أنه قال : « تجاوزوا عن ذوى الهيئات » . خلوا سبيله ، فلما أصبح سأل عنه فاذا هو ابنُ باقلاّنى . فقال : ان لم يترك لنسبه فقد ترك لأدبه . ومثله من المعاريض قول ابن شبرمة : وقد

سئل عن رجل . فقال : إن له شرفاً وقدماً و بيتاً ، فنظر فاذا هو ساقط . فقيل له في ذلك . فقال : ما كذبت شرفه أدناه ، وقدمه التي يمشي عليها ، ولا بدّ أن يكون له بيت يأوي اليه . وسئل آخر عن رجل . فقال : رزين المجلس . نافذ الطعنة . فحسبوه سيداً ، فاذا هو خياط طويل الجلوس نافذ الابرة . طاب العتبي بعد ثمانين سنة أن يتزوج ، فقيل له في ذلك . فقال : أولاد الزمان فسدوا فأردت أن أذلهم باليتم ، قبل أن يذلوني بالعقوق . بعث بعض ولد عيسى بن جعفر الى جماعةٍ من المخنثين فأتوه . فجعلوا يلعبون و يرقصون و بقي مخنث منهم لا يتحرك . فقال : مالك قال لا أحسن شيئاً . قال : فلم دخلت يا ابن الفاعلة ؟ يا غلام إئتني بسكرجة مملوءة روثا وأخرى مملوءة جمراً ، فأتاه بهما . فقال : والله لتأكلنّ من أحدهما أو لأضربنّك حتى تموت . قال : يا مولاي دعني أصلي ركعتين . قال : قم فصلّ ، فقام يصلي فأطال . فقال له : يا ابن الفاعلة الى كم تصلي ؟ قد صليت أكثر من عشرين ركعة . فقال : يا سيدي أنا دائب أدعو الله أن يمسخني نعامة فأقوى على أكل الجمر ، أو خنزيراً فأقوى على أكل الخرا فلم يستجب لي بعدُ ، فدعني أصلي وأدعو فلعله يُستجاب لي ، فضحك منه ووصله . هبّت ريح شديدة . فقال الناس : قامت القيامة فقال ربدة المخنث : يا حمقاء القيامة هكذا على البارد بلا دابة ولا دجّال ولا دخان ولا يأجوج ولا مأجوج . ورأى مخنث شيخاً هرماً ، فقال : عدمته ، كأنه قصر ابن هبيرة ذهب رسمه و بقي اسمه .

***

قدّم قوم لأعرابي قريشا فأمعن في أكله . فقيل له : يا أعرابي ما هذا ؟ قال : فالوذج إلا أنكم حمضتموه . وابتاع أعرابيٌّ غلاماً . فقالوا له : إنّا نبرأُ اليك من عيب فيه . قال : ما هو ؟ قالوا : يبولُ في الفراش . قال : إن وجد فراشاً فليفعل . وقيل لأعرابي : لم اذا غضبنا على غلام لنا قُلنا له : أباعك الله في الأعراب قال : لأنا نطيل كدّه ، ونعري جلده ، ونجيع كبده .

وقال أبو تمام لرجل سرق شعره :

إنما الضيّغم الهصور أبو الأشـ ـبال ريبال كل خيس وغاب
مَن عَدت خَيْلُه على سرح شعري فاستحلّت محارمَ الآدابِ
ياعذارى الكلام صرتنّ من بعـ ـدى سبايا تُبعْنَ فى الأعراب

ورأى أعرابى سراويل فى فلاة فأخذه يظنّه قميصاً فلم يعرف كيف يلبسه ! ! فمرّ يعدو ورماهُ ، فلقيهُ رجل فقال : مالك يا أعرابى ؟ قال : أصبت قميصاً للشيّطان وأخاف أن يلحقنى فيقولُ لم أخذت قميصى .

وقال الهيثم بن عدىّ سمعت أعرابياً يقولُ : دخلت حضرتكمُ بعد عيد الأضحى ، فاذا أنا بجمع عظيم عليهم أنواع الثّياب من بيض وحمُر وصُفر فكأنها زهر البُستان . فقلت فى نفسى : هذا العيد الذى يذكرُ أصحابنا أن الحضر يتزينون فيه ، ثم رجعت إلى عقلى فقلت وأىّ عيد هو وقد خرجت بعد الأضحى ، فبينا أنا باهتٌ أفكر فى أمرى إذ أخذ بيدى رجلٌ منهم . فقال: أدخل يا أعرابى فدخلت فاذا بمجلس منضّد بالنضائد موسد بالوسائد ، وفى صدره سرير وعليه رجل جالس والناس صموت عن يمينه وشماله . فقلت فى نفسى : هذا الخليفة الذى يذكرون ، فقبلت الأرض وقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته . فقيل : اسكت يا أعرابى هذا عروس ونحن فى عرسه ، فهيء لى موضع فى المجلس فجلست فيه فقدمت هنات مدورات من خشب عليها ثياب متلاحمة النسج فهممت أن أسند فى ثوب منها أرقع به ازارى. فقيل لى : مد يدك يا أعرابى وكل، فاذا هو ضرب من الخبز لاأعرفه، ثم قدمت أنواع من الطعام حلوة وحامضة وحارة و باردة فأكلت، ثم أتى بأوانى فيها ماء أحمر فجعلوا يصبون فى أقداح و يشربون ، فناولونى منه قدحاً . فقلت: أخاف أن يقتلنى. فقالوا يا أعرابى انه يهضم مافى بطنك ، فشربته فحدث فى قلبى طرب لا أعرفه وهممت أن أهشم الذى بجانبى ، وأن أقول للآخر : يا ابن الزانية ! فأقبلوا يسألون رجلا و يقولون أمتعنا بنفسك ، فأتى بهنات لها رأسان مشدودان

بالخيوط المحصدة ، فأقبل يضرب رأسه فيخرج منها رعد كهزير الرعد وزئير الأسد . وأخرج رجل من كمه شيئا كفيشلة الحمار ، فأقبل يردد عليه به . وأقبل آخر ينتخ حتى كبح به الأرض . فقلت : مجنون ورب الكعبة !! ثم أقبلوا يضرعون إلى آخر و يرغبون إليه ، فأتاهم بدابّة من خشب عينها فى صدرها إذا فتلت أذنها تكلم فوها ، فطرب كل من حضر وطربت حتى تقدمت اليه . وقلت : ياسيدى ماهذه الدابة ؟ فقال : يا أعرابى هذه يقال لها البربط . فقلت : أمنت بالله و بالبربط ، ثم سقونى قدحاً آخر فأخذتنى نومة لم يوقظنى منها إلا حر الشمس من الغد .

☆☆☆

وفى على بن عيسى يقول البحترى يهجوه :

وا كثرت غشيان المقابر زائراً   علىّ بن عيسى جار أهل المقابر
فان لا يكن ميت الحياة فإنه   من اللؤم ميت الجود ميت المآزر

قال ابو العيناء : محمد بن مكرم والعباس بن رستم ، تعجلا الجنة فى الدنيا ، يشربان الخمر ولا يصليان . ومما يعد من مكارم أبى الصقر : أنه لما ولى الوزارة بعد صاعد دخل عليه ابن ثوابة فقال : تالله لقد آثرك الله علينا وان كنّا لخاطئين . قال : لا تثريب عليك يا أبا العباس يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين .

ولما ولى أبو الصقر الوزارة خيّر أبا العيناء فيما يحب حتى يفعله به . فقال : أريد أن يكتب لى الوزير إلى احمد بن محمد الطائى يعرفه مكانى ، و يلزمه قضاء حق مثلى من خدمه. فكتب اليه كتابا بخطه فأوصله إلى الطائى ، فسبب له فى مدة شهر مقدار ألف دينار وعاشره أجمل عشرة ، فانصرف بأجمل ما يحب. وكتب إلى أبى الصقر كتابا متضمنه: أنا أعز الله الوزير طليقك من الفقر ، ونفيلك من البؤس ، أخذت بيدى من عثرة الدهر وكبوة الفقر ، وعلى أية حال - حين نفذت الأولياء والأشكال ، والاخوان والأمثال الذى يفهمون ، وهم الناس كانوا غياثا للناس ، فحللت عقدة الخلة ، ورددت إلىّ بعد النفور النعمة ، وكتبت إلى الطائى كتاباً فكأنما كان منك اليه انيسه .

وقد استكفت به الأمور ، وأحاطت به النوائب ، فكثر من بشره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن بره أحكمه ، ولم يزل مكرماً لى مدة ما أقمت ، ومثقلا من فوائده لما ودعت ، حكمنى فى ماله فتحكمت ، وأنت تعرف جورى إذا تمكنت ، وزادنى من طوله فشكرت ، فأحسن الله جزاك ، وأعظم حباك ، وقدمنى أمامك ، وأعاذنى فقدك وحمامك ، وقد أنفقتَ على ما ملكك الله ، وأنفقتُ من الشكر ما يسر الله لى . والله عز وجل يقول : لينفق ذو سعة من سعته . فالحمد لله الذى جعلك اليد العليا ، والرتبة السامية ، لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسط لها من عدلك ، وبث فيها من رفدك

* * *

قال أبو العيناء : أنا أول من أظهر العقوق بالبصرة لوالديه . قال : أبى إن الله قد قرن طاعته بطاعتى . فقال : اشكر لى ولوالديك . فقلت : يا أبت ان الله أمننى عليك ولم يؤمنك على . فقال : ولا تقتلوا أولادكم خشية إمْلاَق نحن نرزقكم وإياهم . وقال أعرابى لأبيه : يا أبت ان كبير حقك على ، لا يبطل صغير حقى عليك ، والذى تمت به الىّ أمت بمثله ، ولست أزعم أنّا سواء ، ولكن لا يحل الاعتداء .

وحكى أبو الحسين محمد بن جعفر ابن النكك (١) البصرى عن أبيه أنه جاور ببغداد فى أيام المقتدر رجلا من جلة الكتاب . ونشأ له ولدان فتنا بغداد بحسنهما فبلغ الأكبر منهما فنقله من المكتب الى الديوان ، وأراد أن يحصنه بجارية فابتاعها له بألف دينار وقال لا تعلم أخاك فانه يصغر عن ذلك ، فنمت داية الأصغر الأمر اليه . وقالت : إن أباك أخص أخاك بشىء دونك . فقال لها : بمَ خصه؟ قالت بجارية . قال : هو اليها أحوج وأنا عنها أغنى ، غير أنى أشفق أن يتسع الخرق وما علمت أنه فضله مذ نشأ علىّ بشىء ، وأنا أجله عن المشافهة ولكن هاتى دواة ، فكتب اليه :

ليس لى بعد إلهى مشتكا إلا اليكا

---

(١) كذا فى الأصل فى المكانين ولعل الصواب : لنكك.

وأخى فى الفضل مثلى ... وكلانا فى يديكا
لا تفضّله علىّ ... بالحبا من ناظريكا
إنما أبناك كعينيـ ... ـك فداوى مقلتيكا
إن أذقت العين كحلا ... هاجت الأخرى عليكا

فابتاع له جارية بثمن جارية أخيه وأنفذها اليه . وحضر أبو الحسين بن النكك عند أبى الفتح نصر بن احمد الخبز أرزى فبخره ببخور غير طائل فقال :

تبصّر فى فؤادى فضل حبّ ... يفوق به على كلّ الصحاب
أتيناه فبخرنا بشئ ... من السقف المدخن بالتهاب
فقمت مبادراً وحسبت نصراً ... يريد بذاك طردى أو بعادى
فقال متى أراك أبا حسين ... فقلت له اذا اتّسخت ثيابى

* * *

قال أبو على البصير لأبى العيناء : فى أى وقت ولدت من النهار ؟ قال : طلوع الشمس . قال : فلذلك خرجت مكديا لأنه وقت انتشار المساكين . فقال له أبو العيناء : بينى و بينك مناسبة العمى ، قال : كلا ! إنى من عميان الدواب ، وأنت من عميان العصا . بلغت أبا على البصير عن أبى العيناء قوارص بظهر الغيب . فكتب اليه : استزيد الله فى بقائك ، واستمتعه بإخائك ، واستحفظه النعمى عندك . رب مزح أعزك الله قد بعث جداً ، وجور قد أحدث قصداً ، ورب أمر صغير خطره ، قد أعقب أمراً كبيراً آخره ، ونحن باستزادتنا بعهدك ، ومحاماتنا على ودك ، وتمسكنا بعرى الأسباب التى بيننا و بينك ، واحتراسنا من جناية الدهر علينا فيك ، لا نقتصر على الاستظهار بالحجة ، والابلاغ فى المعذرة ، دون استفراغ المجهود و بلوغ الغاية فى التأنى ، والحيلة فى استرجاع ما شذ عنا منك ، وأبطال ما نمت به الأخبار الينا عنك ، من تحليك بنا فى العيب ، وتناولك إيانا فى الغيب ، فلا يزال أخ لك مدّ الله فى عمرك تعد له على نفسك ، وتوقه لك

وعليك . قدساقط الىّ أحاديث عنك بطبائعها صلاح القلوب قليلا[1] بها بقاء المودة . سريعة فى حل عقدتها وقطع مودتها، أحاديث أ كره لنفسى بدأها ولك عاقبتها ، و كنت لا أزال ما يرد علىّ منها بتأوّل لفظك وحسن الظن بمعناك ، والتماس العذر لك على ضيق مخرجه ، وصعوبة مطلبه . وأغلّب رأيى لهواك ، وأقف غضبى على عتباك ، واحفظ قصدك الىّ متنصلا بما بلغنى عنك ، الى حرم بينى و بينك ، لا يجب حفظها علىّ دونك ، حتى عاد تعريضك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً ، وفى نسبته فى صحتى الى العمى ، وفى حلمى الى الضعف ، الى أن يئس الصديق من نصرى ، لما رأى من اغضائى فى أمر نفسى ، وقد بقى معى فضلة من اداتى أنت تملكهادونى ، فان صنتها لى ووفرّتها علىّ من أسا الاختيار[1] ، ولا أعدم أنصاراً من الأحرار، أسعد بموازرتهم ومكاشفتهم واستغنى بنفسى عنهم . وقد كتبت فى هذا المعنى بأبيات هى لما قبلها ولما يكون بعدها فرأيك فى تفهمها نفعك الله بها :

أبلغ أبا العيناء إن لاقيته ... قولا يكون لدائه حسْما
نبئت أنك فى المغيب تسبّنى ... واذا التقينا كنت لى سلْما
فتروم هجرى جاهداً ونقيصتى ... سفهاً أراه باديا حلما
لا تغتنم لحمى فليس بأكلة ... واعلم بأنك واجدٌ لحما
انى أعيذك أن تكون رميّةً ... لسهام رام إن رمى أصمى

وشتم أبا على البصير بعض الطالبيين . فقال : إنا والله ما نعيى من جوابك ، ولا نعجز عن مساءتك ، ولكنا نكون خيراً لنسبك منك ، ونحفظ ما أضعت ، فاشكر توفير ما وفرنا منك ، ولا يغرنك بالجهل حلمنا عنك .

وأبو على هو القائل :

ألمّت بنا يوم الرحيل اختلاسة ... فاضرم نيران الجوى النظر الخلس
تأبت قليلا وهى ترعد خيفة ... كما تتأبى حين ترتعد الشمس

---

(١) — (١) كذا فى الأصل ولم أقف على صحته ولا تبين لى معناه

فخاطبها صمتى بما أنا مضمرٌ　　وأبلست حتى لست يسمع لى حس
وولت كما ولّى الشباب لطيّة　　طوت دونها كشحاً على بأسها النفس

وقال يمدح الفتح بن خاقان :

سمعنا بأشعار الملوك فكلها　　اذا عض متنيه الثقاة تأوّدا
سوى ما سمعنا لامرء القيس انه　　يكون اذا لم يشعر الفتح أوحدا
أقام زماناً يسمع القول صامتاً　　وتحسبه إن رام اكدى وأصلدا
فلما امتطاه راكباً ذلّ صعبه　　وسار فأضحى قد أغار وأنجدا

وقال يصف ليلة مطر :

وليلة عارض لا نوم فيها　　أرقت لها الى الصبح الفتيق
حمى فيها الكرى عينى ببيت　　كأنّ سماءها عين المشوق
تواصلت السحائب وهو بيت　　وصدّت وهو قارعة الطريق

وهذا كقول ابن المعتزّ :

روينا فما نزداد يارب من حياً　　وأنت على ما فى الضمير شهيد
سقوف بيوتى صرن أرضاً أدوسها　　وحيطان دارى رُكّع وسجود

* * *

ذهبت ثياب رجل فى الحمام ، فجعل يقول : أنا أعلم أنا أعلم ، واللص يسمعه ففزع وظن أنه قد فطن به فردها . وقال له : إنى سمعتك تقول أنا أعلم فما الذى تعلم؟ قال: أعلم أنه ان عدمت ثيابى مت من البرد . زار رجل الخصيب بن عبدالحميد وهو أمير على مصر مستميحاً فلم يعطه شيئا فانصرف . فأخذه أبو الندى اللص وكان يقطع الطريق . فقال: هات ما أعطاك الخصيب . قال : لم يعطنى شيئا ، فضربه مائتى مقرعة يقرره على ما ظن أنه ستره عنه . ثم قدم على الخصيب بعد ذلك زائراً فلم يعطه شيئا . فقال : جعلت فداك تكتب إلى أبى الندى أنك لم تعطنى

شيئا لئلا يضربنى ، فضحك ووصله . ومر سالم بن أبى العقار بمحمد بن عمران الطلحى ، وكان سالم أحد المجان . فقال له سالم : ما هـذه الشيبة والهيئة الحسنة والخضاب ، ولا تنزع عما أنت فيه!! فقال : يا أباسليمان أنى لأهمّ بذلك فاذا مررت بمنزل ابن عمك طلحة بن بلال فرأيته على حاله لم يخسف به ، علمت أن فى الأمر فسحة بعد . ولما مرض أبو نواس دخل عليه الجماز يعوده . فقال : اتق الله فكم من محصنة قد قذفت ، ومن سيئة قد اقترفت ، وأنت على هذه الحال فتب قبل الموت . فقال : صدقت ولـكن لا أفعل ! قال : ولم ؟ قال : مخافة أن تكون توبتى على يد واحد مثلك . وقال الجماز : أراد أن يكتب أبو نواس إلى اخوان له دعاهم فلم يجد قرطاساً يكتب فيه فكتب فى رأس غلام له أصلع ما أراد ، ثم قال فيـه : فاذا قرأتم كتابي فاحرقوا القرطاس . فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه

* * *

تقدم الوزير على بن عيسى إلى أبى عبد الله بن الجصاص فى البكور ، فأتاه نصف النهار . فقال : ما أخرك يا أبا عبد الله . قال : بحياتى أعز الله الأمير كلاب تنبح الليل أجمع ، فأسهرتنى البارحة فلما كان مع وجه السحر سكن نباحها فنمت فغلبتنى عينى إلى الآن . فقال له : وما لك يا أبا عبد الله لا تتقدم فى قتلها . قال : ومن يستطيعها أيها الوزير وكل واحد منها مثلى ومثل أبيك رحمه الله . وخرجت يده من الفرش فى ليلة باردة فأعادها إلى جسده بثقل النوم فأيقظته ، فقبض عليها بيده الأخرى وصاح اللصوص اللصوص ، هذا اللص جاء ينازعنى وقد قبضت عليه أدركونى لئلا يكون فى يده حديدة يضربنى بها ، فجاؤا بالسراج فوجدوه قد قبض بيده على يده . ودخل على ابن له وقد احتضر فبكى عند رأسه . وقال : كفاك الله يا ابنى الليلة مؤنة هاروت وماروت . قالوا : وما هاروت وماروت ؟ قال : لعن الله النسيان انما أردت يأجوج ومأجوج . قالوا : وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : فطالوت وجالوت . قالوا : فلعلك أردت منكراً ونكيراً . قال : والله ما أردت إلا

غيرهما ! ! يريد ما أردت غيرهما . وغفل عنه أهله يوماً فسمعوا صياحه . فأتوه فوجدوه فى بيت كالميت . فقالوا : مالك ؟ قال : فكرت فى كثرة مالى وشدة مصادرة السلطان للتجار فى هذا الوقت وتعذيبه لهم بالتعليق ، فعلقت نفسى ونظرت كيف صبرى ، فزحلت فلم أتخلص حتى كدت أموت .

وهذه الحكايات عن ابن الجصاص تنسب إلى غيره والمحدثون مختلفون فى حكاياتهم ومضطربون فى رواياتهم . وكان المعتضد إذا رأى ابن الجصاص يقول : هذا الأحمق المرزوق ، وكان أوسع الناس دُنيا ، له من المال مالا ينتهى إلى عده ، ولا يوقف على حده . وبلغ من جده أنه قال : تمنيت أن أخسر فقيل لى : اشتر التمر من الكوفة وبعه بالبصرة ففعلت ذلك ، فاتفق أن نخل البصرة لم يحمل فى ذلك العام فربحت ربحاً واسعاً . وكان المعتضد : لما زفت اليه قطر الندى بنت خمارَوَيْهِ بن احمد بن طولون بعث ابوها إلى ابن الجصاص مائتى ألف دينار ، وكتب اليه قد جهزناها بما قدرنا عليه ، وبالعراق طرائف لم تصل إلى أيدينا فاشتر ما تراه ، فاحتجز المال ولم يسأل عنه . وكان ابن المعتز لما خُلع المقتدر لم يقم فى الخلافة إلا يومين غير تامين ثم اضطرب حبله فهرب إلى دار ابن الجصاص فأخرج منها ، أخرجه المقتدر بعد ايام إلى القضاة والعدول ميتاً [1]

---

(١) هو الحسن بن عبد الله بن الحسين ابو عبد الله بن الجصاص الجوهرى . كان من أعيان التجار ذوى الثروة الواسعة ذكره ابن شاكر فى فوات الوفيات وأتى له بترجمة تشتمل على طرف من أخباره ونوادره . وقال فى خبر اختفاء ابن المعتز فى داره واخراج المقتدر له منها : أن خادما صغيرا لابن الجصاص وشى به فصادره المقتدر على ستة آلاف الف دينار . وحكى عن ابن الجوزى أنه قال : أخذوا ما مقداره ستة ألف ألف دينار عينا وورقا وقماشا وخيلا وبقى له بعد المصادرة شيء كثير إلى الغاية من دور وقماش واموال وبضائع وضياع ، وكانت ابتداء ثروته من ابى الجيش خمارويه بن احمد بن طولون على غير النحو الذى حكاه الحصرى هنا . توفى بعد العشرين والثلاثمائة تقريبا .

وكان سبب طلب ابن المعتز للخلافة : أن المقتدر وهو جعفر بن المعتضد وأمه أمة سوداء واسمها شعب لما استخلف أرجف الناس فيه وتكلموا فى أمره . وقالوا : كيف يلى الخلافة مَن لم يبلغ الحلم وكان سنه يومئذ ثلاثة عشر سنة وشهراً وعشرين يوما، وقالوا لا بد من خلعه لأنه سادس ، قال الصولى : وقد جرى فى السادس أمرٌ طريف من الاتفاق وذلك أن الله تبارك وتعالى أورث الأرض سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده أربعة واستخلف بعد علىّ رضى الله عنه الحسن ابنه وهو السادس فخلع ، وسلم الأمر إلى معاوية ثم إلى يزيد بن معاوية ثم الى معاوية بن يزيد ثم مروان بن عبد الحكم ثم عبد الملك ابن مروان ثم بويع بن الزبير فى أيامه أو قبلها وهو السادس فخلع، ثم انقضت دولة بنى أمية ولم يكمل بعد الوليد ستةٌ [(١)] انما ولى يزيد بن الوليد الناقص وابراهيم ابن الوليد بن مروان ومروان بن محمد وهو آخر ملوك بنى أمية ، ثم استفتح ملك بنى العباس بأبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور ومحمد بن المنصور المهدى وموسى الهادى بن المهدى وهارون الرشيد بن المهدى والأمين بن الرشيد بن المهدى وهو السادس فخلع ، ثم ولى المأمون بن الرشيد والمعتصم أخوه والواثق بن المعتصم والمتوكل ابن المعتصم والمنتصر بن المتوكل والمستعين احمد بن المعتصم فخلع وهو السادس . قلت : أنا [(٢)] وولى بعده القاهر محمد بن المعتضد والراضى أبو العباس بن المقتدر والمتّقى أبو اسحاق بن المقتدر والمستكفى والمطيع الفضل بن جعفر المقتدر والطائع أبو بكر عبد الكريم بن المطيع وهو السادس فخلع وولى بعده أبو العباس القادر وهو الخليفة فى هذا الزمان ، وكان الإرجاف فى أول ولاية المقتدر شديداً من الخاصة والعامة فلما قتل العباس وزيره أخذ محمد بن داود بن الجراح البيعة على

---

(١) يريد الوليد بن عبد الملك

(٢) كذا فى الأصل وقد سقط ذكر ست من الخلفاء العباسيين وهم : المعتز بالله والمهتدى بالله والمعتمد على الله والمعتضد بالله والمكتفى بالله والمقتدر بالله

الناس لعبد الله ابن المعتز ، ووجه الى القضاة والعدول فاجتمع من القواد وغيرهم زهاء خمسةِ آلافٍ سوى الأتباع فأظهر لهم محمد بن داود عبد الله بن المعتز وكتب كتاباً خلع فيه المقتدر ، واحتج بأن امامته لا تجوز لقصوره من بلوغ الحلم وصغره عن الخلافة واستحقاق عبد الله إياها لكماله وحنكته ومعرفته فى أمور المسلمين وعلمه بشرائع الدين ، فشهد العدول على ما فى الكتاب ومن حضر من أشراف بَغْدَادَ وبايعوا ابن المعتز ولقبوه المنتصف ويقال الراضى ويقال القائم بالحق ، وتقلد ابن الجراح الوزارة ، وتكلم عبد الله بن المعتز وذكر المقتدرَ وأنه لا صلاة للناس معه ولا حج ولا غزو . وقال : قد آن للحق أن يتضح ، وللباطل أن يفتضح ، وقام وكيع فقرظه وذكر محاسنه وذكر شعر أبى العتاهية فى هارون الرشيد وهو :

أتته الخلافة منقادةً اليـه تجرر أذيالهـا
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامهـا أحدٌ غيره لزلزلتِ الأرض زلزالها

ولم يبق فى دار المقتدر حينئذ إلا نفرٌ يسيرٌ ، وهرب بعضهم إلى ابن المعتز . فسعى مونس الخازن وَسَوْسَنَ فى نقض هذا العقد فى اليوم الثانى وجددا للناس بيعة للمقتدر ، وأخرجا الأموال فزادا فى الأعطية فانجفل الناس اليهما ولم يبق مع ابن المعتز أحد ، فهرب الى دار ابن الجصاص وهذا خبر طويل ليس هذا موضع استقصائه ثم خلع المقتدر بعد ذلك وقتل فى الحرب ولم يقتل فى الاسلام خليفة بين الصفين غيره، ولما ظهر ابن المعتز ميتاً رثاه الناس فقال ابن بسام :

لله درك من ميْت بمضيعة ناهيك فى العلم والآداب والحسب
ما فيـه لوٌّ ولا ليت فتنقصه وإنمـا أدركته حرفة الأدب

وطولب ابن الجصاص بالتجائه اليه وأراد المقتدر قتله . فقال : يا أمير المؤمنين انه ابن عمك وقد لجأ الى دارى وأنا غائب عنها فكتمت أمره لعل رأيك يحسن فيه ، ولست بمضاد فى خلافة ولا قادح فى مملكة ، وقتلى لا ينفعك ؛ وفى حياتى

لك فائدة . قال: وما فائدة حياتك ؟ قال : ادفع اليك كل يوم الف دينار. فترك ووفى فى ذلك مدة

وقد استحسن لابن البسام رثاؤه لابن المعتزّ على سوء رأيه فيه ومهاجاته له .

وقد أحسن بديع الزمان فى هذا المعنى كل الاحسان ، وقد كتب اليه ابراهيم ابن احمد بن حمزة يهنئه بمرض أبى بكر الخوارزمى — وكان بينهما من المهاجاة والمهاترة والمنازعة والمنافرة ما يطول به الشرح — الحر أطال الله بقاءك لا سيما اذا عرف الدهر معرفتى ، ووصف أحواله صفتى . اذا نظر علم أن نعم الدهر ما دامت معدومة فهى أمانى ، فاذا وجدت فهى عوارى ، وان محن الأيام ان مطلت فتستنفذ وان لم تصب فكأن قد ، فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ، ولا يعدمها فى جنسه . والشامت ان أفلت فليس يفوت ، وان لم يمت فسوف يموت ، وما أقبح الشماتة بمن أمن الاماتة ، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة ، وعقيب كل لفظة ، والدهر غرثان طعمه الخيار ، وظمآن شربه الأحرار . فهل يشمت المرء بأنياب آكله ، أم يسر العاقل بسلاح قاتله

وهو الفاضل شفاه الله ، وان ظاهرنا بالعداوة قليلا ، فقد باطناه وداً جميلا ، والحر عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد ، فلا تتصور حالى إلا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته ، وقاه الله المكروه ، ووقانى الله سماع المكروه فيه

وكان الخوارزمى رافضياً غالياً : اخبرنى من رآه بنيسابور وقد خرج سكران وقد كظه الشراب فطلب فقاعاً فلم يجده . فقال : أتعوذنى الفقاع لمّا طلبته . فاذ كان يهتف بهذه الجملة لغير علة فكيف به مع تفريع العلل ، وتوسيع الأمل ، ممن يطابقه على كفره ، ويوافقه فى سره . وكان فاحشاً بذيئاً ، مستخفاً جريئاً على ذوى الانعام عليه ، والاحسان اليه . قال اسماعيل بن عباد لما بلغه موته :

سألت بريداً من خراسان مقبلا أمات خوارزميكم ؟ قال لى نعم !

فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره ... ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

وكان هجا بعض الملوك فظفر به فوسمه فى جبهته سطران فيهما شطران بأقبح هجاء ، فكان يشد العمامة على حاجبيه ستراً عليهما · ولذلك قال البديع فى مناظرته إياه — وقد ذكر مجلساً طويلا غنى المغنّى بحضرتنا

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا اللطم فى الخد الرقيق

فقال للحاضرين : أنا أروى الشعر الذى منه هـذا البيت وهذا لا يرويه . فقلت : روايتى تخالف روايتك ، واذا أنشدتكها على روايتى ساءتك فى استماعها ، ولم يسرك مصنوعها . قال : وكيف روايتك ؟ قال قلت :

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا الوسم فى الوجه الصفيق

فلما أضجرته النكتة ، أخذته السكتة ، فخمدت ناره ، ووقف حماره

وكان البديع رحمه الله ، وهو أبو الفضل أحمد بن الحسين : قد أشرقه بريقه ، ووعر عليه ما سهل من طريقه . وكان الخوارزمى يرميه ببغض على رضوان الله عليه ، ويشنع عليه بذلك ويغرى به الطالبيين :

يقولون لى لا تحب الوصىّ ... فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبى وآل النبى ... واختص آل أبى طالب
وأعطى الصحابة حق الولا ... ء وأجرى على سنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع ... فإنى كما زعموا ناصبى
وان كان رفضاً ولاء الوصىّ ... فلا برح الرفض من جانبى
فلله أنتم وبهتانكم ... ولله من عجب عاجب
وإن كنتم من ولاء الوصى ... على العُجْب كنت على القارب
يرى الله سرى اذا لم تروه ... فلم تحكمون على الغائب
ألا تبصرون لرشد معى ... ولا تهتدون الى الله بى

أعز النبي وأصحابه فما المرء إلا مع الصاحب
ايرجو الشفاعة من سبهم ؟ بل المثل السوء للضارب
حنانيك من طمع بارد وابيك من أملٍ كاذب
يوقى المكاره قلب الجبان وفى الشبهات يد الحاطب

وكتب البديع الى بعض الرؤساء — وذكر الخوارزمى — : ما ألوم هذا الفاضل على نشر شر طواه ، وموقد حرب اجتواه ، ولكنى ألومه على ما نواه ، ولم يتبع فيه هواه ، ورامه ، ولم يبلغ تمامه . وأقول : قد ضرب فأين الايجاع ؟ وأنذر فأين الايقاع ؟ وهذه بوارقه ، فأين صواعقه ؟ وذاك وعيده ، فأين عديده ؟ وتلك بنوده ، فأين جنوده ؟ وأنشد : هذه معاهده فأين عهوده

ما أهول رعده ، لو أمطر بعده ، اللهم لا كفران أراه أشفق لغريب أن يظهر عواره ، ان طار طواره ، فان كان قصد هذا القصد فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الىّ ، وأجحف بفضله من حيث أبقى علىّ ، وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه ، وشجعنى على لقائه ، بعد أن فزعنى بايمائه ، فبينا كنت أنشد : ان جنبى على الفراش لنابى
إذ أنشدت : طاب ليلى وطاب فيه شرابى
و بينا كنت أقول : ما لقلبي كأنه ليس منى
إذ قلت : أين من كان موعدا لى بأنى

وبين البديع والخوارزمى مراسلات ومساجلات ، ومجالس ظريفة ومقامات ، فى ابتداء وجواب ، أخذت بوصل الحكمة وفصل الخطاب . ومن الهزل والجد فمن ظريف ما لأبى بكر من رسالة طويلة يهزأ فيها بالبديع : تواضع لنا رحمك الله فان التواضع خلق من أخلاق السلف ، وشبكة من شباك الشّرف ، وتصدق علينا ببشرك فان الله يجزى المتصدقين ، وأحسن فان الله يحب المحسنين ، ولاين اخوانك فى قولك وفعلك ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ،

لولا أنى رحمك الله لا أقول بالرجعة ، ولا أذهب مذهب التناسخية ، لظننت أنك يونس بن فروة إذ قيل فيه :

أمّا ابن فروة يونس فكأنه من كبره ذاك الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها والناس عندك ما عداك بهائم

فلقد أعجبت بنفسك الخسيسة التى لا تستحق العجب ، وأحببت ما لا يساوى الحب ، حتى كأنّ كسرى انو شروان حامل غاشيتك ، وقارون وكيل نفقتك ، وحتى كأنك بنيت منارة الاسكندرية من آجر دارك ، وشدت ملعب سليمان من بقايا رخام صحنك ، وكأن خاتم الدنيا فى خنصرك ، وحساب خرجها ودخلها فى بنصرك ، وحتى كأنّ الشمس تطلع من جبينك ، والغمامُ يندى من يمينك ، وكأن كسرى أنو شروان صاحبُ نفقة اصطبل دوابك ، ونمروذ بنُ كنعان قهرمانك على ولدك وأهلك ، وحتى كأن الكبريتُ الأحمر خزف دارك ، والدرّة اليتيمة فى أخسّ سوارك

رحمك الله ! دَع لليونانية من الحكمة ما ينفق به سوقهم ، واترك لبنى العباس من التملك ما تمشى به أمورهم ، وابق للشمس والقمر من الحسن بمقدار ما يلوحان به ، ويطلعان فيه ، وانظر إلى النساء من وراء حجاب ، ومن خلف بُرقع ، وإلاّ خرجن فى عشقك من ستر الله . وقطعنّ أيديهنّ وقلنَ حاشا لله ، ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق ، ولا تذُق المماليك مرارة العتاق

رحمك الله ! لى حوائج إن قضيتها فقد تسلّمت شكرى وثنائى ، وان رددتنى عنها فقد رأيت أنموذج سخطى وشكوائى ، اتفق الناسُ على ضياع النّسخة الأولى من كتاب العين (١) فأملها علينا رحمك الله ! والكيمياء فقد أنفقت فيها الأموال ، وتعب

(١) كتاب العين : اختلف الناس فى مؤلفه ، والأكثرون على أن واضع أصله على الترتيب الذى هو عليه الخليل بن احمد بن تميم الفراهيدى البصرى النحوى المتوفى سنة ١٧٥ واتفق الناس على أنه أول كتاب ألف فى اللغة العربية . وفى المزهر للسيوطى وكشف الظنون لكاتب جلبى بحث عنه مستفيض .

فيها الرّجال، ثم لم يحصلوا منها إلاّ على مواعيد مزخرفة، وأمانى مسوّفة، فما عليك لو علمتناها وأغنيت الفقراء، وزدت الأغنياء، وأرحت النّاس من الضّرب فى البلاد، والكدّ والاجتهاد، ومن أن يخدم فقير غنيًّا، ويتّخذ بعضهم بعضاً سخريًّا. والزّيج الأكبر فقد انقطع أصله، ومات أهله، وهو من مفاخر الروم علينا، ومن محاسنهم دوننا. فاعمل على اصلاحه، ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين فى إبداعه، ومسجد دمشق فهو حسنة يُباهى بها أهل المغرب أهل المشرق، فابن لنا مثله، ولا تثبت علينا فضله، فإنما هى ساعة من هندستك، وجزء تستعملهُ من أجزاء حكمتك.

أنا لو سلمت أنك انسان لنفيت عن نفسى الانسانية، وقضيت عليها بالبهيمية، وصرت أعلى منك فى النّقص حكمة، وفى الجهل طبقة. وإذا أردت أن تعلم أنّى فى ذمّك جادٌّ، وفى مدحك لاعبٌ، وفى الشّهادة عليكَ صادقٌ، وفي الشهادة لكَ كاذبٌ، فانظرُ إلى تهافت كلامى إذا لاينتك وجاملتك، واصابتى الغرض وحزى المفصلّ إذا كاشفتك وباينتك، وذلك أنّ الصادق معان مأخوذ بيديه، والكاذبُ مخذولٌ مغضوبٌ عليه، وما كان الله ليُوفقنى وأنا أجامل مَن لا يعرف قط اجمالاً ولا تجميلا، وأفضّلُ مَن لم يُناسب مذ كان أفضالا ولا تفضيلا.

ليس يخفى عليك أكرمك الله! تطاول أهل العراق بعبد الله بن هلال الهجَرى صديق ابليس: فأرنا رحمك الله من عجائب صنعتك، ولطائف شعبذتك، وأظهر من كُتبك ماتحاكى به كُتب اليونانية؛ وتكسد سعرهم وتهدم فخرهم، فانّ ابليس تلميذ لك، تعلّم منك وأخذ عنك، وشتّان بين مَن يدّعى أنّ ابليس من أعوانه، وبين مَن يدّعى أنه من غلمانه. وهل استنظر ابليس إلى يوم الوقت المعلوم، إلاّ ليُدرك زمانك، ويرى برهانك، أى وفقدك فلا شىء أعزّ علىّ منهُ! ولا أحسن فى عينى، أماسمعت قول على بن جبلة فى أبى دلف:

انما الدُّنيا أبو دُلفٍ بين باديه ومُحتضره

فاذا ولّى أبو دُلَفٍ ولّت الدُّنيا على أثره

ألا غضبت عليه ، واعتقدت أنّه أخذ صفتك ، وأعار أبا دلف مدحتك ، ولا سمعت قوله :

إنما الدُّنيا حميدٌ وعطاياهُ الجسامْ

فاذا ولى حميد فعلى الدنيا السلام

ألا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته ، أو عرفت بيته فهدمته ، ولا سمعت قول ليلى الأخيلية :

فتى كان أحيى من فتاة حيئة وأشجع من ليث بخفان خادر

إلا قلت كيف لو رأت ليلى أخانا ، فتعلم كيف دعواهامن دعوانا . ولا أنشدت قول أبى السعلاء فى الرشيد :

أغيثاً تحمل الناقـــة أم تحمل هارونا

أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدينا

فانّى والله أتعجّب حين قاله فى غيرك ، كيف لم ترمه جهنم بشرارها ، والشياطين بأحجارها ، وأعجب منه قول من قال فى معن بن زائدة :

مسحت معدّ وجه معن سابقا لما جرى وجرى ذوو الأحساب

كيف يسبق غيرك فى حلبة وأنت فى عدادها ، أم كيف يكون غيرك سابق جيادها ؟ أنت أيدك الله ! بين هؤلاء الشعراء مرحوم مظلوم ، سلبوك علاك وهى حُلاك فحلوا بها سواك ، والمدح الكاذب ذم ، والبناء على غير أساس هدم[1].

وهى طويلة جداً ، مر له فيها إحسان كثير . و إنما احتذى فى أثرها مثال رسالة أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لأحمد بن عبدالوهاب المعروفة برسالة الطول والعرض

---

(١) هذه الرسالة فى مجموعة رسائله المطبوعة سنة ١٢٧٩ بمصر وهى طويلة من ص ١٨٤ — ١٩٨ وعنوانها وكتب بها الى أبى الحسن البديهى الشاعر يعبث به فيها ، وذلك مخالف لما قاله الحصرى من أنه كتب بها الى البديـع

وتعرف برسالة التوسّع والتدوير (١) ورسالة المفاكهات ، واتبع أيضاً طريق أبي الفضل بن العميد فى رسالته لابن سمكة النحوى

وقد جمع بديع الزمان جوامع ماجرى بينه و بينه فى كتاب أنفذه إلى بعض الأشراف : أنا أكتب منه هاهنا قطعة على اختصار (٢)، وهو وان كان طويلا فليس مملولا . لما البسه من حلل البلاغة ، وحلى البراعة ، وجدته فى الآذان ، وحلاوته فى الأذهان ، وفيه أنواع تنفتح لها الأسماع ، وتنشرح لها الطباع ، مما ألف هذا الكتاب له من الملح الظّريفة ، والفكاهات الشريفة .

وأولها : سأل السّيد امتع الله ببقائه ، أن أملى جوامع ما جرى بيننا و بين أبي بكر الخوارزمى أعزّه الله من مناظرة مرة ، ومنافرة أخرى ، ومموادعة أولا ، ومنازعة ثانياً ، املاء (٣) يجعل الأسماع له عياناً . فتلقيته بالطاعة ، على حسب الاستطاعة ، ولكن للقضيّة سبب لا تطيب إلاّ به ، ومقدمات لا تحسُن إلاّ معها ، وسأسوق بعون الله صدر حديثنا إلى النجز ، كما يُساق الماء إلى الأرض الجرُز .

وأوّلها : إنّا وطئنا خراسان فما اخترنا إلاّ نيسابور دارا ، وإلاّ جوار السادة جواراً ، لا جرم إنا حططنا بها الرحل ، ومددنا عليها الطُنُب ، وقديماً كُنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ، ونخبر به ونخبره على الغيب فنتعشقه ، ونقدّر أنا إذا وطئنا أرضه ، ووردنا بلده ، يخرج لنا فى العِشْرَةِ عن القشرة ، [وفى المودّة عن

---

(١) كذا فى الأصل سماها التوسع والتدوير وقدطبعت هذه الرسالة بمصرولندن باسم التربيع والتدوير وكذا هى فى فهرس مؤلفات الجاحظ .

(٢) النسخة بتمامها أوردها ابراهيم افندى الأحدب الطرابلسى فى كتابه « كشف المعانى والبيان ، عن رسائل بديع الزمان » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٠ م وبين نسختنا هذه والمطبوع اختلاف كثير نشير إلى بعضه فى أسفل الصفحات فائدة للمطالع .

(٣) فى المطبوع : املاء يجعل السماع له عيانا . فما تلقيته إلا بالطاعة . . . إلا ان للقصة تشبيبا لا تطيب إلا به . . صدر حديثنا الى العجز .

الجلدة] ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الأدب نظمتنا ، وقد قال شاعر القوم غير مدافعٍ :

أجارتنا إنّا غريبان ها هنا　　وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظنّ كل الاخلاف ، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف ، وقد كان اتفق علينا فى ذلك الطّريق [من العرب] إتفاق ، لم يوجبه استحقاق ، فى بَزٍّ بَزوهُ ، وفضة فضّوها ، وذهب ذهبوا به . ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة ، وكيس أخلى من جوف حمار ، وزِيّ أوحش من طلعة المعلّم بل اطّلاعة الرّقيب ، فما حللنا إلاّ قصبة جواره ، ولا وطئنا إلاّ عتبة داره ، هذا بعد رقعة قدمناها ، وأحوال أنس نظمناها . فلما أخذتنا عينه . سقانا الدّردى من أول دَنّهِ ، و [أجنانا] سُوءِ العشرة من باكورة فنه ، من طرف نظر بشطره ، وقيام دفعَ فى صدره ، وصديق استهان بقدره ، وضيف استخف بأمره ، لكنا أقطعناه جانب أخلاقه ، وولیناه خطة رأيه ، وقاربناه إذ جاذب ، وواصلناهُ إذ جانب ، ولبسناه على خشونته ، وشربناه على كدورته ، ورددنا الأمر فى ذلك إلى زِىّ استغنه ، ولباس استرثه ، وكاتبناه نستلين قياده ، ونستميل فؤاده ، ونستقيم منآدَه ، بما هذه نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم . الأستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه ، أزرى بضيفه إذ وجده يضربُ [اليه] آباط القلة ، فى أطمار الغربة ، فأعمل فى ترتيبه أنواع المصارفة (١) ، وفى الاهتزاز له أصناف المضايقة ، من ايماء بنصف الطرف ، واشارة بشطر الكفّ ، ودفع فى صدر القيام ، ومضغ للكلام وتكلّف لردّ السلام . وقد قبلت تربيته صغرا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته بكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آله عذرا . فانّما المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفى هذه الاسمال ، اتقذر صف النّمال . فلو أنّى صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت إن بوادينا ثاغية

---

(١) فى المطبوع : فأعمل فى رتبته . فى المكانين وفى نسختنا هنا : فى ترتيبه وأظنه الصواب . وفى المكان الثانى : فى تربيته صغرا (بالغين المعجمة) واحسبه خطأ

صباح ، وراغية رواح ، وناساً يجرون بالمطارف ، ولا يمنعون المعارف :

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

فلو طوحت بأبى بكر إليهم طوائح الغربة : لوجد منال البشر قريباً ، ومحط الرحل رحيباً ، ووجه المضيف خصيباً .

ورأى الأستاذ أبى بكر أيده الله ، فى الوقوف على هذا العتاب الذى معناه ود ، والمرُّ الذى يتلوه شهد ، موفق إن شاء الله تعالى . فأجاب بما فى نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم : وصلت رقعة سيدى ورئيسى أطال الله بقاءه إلى آخر السكباج (١) ، وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ، ومؤلم عتبه وعتابه ، وصرفت ذلك منه إلى الضجرة التى لايخلو منها من مسه عسر ، ونبابه دهر . والحمدُ لله الذى جعلنى موضع نقسه (٢) ، ومظنة مشتكى ما فى نفسه ، أمّا ما شكاهُ سيدى ورئيسى من مضايقتى إياه كما زعم فى القيام ، فقد وفيته حقه أيده الله سلاماً وقياماً على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه ، ولم أرفع عليه إلا السّيد أبا البركات [العلوى] ، وما كنت لأوثر أحداً على من أبوهُ الرسول (٣) وأمه البتول ، وشاهده التوراة والانجيل ، وناصره التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل . وأمّا القومُ الذين صدر عنهم سيّدى فكما وصف : حسن عشرة ، وسَداد طريقة ، وجمال تفصيل وجملة ، لقد جاورتهم فأحمدت المَراد ، ونلت المُراد :

فان أكُ قد فارقت نجداً وأهله ... فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلمُ نيتى للأحرار (٤) كافّة ، ولسيّدى من بينهم خاصة ، فان أعانى على

(١) السكباج فسره الاحدب بقوله . هو طبيخ يعمل من اللحم والخل والمرق معرب وربما كان أصفر بوضع زعفران ونحوه فيه . (٢) نقسه : النقس محركة الضرب بالناقوس وبالسكون العيب . وفى المطبوع موضع انسه .

(٣) وما كنت لأرفع احداً على من جده الرسول ... وشاهداه ... وناصراه . الخ

(٤) والله يعلم نيتى للاخوان . . . فان اعانى الدهر على ما فى نفسى بلغت اليه ما فى الفكرة . . . وان قطع طريق عشرتى بالمعارضة . الخ .

بعض ما فى نفسى بلغت له بعض ما فيه النية ، وجاوزت به مسافة القدرة ، وإن قطع على طريق عزمى بالمعارضة ، وسوء المؤاخذة ، صرفت عنانى عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار :

وما النفس إلا نُطفة بقرارةٍ إذا لم تكدّر كان صفواً غديرها[1]

وبعد : فحبذا كتاب سيدى إذا استوجبنا عتباً ، واقترفنا ذنباً ، فأما أن يسافنا العربدة فنحن نصونه عن ذلك ، ونصون أنفسنا عن احتماله ، ولست أسومه أن يقول : استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . ولكنى أسأله أن يقول : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

فحين ورد الجواب وعين العذر رائدة تركناه بعرّه ، وطويناه على غرّه ، وعمدنا لذكره فسحوناه عن صحيفتنا ومحوناه ، وصرنا إلى اسمه فأخذناه ونبذناه ، وركبنا خُطته وتجنبنا خَطته[2] فلا طرنا إليه ولا طرنا به . ومضى على ذلك الأسبوع ودبّت الأيام ، ودرجت الليالى ، وتطاولت المُدّة ، وتصرم الشهر ، وصرنا لا نُعير الأيام ذكرهُ ، ولا نودع الصدور حديثه ، وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد ، بألفاظ تقطفها الأسماع من لسانه وتوردها إلىّ ، وكلمات تحفظها[3] الألسنة من فمه وتعيدها علىّ . فكاتبناه بما هذه نسخته :

أنا أردمن سيدى الأستاذ أطال الله بقاءه شرعة ودّه وأن لم تصفُ ، وألبس حلّة بره وإن لم تضفُ ، وقصاراى أن أكيله صاعاً عن مدٍ . فانى وإن كنت فى الأدب دعىّ النّسب ، ضعيف السبب ، سيء المنقلب ، ضيّق المضطرب ، أمتّ إلى عشرة أهله بنيقة ، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقى أن يكون الخليط منصفاً فى الوداد ، إن زرت زار[4] وإن عدت عاد . وسيدى أيده الله ناقشنى فى القبول أولا ، وصارفنى فى الاقبال ثانياً . فأما حديث الاقبال ، وأمر الانزال ،

---

(١) فى المطبوعة : معينها . (٢) وفيها : خلطته . (٣) فى المطبوعة : تقطعها الاسماع . . . وكلمات تخطفها الالسنة . (٤) فى نسختنا : وإن زدت زاد .

فنطاق الطمع ضيقٌ عنهُ ، غيرُ متسع لتوقّعه منه ، و بعد : فكلفة الفضل هيّنة ، وفروض الود متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها بينة ، فلم آختار قعود التغالى مركباً . [وصعود التعالى مذهباً] ، وهلاّ ذاد الطير عن شجر العشرة وذاق الحلو من ثمرها . فقد علم الله تعالى أن شوقى إليه قد كد الفواد برحا إلى برح ، ونكاه قرحا على قرح ، لكنها مِرّة مُرّة ، ونفس حرة ، لم تقد إلا بالإعظام . ولم تلق إلا بالاجلال والاكرام ، و إذا استعفانى من معاتبته وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها ، فليس إلا غصص الشوق أتجرعها ، وحلل الصبر أتدرعها ، وكم اعزه من نفسى[1] وأنا أعلم لو أنى أعرت جناحى طائر لما طرت إلاّ إليه ، ولا وقعت إلا عليه[2] :

أحبك ياشمس المعالى و بدرها وان لا منى فيك السُّها والفراقد
وذاكَ لأنّ الفضل عندكَ باهرٌ وليس لأنّ العيش عندكَ بارد

فلمّا وردت عليه الرّقعة ؛ حشر تلاميذه وخدمه ، وزمّ عن الجواب قلمه ، وحبس للايجاب قدمه[3] ، وطلع مع الفجر علينا . ونظمت حاشيتنا دار الامام أبى الطيب . فقلت : الآن تشرق الحشمة وتنور ، وتنجد فى العشرة وتغور ، وقصدناه شاكرين لما أتاه . وانتظرنا عادة بره ، وتوقعنا مادة فضله ، فكان خلبا شمناه . وآلا وردناه ، وصرفنا الأمر فى تأخره ، وتأخرنا عنه الى ما قال عبدالله بن المعتز :

إنّا على البعاد والتفرق لنَلْتقى بالذكر إن لم نلتقى[4]

وقول آخر وقد أحسن وزاد

أحبّك فى البتول وفى أبيها ولكنّى احبك من بعيد

---

(١) فى المطبوعة : ولم أعره من نفسى . فانا لو اعرت الخ .

(٢) فى المطبوعة وانشدنا قول ابن عصرنا أبى الطيب . إلا أنه أوردهما بعد بيت ابن المعتز الآتى (٣) وفيها : وجشم للايجاف قدمه ، و طلع مع الفجر علينا طلوعه ، ونظمتنا حاشيتا دار الامام ابى الطيب . فقلت الخ .

(٤) فى هامش نسختنا : اى بالجسم

وبقينا نلتقي خيالا ، ونقنع بالذكر وصالا ، حتى جعلت عواصفه تهب ، وعقاربه تدب ، وهو لا يرضى بالتعريض حتى يصرح ، ولا يقنع بالتعاف[1] حتى يعلن ، وأفضت الحال به وبنا معه ؛ إلى أن قال : لو أن بهذا [البلد] رجلاً تأخذه هزة الهمم ، وتملكه أريحية الكرم ، لجمع بيني و بين فلان يعنيني

ثم رأى اذا انجلى الغبار　　أفرس تحتى أم حمار

وودّ [فلان] بوسطاه بل بيمناه لو رحلنا وقلنا فى المناخ له ، وأتى بكلمات تحذو هذا الحذو وتنحو هذا النحو ، وألفاظ أتتنا من علو ، فكان من جوابنا :

بعض الوعيد يذهب فى البيد

وقلنا : الصدق ينبى عنك لا الوعيد

وقلنا : إن أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية .

وقد قال بعض أصحابنا : قلت لفلان لا تناظر فلاناً فانه يغلبك . قال : أمثلى يُغلب وعندى دفتر مجلد ، ووجدنا عندنا دفاتر مجلدة ، وأجزاء مجودة ، وأنشدناه قولُ حجل بن فضالة :

جاء شقيق عارضاً رُمحَهُ　　إن بنى عمك فيهم رماح

هل أحدث الدهر لنا توبة[2]　　أم هل رقت أم شقيق سلاح

وقلنا : انا نقتحم الخطب ، ونوسط الحرب ، فنردها مفحمين ونصدر بلغاء :

وألسنتنا قبل النزيل قصيرة　　ولكنها بعد النزال تطول[3]

* * *

فمن ظن أن قد يُلاقى الحروب　　وأن لا يُصاب فقد ظن عجزا

---

(١) فى المطبوعة : بالنفاق (٢) فى المطبوع : بل احدث الدهر لنا نكبة . البيت

(٣) فى المطبوعة :

وألسنتنا قبل النزال قصيرة　　ولكنها بعد النزال طوال

وبعده ، وقد سقط من نسختنا

فأرضك أرضك إن تأتنا　　تنم نومة ليس فيها حلم

فإنك متى شئت لقيت منا خصما ضخما ، ينهشك قضما ، ويأكلك خضما ، وحملناه على قول القائل :

السلم تأخذ منّا مارضيت به والحرب تأخذ من أنفاسها جُرَع

وقلنا له :

نصحتك فالتمس ياويك غيرى طعاما إنّ لحمى كان مرّا

ألم يبلغك ما فعلت ظباه بكاظمة غداة لقيت عمرا

وجعل الشيطان يثقل بذلك أجفان طرفه ، ويقيم شعرات أنفه :

وحتى ظنّ أنّ الغش نصحى وخالفنى كأنى قلت هجرا

واتفق أن [السيد] أبا على أدام الله عزه نشط للجمع بيننا . فدعانى فأجبت ، وعرض علىّ حضور أبى بكر فطابت ، وقلت هـذه عدّة لم أزل أتنجزها ، وفرصة لا أزال أنتهزها ، فتجشم السيد أبو الحسن أعزه الله مكاتبته يستدعيه ، فاعتذر أبو بكر بعذر فى التأخر . فقلت : لا ولا كرامة للدهر أن نقعد تحت ضيمه ، أو نقبل خسف ظلمه . وكتبت أنا له أشحذ عزمته على البدار ، وألوى رأيه عن الاعتذار ، وأعرفه ما فى ذلك من ظنون تشتبه ، وتهم تتجه ، وتناذير (١) تختلف ، واعتقادات تخلف ، وقدنا اليه مركوبا لنكون قد ألزمناه الحج ، وأعطيناه الراحلة . فجاءنا بطبقة أف ، وعدد تف

كل بغيض طوله أصبع وأنفه خمسة أشبار

مع أصحاب عانات ، وأرباب جرّبانات ، وسرحنا الطرف منه ومنهم فى أحمى من أست النمر ، وأعطس من أنف النغر ، فرأينا رجالا جوفا ، قد حلقوا صوفا ، فأمنا المعرّة ، ولم نخش المضرة .

والمناظرة بينهما يطول ذكرها ، ويعظم قدرها ، ويخرج بها الكتاب عن

---

(١) فى المطبوع : وتصاوير بدل وتناذير وقوله : وعدد تف . فى نسختنا : دلف

حده . ولكنى ألمع منها باليسير ، إذ لو ذكرت جميع المعارضات والمناقضات ، والمبادهة والمواجهة ، لأضعفت على ما كتبت .

فمن ذلك ان البديع قال قلت له : اقترح علىّ غاية مافى طوقك . ونهاية مافى وسعك ، حتى اقترح عليك أربعمائة صنف من الترسل ؛ فان سرتَ فيها برجلين ، ولم أطر بجناحين ، فلك فيها السبق .

مثال ذلك ، أن أقول لك : اكتب كتابا يقرأ جوابه منه : هل يمكنك أن تكتب ؟

أو أقول لك : اكتب كتاباً على المعنى الذى اقترح وأنظم شعراً وأفرغ منهما فراغا واحداً ، هل كنت تمد لهذا ساعداً ؟

أو أقول لك : اكتب كتابا فى المعنى الذى أقول وأنص عليه . وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل ، حتى إذا كتبت ذلك قرىء من آخره إلى أوله وانتظمت معانيه إذا قرىء من أسفله ؛ هل كنت تفوّق لهذا الغرض سهماً ، أو تجيل قدحا ، أو تصيب نجحا ؟

أو قلت لك : اكتب كتاباً إذا قرىء من أوله إلى آخره كان كتابا ، وإذا عكست سطوره مخالفة كان جوابا ، هل كنت فى هذا العمل وارى الزند ؟ قاصد القصد .

أو قلت لك : اكتب كتابا على المعنى الذى اقترح لا يكون فيه معنى متصل من واو تتقدم الكلمة أو منفصل عنها ، بديهة هل كنت تفعل (١) ؟

أو قلت لك : اكتب كتاباً خالياً من الألف واللام ، لا تصبّ معانيه إلا على قالب ألفاظه ، ولا تخرجه عن جهة أغراضه ، هل كنت تقف من ذلك موقفاً مشهوراً ؟ أو يبعثك ربك مقاماً محموداً .

---

(١) فى المطبوعة : كتابا فى المعنى الذى تقترح ، ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء يتقدم الكلمة ، أو دال ينفصل عن الكلمة بديهة ، ولا يجم فيها قلمك

أو قلت لك : اكتب كتاباً أوائل سطوره كلها ميم ، وآخرها جيم ، على المعنى الذى أريد . هل كنت تغلو فى قوسه غلوة . أو تخطو فى أرضه خطوة ؟

أو أقول لك : اكتب كتاباً يخلو من الحروف العواطل ، هل كنت تحظى منها بطائل ؟ [أو تبل لهاتك بناطل] .

أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا قرىء معوجاً ، أو سرد معرجاً ، كان شعراً ، هل كنت تقطع فى ذلك سعراً ؟ بلى والله تصيب ولكن فى بدنك ، وتقطع ولكن من شعر ذقنك .

أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا فسر من وجه كان مدحاً ، وإذا فسر من وجه آخر كان قدحاً ، هل كنت تقدر على هذه العمدة ؟ أو تخرج من هذه العهدة .

أو أقول لك : اكتب كتاباً كنت قد حفظته دون أن لحظته ، هل كنت تثق من نفسك به ؟ بل أست المبانى أعلم .

فقال ابو بكر : هذه الأبواب شعبذة . فقلت : وهذا القول طرمدة ، فما الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها ، حتى أباحثك عن مكنونها ، وأكاثرك بمخزونها ، وأثير فيها قلمك ، واسبر لسانك وفمك . فقال : الكتابة التى يتعاطاها أهل الزمان . فقلت : أليس لا تحسن من الكتابة إلا هذه الطريقة الساذجة ، وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم . المتناول بكل يد وفم ، ولا تحسن هذه الشعبذة . فقال : نعم ! فقلت : هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل ، وأنابلك بهذا النبل ، ثم تقاس ألفاظى بألفاظك ، ويعارض انشائى بانشائك . فاقترح كتابا يكتب فى النقود وفسادها ، وفى التجارات وكسادها ووقوفها ، والبضاعات وانقطاعها ، والأسعار وغلائها .

فكتب أبو بكر بمانسخته ، بسم الله الرحمن الرحيم : الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة ؛ بهما يتوصل إلى جنات النعيم ، ويخلد فى نار الجحيم ، قال الله تعالى : خُذ من أموالهم صدقة تُطهرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إنّ صلاتك

سكنٌ لهم والله سميع عليم . وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناهُ أشد الاكبار ، وأنكرناهُ أعظم الانكار ، لما نراه من الصلاح للعباد ، وننويه من الخير للبلاد ، وتعرّفنا فى ذلك بما يربح الناس فى الزرع والضرع - إلى كلمات لم تعلق بحفظنا . فقلت : إنّ الانكار والاكبار ، والبلاد والعباد ، وجنات النعيم ونار الجحيم ، والزرع والضّرع [1] . قد نبت عن العد ، وزلت عن اليد . وقد كتبتُ كما ترى بما ساوق فيه اللسان القلم ، وسابقت اليد الفم ، ولا أطالبك بمثل ما أنشأت . فأقرأه ولك اليد . وناولته الرقعة فبقى و بقيت الجماعة ، و بُهت و بهتت الكافة

وهذا ما كتب البديع ارتجالا ، بسم الله الرحمن الرحيم : الله شاء إنْ ، المحاضر صدور بها وتملأ ، المنابر ظهور لها وتفرع ، الدفاتر وجوه بها وتمشق ، المحابر بطون لها ترشق آثارا كانت . فيه آمالنا مقتضى على أياديه فى ، تأييده الله أدام الأمر جرى وإذا ، المسلمين ظهور عن الثقل هذا و يرفع ، الدّين اهل عن الكلّ هذا يحبط أنْ فى اليه نتضرّع ونحنُ ، واقفة والتجارات ، زائفة والنقود ، صيارفة اجمع الناس صار فقد ، كريما نظرا الينا لينظر ، شيمه مصابٌ وانتجعنا ، كرمه بارقة وشمنا ، هممه على أمولنـا رقاب وعلقنا ، احوالنا وجوه له وكشفنا ، آمالنا وفود اليـه بعثنا فقد ، نظره بجميل يتداركنا أن ، ونعماءه تأييده و بقاءه الله أدام ، الحال الجليل الأمير رأى ان . وصلى الله على النبى محمد وآله وصحبه وسلم . فجعلت اقرأه منكوساً ، واسرده معكوساً ، والعيون تبرق وتحار . فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر أحد الخصمين ، وقال الناس فقد عرفنا الفاضل من المفضول ، ثم ملنا الى اللغة والعروض والنحو والشعر والحفظ ، فلما برد ضجر الناس وقاموا

---

(١) فى المطبوع : قد نبتت فى المعد . ولم تزل فى اليد . وقد كتبت وكتبت . ولا اطالبك بمثل ما انشأت . (الى ان قال) وبهتت الـكافة . وقالوا لى : اقرأه فجعلت اقرؤه منكوسا ، واسرده معكوسا ، والعيون تزرق وتحار . وكانت نسخة ما انشأناه : بسم الله الخ .

يفدونى بالأمهات ، و يشتمون الفرس المنبت" (١) ، وقام ابو بكر فغشى عليه [وقمت اليه] فقلت :

يعزّ عليّ فى الميدان أنى ... قتلت مناسبى جلداً وقهرا

ولكن رمت شيئاً لم يرمه ... سواكَ فلم اطق ياليت صبرا

وخرجت وقد اجتمع الناس . فتلقونى بالشفاه تقبيلا ، و بالأفواه تبجيلا ، وانتظروا خروجه الى أن غابت الشمس فلم يظهر . حتى خفره اللّيل بجنوده ، وخلع عليه الظّلام خلع بروده (٢)

رجع الى ما انقطع : كان بمصر شريف من ولد العباس يعرف بأبى جعفر الشق ، شبيه بابن الجصّص فى الغفلة والجد والنعمة . قال ابو القاسم بن محمّد التّنوخى : بعثنى أبى إليه من قرية تعرف بتلا يستقرضه عشرة أرادب قمحاً وثلاثين زوج بقر ، وكتب معى بذلك رقعة ، فأتيت اليه وسلمت عليه ودفعت اليه الرقعة . فقال : ذكرت أباك بخير وحرسه واسعده . فهو صاحبى وصديقى وخليطى ، واين هو الآن ؟ قلت : بقرية تلا أعزّ الله سيدى الشريف . قال : نعم ! حفظه الله هو بالفسطاط معنا وقد انقطع عنا كذا ما كنت أظنه إلا غائباً . قلت : لا ياسيدى هو بتلا . قال : فمالكَ ما قلت لى ؟ فما كان سبيله أن يونسنى برقعة من قبله . قلت : ياسيدى قد دفعت اليكَ رقعته . قال : وأين هى ؟ قلت : تحت البساط فأخذها وقرأها وقال قل لى الآن : كان لكَ أخٌ أعرفه حار الرأس حاد الذهن يُحسن النحو والعُروض والشعر فما فعل الله به ؟ قلت : أنا هو أعزك الله . قال : كبرت كذا ، وعهدى بكَ تأتينى معه وأنت بزقة مخطة لعقة قردلاش قلت : نعم !

---

(١) فى المطبوعة : وقاموا عن المجلس يفدونى بالامهات والاب ، ويشيعونه باللعن والسب (٢) الكلمات التى تقدمت بين مربعين هى من المطبوعة ، وقد تركنا ألفاظا وجملا اختصرها الحصرى قصدا . ومن احب الوقوف على ما دار بينهما من جميع المناظرة فعليه بالنسخة المطبوعة .

أيدَّ الله الشريف . قال : وما الذى جئت فيه . قلت له : والدى بعثنى اليكَ برقعة يسألك فيها قرض عشرة أرادب قمحا وثلاثين زوج بقر . قال: وهو الآن بالفسطاط؟ قلت : لا ياسيدى هو بتلا . قال : نعم! و إنما ذاك الفتى أخوك ؟ قلت: لا أنا هو ، فهو يراجعنى الكلام ، وقد ضجرت من شدة غفلته وكثرة نسيانه لما أقولُ له حتى أقبل كاتبه أبو الحسين . فقال له : سل هذا الفتى ما أراد . فسألنى فعرفته فأخبرهُ. فقال له : نفذ له حاجته فوقّع لى الكاتب بما أراد . وقال : تلقانى للقبض بالديوان ، فشكرت الشريف ونهضت. فقال : اصبر يابنى فقد حضر طعامنا وقدم الطعام وفيه حصرميّة غير محكمة ، فرفع يده وقال : مثل مطبخى يكونُ فيه مثل هـذه علىّ بالطبّاخ ، فأتى فقال له ماهـذا العمل ؟ فقـال : يا سيدى إنما أنا صانع وعلى قدر ما أعطى أعمل ، وقد سألت المنفق يشـترى لى ما أحتاج اليه فتأخر عنى فعملت على غير تمكن فجاء التقصيرُ كما ترى . فقال : علىّ بالمنفق فأحضر . فقال : مالى قليل ؟ قال : لا ياسيدى بل عندك نعم واسعة . قال : فما لك تضايقنا فى النفقة ولا توسع كما وسع الله علينا . قال : يا سيدى انما أنفقُ ما أعطى وقد سألت الجهبذ أن يدفع لى فتأخر عنى . فقال : علىّ بالجهبذ فأتى به. فقال: مالك لم تدفع للمنفق شيئا. قال : لم يوقع لى الكاتب. فقال للكاتب: لمَ لم تدفع إليه شيئا ؟ فتلعثم فى الكلام ولم يكن عندهُ جواب . فقال للكاتب : قف هاهنا فوقف ، ووقف خلفه الجهبذ ، ووقف خلف الجهبـذ المنفق ، وخلف المنفق الطبـاخ . وقال : نفيت من العباس إن لم يصفع كل واحد منكم من يليه بأكثر ما يقدر عليه فتصافعوا . قال : فخرجت وأنا متعجب من غباوته ورقته فى هذا الحكم .

ودخل عليه كاتبه أبو الحسين فوجده يبكى بكاءً شديداً ، ويقول : واانقصام ظهراه ، واهلاكاه . فقلت : ما للشريف لا أبكى الله عينه ؟ فقال : ماتت الكبيرة ـ يريد أمه ـ وكان باراً بها . فقلت : ماتت ؟ قال : نعم ! فشققت جيبى وأظهرت من الجزع ما يجب لمثلى ، ثم انى أنكرت الحال إذ لم أجد لذلك دليلاً ،

لا أحد يعزيه . ولا فى الدار حركة ، فبقيت حائراً حتى أتت الخادمة . فقالت : الكبيرة تقرئك السلام وتقول لك إيش تأكل اليوم ؟ قال : قولى لها ، ومتى أكلت قط بغير شهوتك . فقلت : يا سيدى والكبيرة فى الحياة ؟ فقال : وإيش تظن أنها ماتت من حق ؟ إنما رأيت البارحة فى المنام كأنها راكبة على حمار مصرى تسقيه من النيل ، فذكرت قول الشاعر : اذا ذهب الحمار بأم عمرو . البيت المشهور .

وقال ابو الحسين كاتبه : وأتيت اليه يوماً وقد ماتت والدتى فعرفته فبكى ، وقال : ماتت كبيرتى ومربيتى . وهو كان أكبر منها بأربعين سنة . ثم قال لغلامه : يا بشر قم فجئنى بعشرين ديناراً فأتاه بها . فقال : خذها فاشتر بعشرة دنانير كفناً وتصدق بخمسة دنانير على القبر ، وأقبل بصرف الخمسة الباقية فيما يحتاج اليه من تجهيزها . ثم قال لغلام آخر : امض أنت يا لؤلؤ الى فلان صاحبنا لا يفوتك يغسلها . فاستحييت منه . وقلت : يا سيدى أبعث خلف فلانة جارة لنا تغسلها . قال : يا أبا الحسين ما تدع عقلك فى فرح ولا حزن كأنّ حرمك ما هى حرمى ؟ كيف يدخل عليها من لا تعرفه . قلت : نعم ! تأذن لى بذلك . قال : لا والله مايغسلها إلا فلان ! فقلت : وكيف يغسل رجل امرأة قال : وإنما أملك امرأة والله لقد أنسيت

وكان يوماً عند أبى بكر المادرانى ثم خرج وهو طيب الخلق ، فاجتاز بابن زنبور ، فسمع خفق أوتار وغناء فى داخل الدار فوقف يسمع ، فرآه غلام لابن زنبور فدخل فأعلم مولاه فخرج حافياً . وقال : يا مولاى الشريف تشرفنى بالدخول قال: نعم ! فدخل فقدم له طعاماً فأكل وشرب ثلاثة أقداح وغنى ثلاثة أصوات وانصرف ، فنام ليلته فلما أصبح . قال : يا بشرى جئنى الساعة بأبى شامة العابر ، فأتاه به فقال : رأيت البارحة كأنى خرجت من دار اخوانى فاجتزت بدار حسنة فسمعت خفق العيدان ، وغناء القيان ، فخرج الى صاحب الدار فأدخلنى فأفضيت

الى بستان فى الساحة ، أمامه نهر جليل ، فى صدره شاذروان . وقد فرش المجلس بأنواع الديباج المثقل ، وضربت شارة فيها غرائب الصور وعجائب الصنائع ، وفيها قيان بأيديهنّ العيدان وهن يغنين أحسن الأغانى ، فقدم لى خوان عليه من كل الألوان فأكلت وشربت وغنيت وانصرفت ، ففسر له الرؤيا على مايسره . فأمر له بخمسة دنانير ، ثم مر بعد أيام بابن زنبور وهو جالس على باب داره . فقال له : يا سيدى الشريف ما تشرفنى بعودة . قال : الى ماذا ؟ قال تثنى الى عادة حضورك . قال : ومتى تقدم لى ذلك ؟ قال : ليلة كذا . قال : و إنما خدعنا العابر وأخذ متاعنا بالباطل امضوا اليه وردوا الخمسة دنانير منه ، ثم فكر ساعة . وقال : دعوه لعله أنفقها وهو فقير .

وشرب مرة أخرى عند ابن زنبور الكاتب ومعه ابن المادرانى ، وحضر القيان فغنين أطيب غناء ، فقام الشريف الى قضاء الحاجة فأتت دابة ابن المادرانى فانصرف والشريف فى الخلاء فقضى حاجته وعاد الى موضعه ، وكان ابن زنبور لما انصرف أبو بكر رجع فى دسته ، فالتفت اليه الشريف . وقال : يا أبا بكر هذا الكلب ابن زنبور عنده مثل هذا السماع الطيب ولا يمتعنا به كل وقت ، إنما يدعونا من مدة الى مدة . فقال له ابن زنبور : هو على قدر ما يتفق له من الفراغ وهو مشتغل مع سلطانه فى أكثر أيامه . قال : لا والله ! ما هو إلا كلب تجلب فاعل صانع . فقال له : أعزالله الشريف أبو بكر انصرف وأنا ابن زنبور. فقال له: اعذرنى والله ما ظننتك إلا ابن المادرانى ؟ فقال : أراك تشتمنى غائبا وحاضرا .

وقال له بعض أصحاب الأخشيد : أحب أن تبكر الىّ بالغداة فى حاجة للأمير أيده الله ، وذكر الحاجة . فقال : أنا آتيك أول الناس كلهم ، فمضى وأكل وشرب أقداحا ونام القائلة فاستيقظ بالعشى ، فقام مذعورا فلبس ثيابه وركب الى الرئيس فاستأذن عليه فدخل . وقال : اعذرنى أعزك الله فقد ضربنى النوم والله ما صليت

الصبح من السرعة ، ولقد آثرت المجىء اليك عليها وأنا أستغفر الله عليها ، فضحك حتى استلقى . وقال له : قد احتجنا الى تأخير الأمر الى الغد إن شاء الله . قال : فانا أبكر اليك على كل حال وانصرف .

***

قال بعض الرواة : خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبنى سعد، فاذا أعرابية نائمة فأنبهناها للصلاة ، فأتت الماء فوجدته باردا فتوجهت الى القبلة قاعدة ولم تمس الماء فكبرت ثم قالت : اللهم قمت وأنا عجلى . وصليت وأنا كسلى ؟ فاغفر لى عدد الثرى ، قال فعجبنا وقلنا : ما تجوز لك الصلاة وماهذه بقراءة . قالت : والله إن هذه لصلاتى منذ أربعين سنة. وقام أعرابى وقد حضرت الصلاة فقال حى على العمل الصالح قد قامت الفلاح ثم تقدم فكبر. وقال: اللهم احفظ لى حسبى ونسبى ، وأردد على ضالتى ، واحفظ هملى، والسلام عليكم . وصلت أعرابية فى شهر رمضان فقرأ الامام السجدة فسجد وسجدت الناس ، فخرجت تحضر وتنادى : صعق الناس ورب الكعبة ، وقامت القيامة ! ! وقام أعرابى يصلى وخلفه قوم جلوس . فقال : الله أكبر أفلح من هب الى صلاته ، وأخرج الواجب من زكاته ، وأطعم المسكين من نخلاته ، وحافظ على بعيره وشاته . فضحك القوم. فقال: أمن هينمتى ضحكتم ؟ أشهد عند الله على عمتى أنها سمعت ذلك من فى مسيلمة .

وقف أعرابى يسأل فقال له رجل: يا أعرابى هل لك فى خير مما تطلب؟ قال: ما هو ؟ قال: أعلمك سورة من القرآن . فقال: لا والله إنى لأحسن ما إن عملت به لكفانى ؟ أحسن منه خمس سور ، فاستقرأته فقرأ : الحمد ، والنصر ، والكوثر ، وسكت . فقلت : هذه ثلاث فأين الاثنتان ؟ قال : إنى وهبتهما لابن عمى وعلمته إياهما ولا والله لا أرجع فى شىء أبدا . دخل أعرابى الحمام فلما أحس بوهجه أنشأ يقول :

أدخلت فى بيت لهم مهندس قد ضربوه بالرخام الأملس

فسكّ سمعى واستطار نفسى وقلت فى نفسى بالتوسوس
أدخلت فى النار ولما أرمس

وقال أعرابى فى الطلى بالنورة :

أناس عليهم كسوة لا تجنهم سرابيل خضر ليس فيها بنائق
يبيعهموها تاجر لا يقيلهم ببيعهم تلك السرابيل حاذق

وقال أبو الفتح كشاجم :

ومجرد كالسيف أسلم نفسه بمجرد يكسوه مالا ينسج
ثوبا تمزقه الأنامل رقة ويذوب من نظر العيون ويبهج
فكأنه لما استقل بجسمه نصفان ذا عاج وذا فيروزج

* * *

وهب سليمان بن أبى جعفر لأعرابى كساء شامية ، فلما أتى أهله وأبصره صبيانه تطايروا فزعا من بين يديه ، وقالوا : لقد أصابت أبانا داهية فأنشد :

طرحت عمامتى ولبست تاجا على عنقى له ذنب طويل
تصايح صبيتى لما رأوه وقالوا جاء سعلاة وغول

قيل لأعرابى : اتعرف أبا عمرة — يريد الجوع ؟ — قال : وكيف لا أعرفه وهو متربع على كبدى . وقيل لآخر أتتخمون ؟ قال : وما التخمة إن كانت التى يدور منها الرأس فما تفارقنا يريد الجوع . ومر أعرابى بمرآة ملقاة فى مزبلة فنظر وجهه فيها فاذا هو سمج بغيض ، فرمى بها . وقال : ما طرحك أهلك من خير . ونظر مزيد فى المرآة وجهه فرآه قبيحا . فقال : الحمد الله ! الذى لم يحمد على المكروه سواه . والشىء يذكر بما قار به ، رأى الحطيئة وجهه فى بئر فقال :

أرى لىَ وجها قبح الله خلقه فقبّح من وجه وقبّح حامله

ولهذا خبر ذكرت الرواة : أن الزبرقان بن بدر آستعدى على الحطيئة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال هجانى بقوله :

دَع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

فقال عمر : ما أرى هذا هجاء ، وكان أعلم بذلك من كل أحد ولكنه أراد درء الحدود بالشبهات . فقال الزبرقان : هذا حسان بن ثابت . فقال : عليّ بحسان فأنشده الشعر . فقال : ماهجاه يا أمير المؤمنين ولكن سلح عليه ، فأحضر الحطيئة . وقال : هاتم الشفرة أقطع لسانه ، فاستشفع فيه فحبسه فكتب اليه من الحبس :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر
غادرت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر هداك مليك الناس ياعمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت لها الأثر

فبكى عمر وأحضره . فقال : قد والله يا أمير المؤمنين هجوت أبى وامرأتى وأمى . قال : وكيف ذلك ؟ قال قلت لأبى :

ولقد رأيتك فى المنام تسومنى وأنا بنيك فساءنى فى المجلس

وقلت لأمى :

تنحى فاجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سراً وكانونا على المتحدثينا

وقلت لامرأتى :

أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لكاع

واطلعت فى بئر فرأيت وجهى قبيحاً فقلت :

أبت شفتاى اليوم إلاّ تكلما بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها قبح الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

فتبسم عمر . وقال : فان عفونا عنك أتهجو بعدها أحداً ؟ قال: لا يا أمير المؤمنين ، وعلىّ بذلك عهد الله ! فقال : لكأنى بفتى من قريش قد نصب لك نمرقة فاتكأت عليها ، وأقبلت تنشده فى أعراض المسلمين . قال : أعوذ بالله يا أمير المؤمنين . قال بعض الرواة : فوالله لقد رأيته عند عبيد الله بن زياد على

الحال التى ذكر عمر ، فقات له : لكأنّ أمير المؤمنين عمر كان حاضراً لك اليوم ، فتأوه . وقال : رحم الله ذلك المرء فما أصدق فِراسته .

***

ومن مليح ماقيل فى مرآة ، قول كشاجم يصف مرآة أهداها :

أخت شمس الضحى فى الشكل والاشـــراق غير الإعشاء للأجفان
ذات طوق مشرّف من لجين   أجريت فيـه صفرة العقيان
فهو كالهالة المحيطة بالبـد   ر لستٍّ مضين بعد ثمان
وعلى ظهرها فوارس تلهو   بزاة تعدو على غزلان
لك فيها إذا تأملت فأل   حسن مخبر بنيـل الأمانى
لم يكن قبلها فى الماء جرم   حاضر نفسـه بغير أوان
هى شمس فإن مثالك يوماً   لاح فيها فأنتما شمسان
فالقها منك بالذى ما رآه   خائف فانثنى بغير أمان

وقال ابن المعتز :

مبينتى لى كل مارمت نظرة   وناصحتى مع فقد كل صديق
يقابلنى منها الذى لاعدمته   بلجة ماء وهو غير غريق

أشار فى البيت الأول إلى قول ذى الرمة وذكر ناقته :

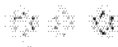
لها أذن حشر وذفرى أسيلة   وخد كمرآة الغريبة أسجح

يريد أن الغريبة لاناصح لها ، فهى تجلوا مرآتها وتحافظ عليها . وقال أبو الحسن ابن يونس المصرى يصف غلاماً :

يجرى النسيم على غلالة خده   وأرقّ منـه مايمر عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه   فعكست فتنة ناظريه إليه

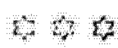
وأهدى بعض الكتاب الى رئيسه مرآة . فقال : من أين وقع اختيارك عليها ؟ قال : لتذكرنى بها كلما نظرت الى وجهك الحسن . وقالت امرأة سقراط له : ماأقبح

وجهك . قال : لولا أنك من المرايا الصديئة لتبين لك حسن وجهي . وكانت امرأته كثيرة الأذى له ، أقبلت يوما تشتمه وهو ملحٍّ ينظر في كتاب ولا يلتفت اليها ، وهي تغسل ثوبا فأخذت الغسالة وأراقتها عليه . فقال : مازلت تبرقين وترعدين حتى امطرت . ولما مضى به ليقتل ، أقبلت تبكي وتصيح وامظلوماه . فقال: أكان يسرك أن أقتل ظالما ؟ ومر هو وغيره من الحكماء بامرأة مصلوبة فقال: ليت يثمر لنا مثل هذا الثمر .



سرق حمار أبي العيناء فتخلف عن أبي الصقر . فقال له : ماخلفك عنا يا أبا عبد الله ؟ قال : سرق حماري . قال وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك قال: مامنعك أن تأتينا على غيره . قال : أقعدني عن الشراء قلة ذات يساري ، وعن الكراء ذلة المكاري ، وعن الاعارة منة العواري . وقيل له : مابقي أحد يحب أن يلقى . قال : إلا في بئر ! وذكر له ولد عيسى بن موسى ، وكانت انوفهم كبارا معوجة . فقال : كأن أنوفهم قبور نصبت على غير القبلة . ونظر مخنث رجلا كبير الأنف فيه شعر . فقال : كان أنفه كنيف مملوء شسوعا . قال ابو حاتم السجستاني: قدم علينا أعرابي كأن أنفه كوز في عظمه ، فضحكنا منه . فقال : أتضحكون من أنفي ؟ وأنا والله ماسمى في قومي إلا الأفطس . وقال محمد بن عبد الملك الزيات في عيسى بن زينب :

إن عيسى أنف أنفه أنفه ضعف اضعفه
لو تراه وهو في السر ج وقد مال بعطفه
لحسبت الأنف في السر ج وعيسى مثل ردفه



قال أبو العيناء لابنه وهو مريض: أي شيء تشتهي؟ قال: اليتم. وكان في مجلس اسماعيل بن اسحاق القاضي، فدخل رجل ومشى على رجله فصاح . فقال : بسم الله!

قال : القصاب يذبح و يقول بسم الله . وكان يوما على بابه فمر به رجل فسلم عليه وقام يمشي معه . فقال : لاتعن ياأبا عبد الله . فقال : ماعنا من أبعدك عن داره . وقال له المتوكل : لاتكثر الوقيعة فى الناس. قال : إن لى فى بصرى لشغلا . قال : ذاك أشد لحنقك على أهل العافية. وقال له المتوكل يوما : هل رأيت طالبيا قط حسن الوجه ؟ قال : ياأمير المؤمنين مارأيت أحدا يسأل أعمى عن هذا ! ! قال : لم تكن ضريرا فيما سلف ، و إنما سألتك عمّا تقدم . قال: نعم ! رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى مارأيت أجمل منه ، ولا ألطف شمائل . فقال المتوكل : تجده كان مؤاجرا وكنت تقود عليه . فقال أبو العيناء : معاذ الله ياأمير المؤمنين أتراني أترك موالى . وأقود على الغرباء . فقال له المتوكل : اسكت يامأبون . فقال له: مولى القوم منهم . وكان ولاء ابى العيناء لابى العباس . فقال المتوكل: قاتله ! الله أردت أن اشتفي منه فاشتفى منى . وقال له مرة: كيف أصبحت ياأبا عبد الله ؟ قال: فى داء يتمناه الناس. قيل له: وكم سنك؟ قال: قبضة . يريد ثلاثا وتسعين سنة ، و يقال : إن جده الأكبر لقى على بن أبى طالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمي ، فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب . وكان قبل العمى أحول . قال : ذكرت لبعض القينات فاستظرفتني واستحسنتني على السماع ، فلما رأتنى استقبحتني فقلت لها:

وشاطرة لما رأتني تنكرت ... وقالت قبيح أحولٌ ماله جسم
فان تنكرى منى آحولالا فإننى ... أريب أديب لاغبيّ ولا فدم

فقالت : أنا لم أردك لأوليك ديوان الزمام .

وهذا مجلس له مع المتوكل من طريق الصولى ، وله مجالس يدخل الرواة بعضها فى بعض . قال الصولى حدثنى ابو العيناء قال : أدخلت على المتوكل فدعوت له وكلمته فاستحسن كلامى . وقال : بلغني أن فيك بذاء . قلت : ياأمير المؤمنين إن يكن الشر الذى بلغك عنى ، ذكر المحسن باحسانه ، والمسىء باساءته فقد ، زكى الله تعالى وذم . فقال : نعم العبد إنه أواب . وقال : هماز شاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم . وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهله ولم أذمم الجنس اللئيم المذمّما
ففيم عرفت الخير والشر باُسمه وشق لى الله المسامع والفما

و إن كان الشر الذى بلغك عنى كفعل العقرب الذى تلدغ النبى والذمى بطبع لا بتمييز ، فقد صان الله عبدك عن ذلك . قال : بلغنى أنك رافضى. قال : وكيف أكون رافضيا و بلدى البصرة ، ومنشئى فى مسجد جامعها ، وأستاذى الاصمعى . وليس يخلو القوم إن كانوا أرادوا دينا أو دينا ، فان كانوا أرادوا الدين فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا و إيمان من كفروا . وان كانوا أرادوا الدنيا فأنت وآباؤك امراء المؤمنين لادين إلا بكم ، ولا دنيا إلا معكم. قال: فكيف ترى دارى هذه ؟ قال: رأيت الناس بنوا دارهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك . قال : فما تقول فى عبدالله بن يحيى ؟ قال : نعم العبد لله ولك يقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة . قال : قد أردتك لمجالستى . قال : انا رجل محجوب ــ وقد تقدم هذا ــ قال : فوصلنى بعشرة آلاف درهم .

وكان نجاح بن سلمة قد ضمن الحسن بن مخلد وموسى بن عبـد الملك بمال عظيم للمتوكل ، فاحتال عبد الله بن يحيى حتى تضمناه بذلك وعاد عليه الأمر ، ثم اغتاله موسى بن عبدالملك فقتله، فبلغ الأمر بالمتوكل فأكبره وهم بالايقاع بموسى فتلطف عبيد الله بن يحيى وعمه الفتح بن خاقان حتى سكن غضبه ، واتفق ذلك فى ولادة المعتز فاشتغل باللهو والسرور بذلك ، فدخل أبو العيناء بعـد ذلك على المتوكل . وكان واجدا على موسى بن عبد الملك ؟ فقال : ما تقول فى نجاح بن سلمة ؟ قال ما قاله الله عز وجل : فوكزه موسى فقضى عليه . واتصل ذلك بموسى فلقى عبيد الله بن يحيى . فقال : أيها الوزير أردت قتلى فلم تجد حيلة إلا ادخال ابى العيناء على أمير المؤمنين مع عداوته لى ، فعاتب عبيد الله أبا العيناء على ذلك . فقال : ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سريرته فيك ، فأمسك عنه . ثم دخل

بعد ذلك على المتوكل . فقال له : كيف كنت بعدى ؟ فقال : فى أحوال مختلفة خيرها رؤيتك ، وشرها غيبتك . فقال : قد والله اشتقتك : قال : إنما يشتاق العبد ربه لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيد متى أراد عبده دعاه . فقال له : من أسخى من رأيت ؟ قال ابن أبى دواد . فقال له المتوكل : تأتى الى رجل قد رفضته فتنسبه الى السخاء . قال : إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس فى موضع أنفق منه فى مجالسك ، و إن الناس يغلطون فيمن ينسبونه الى الجود ، لأن جود البرامكة منسوب الى الرشيد ، وجود الحسن والفضل ابنى سهل منسوب الى المأمون ، وجود ابن ابى دواد منسوب الى المعتصم ، واذا نسبت الناس الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء فذاك سخاؤك يا أمير المؤمنين . قال : صدقت! فمن أبخل من رأيت ؟ قال : موسى بن عبد الملك . قال : وما رأيت من بخله ؟ قال : رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد، و يعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة . قال : قد وقعت فيه عندى مرتين وما أحب ذلك لك فالقه واعتذر اليه ، ولا يعلم أنى وجهت بك . قال : يا أمير المؤمنين تستكتمنى بحضرة ألف . قال : لن تخاف . قال : على الاحتراس من الخوف ، وسار الى موسى فاعتذر كل واحد منهما الى صاحبه وافترقا عن صلح ، فلقيه بعد أيام بالجعفرى فقال له : يا أبا عبد الله قد اصطلحنا فما لك لا تأتينا ؟ قال : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس . قال موسى : ما أرانا إلا كما كنا . وقال له المتوكل : ابراهيم بن نوح النصرانى واجد عليك . فقال : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقال له : إن جماعة الكتاب يلومونك . فقال :

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضباناً على لئامها

ووقف به رجل من العامة فأحس به . فقال: من هذا ؟ قال : رجل من بنى آدم . قال : مرحبا بك أطال الله بقاءك و بقيت فى الدنيا ، ما أظن هذا النسل إلا قد انقطع . وزحمه رجل على حمار بالجسر ، فضرب بيده على آذان الحمار . وقال : يا انسان قل للحمار الذى فوقك يقول الطريق . وسئل أبو العيناء عن مالك بن

طوق . فقال : لو كان فى بنى اسرائيل ونزل ذبح البقرة ماذبح غيره . قيل : فأخوه عمر؟ قال : كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . قيل : فما تقول فى محمد بن مكرم والعباس بن رستم ؟ قال : هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من نفعهما . وقال له ابن مكرم : إن ابن السكلبى تعجبه الرائحة الخبيثة. قال : ياسيدى لو وجدك لترشفك . ودعا ضريرا يعشيه فلم يدع شيئا إلا أكله . فقال له : يا هذا دعوتك رحمة ، فصيرتنى رحمة . وقدم إليه أبو عيسى بن المتوكل سكباجة ، فجعل لا تقع يده إلا على عظم . فقال : جعلت فداك هذه قدر أو قبر؟ وهذا كما ذكر ابن طباطبا العلوى وقد دعاه بعض اخوانه فتأخر عنه الطعام إلى أن اشتد به الجوع ، ثم قدم إليه جديا هزيلا فقال(١) :

يادعوة مغبرة قاتمه ... كأنها من سفرة قادمه
قد قدموا فيها مسيحية ... أضحت على إسلامها نادمه
و بعد شطرنجية لم تزل ... أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزل فى لعبها ساعة ... ثم رفعناها على قائمه

---

(١) فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى خبر طريف لهذه الدعوة . قال : ومن جيد ماقيل فى ذم الدعوة ، قول ابى الحسن بن طباطبا وقد دعاه الكراريسى فقرب اليه مائدة عليها خيار وفى وسطها جامات عليها قطر ولم يصحبها بوارد فسماها مسيحية ، لأنها اشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام عارية فسماها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة فى غضارة بيضاء فسماها معقدة لأن البياض لبس المعقد وهى لاتمس الدهن والطيب ، ثم زيرباجة بأطراف جدى صفراء لعلة زعفرانها فسماها عابدة لأن الوان العباد صفر . ثم قدم لونا بقضبان محلولة فسماها قنية ، ثم قدم لونا بزبيب اسود فسماها موكبية ثم قلية بعظام الاضلاع فسماها حسكية لتشنج لحمها ، ثم قرب زعفرانية فسماها سلحية صفراء ، ثم قرب فالوذجة قليلة الزعفران والحلاوة فسماها صابونية ، ثم اعتل على الجماعة بان ابنه عليل فخولهم من منزله الى بستان قد طبق بالكراث . واحضر لهم جرة مثلمة يمزجون فيها شرابهم ، واذا ضرب احدهم

وكرر الأرز ، فقال :

أرزٌّ جاء يتبعه أرزّ ... هو الإيطاء يتخذ اتخاذا

فإيطاء القريض كما علمنا ... وإيطاء الطعام يكون هذا

فدعا الرجل جماعة من الشطرنجيين . وقال : تعالوا حتى تروا الشطرنجية ، فكتب اليه :

ورقعة كنا رفعناها ... نشرتها لمّا طويناها

أعددت للعاب شطرنجها ... لو أمكن القمر قمرناها

والله لو أحضرتها زيريا ... ماميز الفرزان والشاها

* * *

والإيطاء تكرار القوافى بتكرار معانيها . كقول امرئ القيس :

عظيم طويل مطمئن كأنه ... بأسفل ذى ماوان سرحة مرقب

وليس بإيطاء ، قول الأمير أبى الفضل عبيد الله الميكالى :

وكل غنىً يتيه به غنىّ ... فمرتجع بموت أو زوال

وهب جدّى طوى لى الأرض طرًّا ... أليس الموت يزوى ما زوى لى

وقوله :

أخوك مَن إنْ كنت فى بؤسى ونعمى عادلك

الغائط نقلها معه ، وربط الأكار بحذائهم عجلة تخور عليهم خوارا شبيها بغناء فاطمة. فقال : (وذكر الأبيات وهى قصيدة طويلة) اقتصر المصنف منها هنا على هذه الاربعة، ولم يذكر العسكرى الأرز . ثم قال ان الكراريسى لما سمعها حلف لايدخل ابا الحسن ولا احدا من اصحابه داره ، واتخذ دعوة دعا قوما من الشطر نجيين . فقال ابو الحسن : إنما دعاهم لينظروا فى الشطر نجية التى كنا نفضناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة؟ وكتب اليه من وقته ابياتا منها :

طمعت يا احمق فى قمرها ... لو أمكن القمر قمرناها

فان اقاموها فما ذنبنا ... كنا على ذاك نقضناها

وإن بداك منعمًّا بالبرِّ منه عادلك

وقوله :

جامل الناس فى المزا ح وخلّ المزاحمَهْ
وتفاصح وقل لمنْ يتعاطى المزاح مَهْ ؟

***

وعلى ذكر الطعام . قال الجماز : جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العفاة ، ثم جاءنا بشراب كأنه دمعة اليتيم على باب القاضى .

قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال ابن الرومى — يصف طعاماً أكله عند أبى بكر الباقطانى :

وسميطة صفراء دينارية ثمنا ولونا زفها لك حذور
عظمت فكادت أن تكون أوزّة وهوت فكاد أهابها يتفطّر
ظِلْنا نقشّر جلدها عن لحمها وكأنّ تبراً عن لجين يُقشّر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد مثل الرياض بمثلهنّ يُصدّر
ومدقّقات كلهنّ مزخرف بالبيض منها ملبس ومدثّر (١)
وأتت قطائف بعد ذاك لطائف ترضى اللهاة بها ويرضى الحنْجُر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها دُمُعُ العيون من الدهان تعصر

ومن ملح ماقيل فى القطائف ، قول على بن يحيى بن منصور بن المنجم :

قطائف قد حشيت باللوز والسكر الماذى حشو الموز

---

(١) فى ديوانه النسخة العتيقة التى بدار الكتب المصرية رقم ١٣٩ ادب . ملسن ومدثر . وفى ديوان المعانى : ملبس ومدثر ، وقوله : ضحك الوجوه . البيت هذا التصحيح من نسخة ديوانه وكذا فى ديوان المعانى وفى نسختنا

ضحك الوجوه من الزبرجد فوقها دمع العيون من الددان يقصر

والطبرزد : السكر وربما قالوا : طبرزذ

تسبح فى آذى دهن الجوز سررت لمّا وقعت فى حوزى
سرور عبّاس (١) بقرب فوز

ولم يقل أحد فى اللوزينج أحسن من قول ابن الرومى :

لا يخطئنى منك لوزينج إذا بدا أعجب أو أعجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها إلا أبت زلفاه أن يحجبا
لو شاء أن يذهب فى صخرة لسهّل الطيب له مذهبا
يدور بالنفخة فى جامه دوْراً ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبراً مستحسن ساعدَ مستعذبا
مستكثف الحشو ولكنه أرقّ قشراً من نسيم الصبا
كأنما قدَّت جلابيبه من أعين القطر إذا قبّبا
يخال من دقة خرسانه (٢) شارك فى الأجنحة الجندبا
لو أنه صوّر من خبزه ثغر لكان الواضح الأشنبا
من كل بيضاء يود الفتى أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة زرقاء مدفونةٍ شهباء تحكى الأزرق الأشهبا
ملَذُّ عين وفم حسّنت وطيِّبتْ حتى صبا من صبا
ذِيقَ له اللوز فما مرّة مرَّت على الذائق إلا أبى
وانتقد السكر نقّاذُهُ وشاوروا فى نقده المذهبا
فلا إذا العين رأته نبتْ ولا إذا الضرس علاه نبا
لا تنكروا الادلال من وامقٍ وجّه تلقاكمُ المطلبا

---

(١) عباس : هو ابن الاحنف الشاعر . وفوز صاحبته

(٢) كذا فى الأصل . وفى ديوانه : يخال من رقة خسر شايه . ولم اهتد الى معناه . والبيت الذى يليه فى ديوان المعانى هكذا :

لو أنه ثغر لرومية لكان منه الواضح الأشنبا

هذه الأبيات يقولها فى قصيدة طويلة يمدح بها أبا العباس احمد بن محمد ابن عبيد الله بن بشر المرثدى ويهنيه بابن له ولد أولها :

بدر وشمس ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبا

وقال ابو عثمان الناجم : دخلت على أبى الحسن وهو يعمل هذه القصيدة . فقلت له : لو تفاءلت لأبى العباس بسبعة من الولد ، لأن عباس يجىء منكوسا سابع ، فلو تصور ذلك لجاء المعنى ظريفاً . فقال بديهاً :

وقد تفاءلتُ له زاجراً كنيته لازاجراً ثعلبا
إنى تأملت له كنية إذا بدا مقلوبها أعجبا
يصوغها العكس أنا سابع وذاك فال لم يعد معطبا
وقد أتاه منهمُ واحد فلننتظر ستّة غيّبا
فى مدة تعمرها نعمة يجعلها الله له ترقبا (١)
حتى تراه جالسا بينهم أجلّ من رضوى ومن كبكبا
كالبدر وافى الأرض من نوره بين نجوم سبعة فاختبا
وليشكر الناجم عن هذه فانها من بعض ما بوّبا
أسدى وألحمت فتى لم أزل أشكر ما أسدى وما سبّبا

وقال يصف الرؤس والرغفان (٢) :

ما إن رأينا من طعام حاضر نعتده لفجاءة الزوّار

---

(١) قوله : ترقبا فى ديوانه : ترتبا والبيت الأخير فى ديوانه هكذا :
أسدى والحمت اخ لم ازل احمد ما سدى وما سبيا

(٢) فى ديوانه : يصف الرؤس وارغفة الحوارى وأتى بالأبيات هكذا :
ما إن علمنا من طعام حاضر نعتده لفجاءة الزوار
كمهيئين من الطعام فيهما شبه من الابرار والفجار
هام وأرغفة وضاء فخمة قد أخرجا من جاحم فوار

كهيئين من الطعام أصبحا   شبهها من الأبرار والفجار
روس وأرغفة ضخام فخمة   قد أخرجت من جاحم فوار
كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا   مقرونة بوجوه أهل النار

ومن تشابيهه العقم :

ما أنس لا أنس خبازا مررت به   يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة   وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلاّ بمقدار ما تنداح دائرة   فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وكان ابن الرومى منهوماً فى المآكل وهى التى قتلته ، وكان معجباً بالسمك ، فوعده أبو العباس المرثدى أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا يقطعها فبعث ، إليه منه يوم سبت ثم قطعه فكتب إليه :

ما لحيتاننا جفتنا وأنّى   أخاف الزائرون منتظريهم
قد أزحنا اعتلالهم وجعلنا   سبتهم جمعة فما يشكيهم (١)
جاء فى السبت زورهم فأتينا   من حفاظ عليهم ما يكفيهم
وجعلناه يوم عيد عظيم   فكأنّا اليهود أو نحكيهم
وأراهم مصممين على الهجـر فلم يسخطون من يرضيهم
قد سبتنا فما أتين وكانوا   يوم لا يسبتون لا تأتيهم

فاتصل ذلك بالناجم فكتب اليه :

ابا حسن أنت من لا تزا   ل يحمد فى الفضل رجحانه
فكم تحسن الظن بالمرثدى   وقد قلّل الله إحسانه
ألم تدر أن وعده كالسرا   ب إذا وعد الخير إخوانه
وبحر السراب يفوت الطلوب   فقلّ فى طلابك حيتانه

(١) هذا البيت من ديوانه . وقوله : قد سبتنا فما أتينا وكانوا . فى ديوانه . قد سبتنا وإنما كان قوم . البيت

وخرج ابن الرومى مع بعض إخوانه فى حداثته إلى بعض المتنزهات ، وقصدوا كرماً رازقياً ، فشربوا هناك عامة يومهم ، وكانوا يتهمونه فى الشعر. فقالوا: إن كان ما تنشدنا لك فقل فى هذا شيئاً فقال: لا تريموا حتى أقول ثم أنشد بديهاً :

ورازقى مخطف الخصور ... كأنه مخازن البلّور
قد ضمنت مسكاً إلى الشطور ... وفى الأعالى ماء وردجورى
لم يبق من وهج الحرور ... إلاّ ضياء فى ظروف نور
لو أنه يبقى على الدهور ... قُرّطِ آذان الحسان الحور
بلا مزيد وبلا شذور ... له مذاق العسل المشور (١)
وبرد مسّ الخصر المقرور ... ونكهة المسك مع الكافور
ورقة الماء على الصدور ... باكرته والطير فى الوكور
بفتية من ولد المنصور ... أملأ للعين من البدور
حتى أتينا خيمة الناطور ... قبل ارتفاع الشمس للذرور
فانحط كالطاوى من الصقور ... بطاعة الراغب لا المقهور (٢)
والحر عند الحلب المشطور ... حتى أتانا بضروع ضُوُر
مملوءة من عسل محصور ... والطل مثل اللؤلؤ المنثور
ينساب مثل الحية المذعور ... بين سماطى شجر مسطور
ناهيك للعنقود من طهور ... فنيلت الأوطار فى سرور

(١) فى ديوانه : بلا فريد وبلا شذور . والشذور : حبه . ولم يتبين لى معنى المزيد أو الفريد . والشطور الأربعة فى ديوانه هكذا :

ونكهة المسك مع الكافور ... ورقة الماء على الصدور
وبرد مس الخصر المقرور ... باكرته والطير فى الوكور

(٢) فى ديوانه :

فانقض كالطاوى من الصقور ... بطاعة الراغب لا المجبور

وكل ما يقضى من الأمور تعلّة من يومنا المنظور
ومتعة من متع الغرور

قال الناجم : جلست معه على باب داره وقد أبلّ من علة، فمر بنا الحاجب . فقال : قوما عندى نتحدث اليوم ، وعندى مصوص وأشياء لطيفة لا تضرك وأشرب مع أبى عثمان بحضرتك ونتآنس يومنا . فقال : إنا نأتيك الساعة وابو عثمان فامض ونحن فى أثرك ، فمضى ولحقناه فحجب عنا ، فانصرفنا وأبو الحسن مغضب ، فدخلت على أبى الحسن فى ذلك اليوم ، فوجدت بين يديه قصيدة طويلة جدا أولها :

نجاك يا ابن الحاجب الحاجب وأين ينجو منى الهارب

فعجبت من سرعة عمله . وقلت : أعزك الله متى عملتها ؟ قال : الساعة . قلت : وأين مسودتها ؟ قال : هي هذه . قلت : وما فيها حرف مصلح . قال : قد استوت بديهتى وفكرتى ، فما أعمل شيئا فأ كاد أصلحه .

وكان سبب موته أنه كان منقطعاً الي القاسم بن عبيد الله بن وهب ، وكان القاسم مغرماً بشعره مستظرفا له محسنا اليه . فقال له أبوه : قد أردت أن أرى مَنْ روميك هذا ؟ فأحضره وحضر أبوه فلما انفض المجلس . قال له : كيف رأيته ؟ قال أرى مايسوءنى ولا يسرنى ، أرى رجلا صحيح الشعر سقيم العقل ، ومثل هذا لاتؤمن بوادره ، وأقل غضبة يغضبها تبقى فى أعراضنا مالا يغسله الدهر ، والرأى ابعاده . قال : وكيف ذلك بعد اتصاله ، أخاف أن يظهر ما أضمره . قال : يا بنى اتبع فيه قول أبى حية :

يقلن لها فى السر هديك لا يُرَحْ صحيحا وإلاّ تقتليه فألمم

فأخبر القاسم بقول أبيه ابن فراس . وكان أشد الناس عداوة لابن الرومى . فقال : إنما أشار عليك باغتياله ، وأنا اكفيك أمره ، فسم له لوزينجة وقدم له الجام وهى فى أعلاه ، فلما تناولها أحس بالموت ونهض قائما . فقال له : الى أين

يا أبا الحسن ؟ قال : الى حيث أرسلتنى . قال : اصرفوه فقد غلب عليه السكر ، فخرج وهو لما به ، فلقى الناجم فقال :

أبا عثمان أنت عميـد قومك وجودك للعشيرة دون لومك
تمتّع من أخيـك فما أراه يراك ولا تراه بعد يومك

وكان شديد التغير ، سريع الانقلاب ، ضيق الصدر ، قليل الصبر ، مفرط الطيرة غاليا فيها ، وكان عظيم التخوف ، كثير التجسس ، يراه من يلقاه كالمتوجس المذعور . ذكر بعض أصحابه . قال : كنت أسايره ونحن سائرون ، فلم أنشب أن تراءيته قد ترجل عن دابته بسرعة ، ولجأ إلى بعض الدكاكين وأسلم الدابة. فأمرت من أمسكها وأتيت إليه . فقلت : ما بالك يا أبا الحسن ؟ وإذا هو يضطرب اضطرابا شديدا ، فأمسكت عنه حتى سكن وقام فركب الدابة. فقلت له : ما الذى هاجك ؟ قال : أما ترى ذاك ، وإذا برجل من العامة يحمل ذو بينا ـ وهى عصا فى طرفها حديد ـ بشعبتين . فقلت : أراه . فقال : أو ما ترى البركار الذى بيده ، ما يؤمننى أن يلويه على عنقى فيقتله .

وحكى عنه : أنه سأل الموفق أو غيره فى قدح محكم رآه فأعجبه فوهبه إياه . قال بعض إخوانه : وكنت معه وقد خرج من دار السلطان فوضعه على رأسه ثم أزاله بسرعة ثم وضعه على ركبته ثم رمى به فكسره . فقلت له : ما هذا الخاطر الفاسد ؟ قال : وصل إلىّ هـذا القدح وما على وجه الأرض أحب إلى منه ، فوضعته على أشرف أعضائى ! ثم ذكرت قول بعض الحكماء : إن الصاعقة إذا قابلت الشىء الشفاف انحدرت إليه ، فخفت أن تقع على صاعقة فتهلكنى ، ثم وضعته على ركبتى فخفت أن تصدمنى دابة فينكسر فيدخل فى جسمى فيكون سبب علة مزمنة ، وخفت أن يكون الذى دعانى إلى طلبه ما أراده الله بى ، فرأيت الراحة فى كسره .

وكان ابو الحسن على بن سليمان الأخفش غلام ابى العباس المبرد فى أيام ابن

أبى أوفى شاباً مترفا ، وأديبا مستظرفا ، وكان يعبث به فيقرع عليه الباب . فيقال له : من بالباب ؟ فيقول : قولوا لابى الحسن مرة بن حنظلة ، فيتطير لقوله و يقيم أياماً لا يخرج من داره . وكان ذلك سبب هجائه إياه . وقرع عليه الباب يوما وقيل إن البحترى وجه اليه من قرع عليه بابه . فقال: من هذا ؟ فقال : سخطة الحى القيوم ، والمهل والغسلين والزقوم ، والشيطان الرجيم ، وكل بلاء كان أو يكون إلى يوم الدين . فأقام مدة لم يخرج ، فسأل عنه الموفق . فقيل هو فى حبس البحترى .

وتخلف أياماً عن بعض الأشراف بسبب طيرة عرضت له ، فبعث إليه غلاما جميلا فقرع الباب . فقيل من ؟ قال: إقبال ، فخرج فرأى وجها مستحسن الصورة حسن الهيئة . فقال له : مولاى يرغب فى حضورك ، فمشى معه ثم توجس و بقى باهتا مطرقا لاينصرف ، ثم مشى قليلا فلما قارب الجسر انفتل بسرعة شديدة ثم مضى على وجهه إلى داره فأغلق الباب على نفسه ، وكتب إلى الرجل : تخلفت أطال الله بقاءك عن حظى من لقائك لاعدمته . لى أياما وأنا أتقلى على جماجم الضجر، بما جرى به القدر ، من كلام سمعته وأمر توقعته ، فأتانى غلام جميل إسمه إقبال . فقلت : هذا حسن ، فخرجت معه ثم فكرت أن إقبالا إذا نكس كان لابقاء . فقلت : هذا من ذاك ، فمشيت معه مقدما رجلا ومؤخراً أخرى حتى صرت بالجسر، فرأيت حبالا مفتولة قد التوت فصار كل واحد منها فى صورة لام الف . فقلت : هذه تحقق ماظننت من لابقاء بقولها : لا لا ، فما حصلت فى الدار . إلا بعد خوف مضى المقدار ، فابسط العذر فى التأخر والسلام .

وقال على بن ابراهيم كاتب مسرور البلخى : كنت بدارى جالسا بباب الشعير على أسرة نصبت لى فى صحن الدار ، فاذا حجارة قد سقطت علىّ فبادرت هاربا وأمرت الغلام بالصعود إلى السطح والنظر إلى كل ناحية من أين تأتينا ؟ فقال لى : امرأة من دار ابن الرومى الشاعر قد أشرفت وقالت : اتقوا الله فينا واسقونا جرة من الماء و إلا هلكنا ، فقد مات مَنْ عندنا عطشا ، فتقدمت إلى امرأة عندنا

ذات عقل ومعرفة بأن تصعد إليها وتخاطبها ففعلت . و بادرت بالجرة وأتبعتها بشيء من المأكول . ثم عادت وقالت : ذكرت المرأة أن الباب مقفل عليها منذ ثلاث بسبب طيرة ابن الرومى ، وأنه يلبس ثيابه كل يوم و يتعوذ ثم يصير إلى الباب والمفتاح بيده ثم يضع عينه على ثقب فى خشب الباب فتقع على جار له كان نازلا بأزائه وكان أعور يقعد كل غداة على بابه ، فاذا رآه رجع وخلع ثيابه . وقال : لا يفتح أحد الباب ، فعجبت من حديثها . و بعثت بخادم لى كان يعرفه فأمرته بأن يجلس بأزاء بابه ، وكانت العين تميل اليه . وتقدمت إلى بعض غلمانى أن يدعو الجار الأعور ، فلما حضر عندى أدى الغلام إلى ابن الرومى رسالتى يستدعيه الحضور ، فانى لجالس وعندى الأعور إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسى ومعه برذعة الموسوس صاحب المعتضد ، ودخل ابن الرومى فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فانقطع شسع نعله فدخل مذعوراً ، وكان إذا فاجأه الناظر رأي منه منظرا يدل على تغير حاله ، فدخل وهو لا يرى جاره المتطير منه . فقلت له : يا أبا الحسن مالك ؟ أيكون شيء فى خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ونظرك إلى وجهه الجميل . فقال : قد لحقنى ما رأيت من العثرة لأنى فكرت أن به عاهة وهى قطع أنثييه . فقال : برذعة وشيخنا يتطير ؟ قلت نعم ! و يفرط . قال : ومن هو ؟ قلت : ابو الحسن ابن الرومى . قال : الشاعر ؟ قلت : نعم ! فأقبل عليه وأنشده :

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه ... بتفريق ما بينى و بين الحبائب
رجعت على نفسى فوطّنتها على ... ركوب جميل الصبر عند النوائب
ومن صحب الدنيا على جور حكمها ... فأيامه محفوفة بالمصائب
فخذ خلسة من كل يوم تعيشه ... وكن حذرا من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر الفأل والزجر واطّرح ... تطيّر دار أو تفاؤل صاحب

فبقى ابن الرومى باهتا ، ولم أدر أنه شغل قلبه بحفظ ما أنشده ، ثم قام أبو حذيفة و برذعة معه ، فحلف ابن الرومى أن لا يتطير أبدا من هذا ولا من

غيره ، وأومأ الى جاره . فقلت : وهذا الفكر أيضا من التطير ، فأمسك وعجب من جودة الشعر ومعناه فى حسن مأتاه . فقلت له : ليتنا كتبناه . فقال : اكتبه فقد حفظته ، وأملاه على .

ومن الدليل على شدة حذره ، وعظم تطيره ، قوله لأبى العباس احمد بن محمد ابن ثوابة ، وقد ندبه الى الخروج وركوب دجلة (١) :

حضضت على حطبى لنارى فلاتدع ... لك الخير تحذيرى شرار المحاطب
ومن يلق مالاقيت من كل مجتنىً ... من الشوك يزهد فى الثمار الأطايب
اذاقتنى الأسفار ما كرَّهَ الغنى ... الىّ وأغرانى برفض المطالب
ومن نكبة لاقيتُها بعد نكبة ... رَهِبْتُ اعتساف الأرض ذات المناكب
وصبرى على الإقتار أيسر محملا ... علىّ من التغرير بعد التجارب
لقيت من البر التباريح بعدما ... لقيت من البحر ابيضاض الذوائب
سقيت على رِىّ به الف مَطرةٍ ... شُغفتُ لبغضيها بحب المجادب
ولم أسقها بل ساقها لمكيدتى ... تحامق دهر جدّ بى كالملاعب
أبى أن يغيث الارض حتى اذا ارتمت ... برحلى أتاها بالغيوث السواكب
سقى الارض من أجلى فأضحت مزلّة ... تمايل صاحيها تمايل شارب
فملتُ الى خانٍ مرثٍ بناؤه ... مميل غريق الثوب لهفان لاغب
فما زلت فى خوف وجوع ووحشة ... وفى سَهَر يستغرق الليل واصب
يؤرقنى سقف كأنى تحته ... من الوكف تحت المدجنات الهواضب
تراه اذا ماالطين أثقل متنه ... تصر نواحيه صرير الجنادب
وكم خان سَفْر خان فانقضّ فوقهم ... كما انقض صقر الدجن فوق الأرانب
ومازال صاحى البر يضرب أهله ... بسوطَىْ عذابٍ جامد بعد ذائب

---

(١) مطلعها كما فى ديوانه :

دع اللوم انّ اللوم عون النوائب ... ولا تتجاوز فيه حدّ المعاتب

فذاك بلاءُ البر عندى شاتيا ... وكم لىَ من صيف به ذى مثالب
ألا ربَّ نار بالفضاء اصطليتها ... من الضح يودى لفحها بالحواجب
فدع عنك ذكر البر إنى رأيته ... لمن خاف هول البحر شر المهاوب
وما زال يبغينى الحتوف موار با ... يحوم على قتلى وغير موارب
فطورا يغادينى بلصّ مصلّت ... وطوراً يمسينى بوِرْدِ المشارب
وأمّا بلاءُ البحر عندى فإنه ... طوانى على روع مع الرَّوح واقب
ولو ثاب عقلى لم أدع ذكر بعضه ... ولكنّه من هوله غير ثائب
ولم لا ولو ألقيت فيه وصخرة ... لوافيت منه القعر أول راسب
ولم أتعلّم قط من ذى سباحة ... سوى الغوص والمضعوف غير مغالب
فيسر إشفاقى من الماء أننى ... أمر به فى الكوز مرّ المجانب
وأخشى الردى منه على نفس شارب ... فكيف بأمنيه على نفس راكب
أظل اذا هزّته ريح ولألأتْ ... له الشمس أمواجا طِوال الغوارب
كأنى أرى فيهن فرسان بهمة ... يليحون نحوى بالسيوف القواضب
فان قلت لى قد يركب اليمّ طاميا ... ودجلة عند اليم بعض المذانب
لدجلة خبٌّ ليس لليم إنها ... ترائى بحلم تحته جهل واثب
والبحر إنذار بعرض متونه ... وما فيه من آذيّه المتراكب

⁂

قيل لقينة : صوم يوم عرفة كفارة ذنوب سنة ، فصامت الى الظهر وأفطرت . فقيل لها : ماهذا ؟ قالت : يكفينى ستة أشهر . قعد رجل على باب داره فأتاه سائل يسأله . فقال له : اجلس ، ثم صاح بجارية عنده فقال : ادفعى الى هذا مكوكا من حنطة : قالت : مابقى عندنا حنطة . قال : فاعطيه درهما. قالت: مابقى عندنا دراهم. قال : فأطعميه رغيفا. قالت : وماعندنا رغيف ، فالتفت اليه وقال : انصرف يا ابن الفاعلة . فقال السائل : سبحان الله تحرمنى وتشتمنى . قال : أحببت أن تنصرف

وأنت مأجور . و رأى أعرابي الناس بمكة وكل واحد يتصدق و يعتق ماأمكنه . فقال : يارب أنت تعلم أنه لامال لى ، وأشهدك أن امرأتى طالق لوجهك يا أرحم الراحمين . وكان فى زمن المهدى رجل ادعى النبوة فأحضروه الى المهدى . فقال له : ماأنت ؟ قال : نبي . قال : الى من بعثت ؟ فقال له : ماأكثر فضولك ايش عليك . قال : قل و إلا أمرت بقتلك . قال : بعثت إلى أهل خراسان . قال : ولم لم تسافر إليهم ؟ قال : ما معى نفقة ، فضحك منه وأمر له بنفقة . وقال : هذا قد غلبت عليه المرة .

وجاء رجل إلى أبى ضمضم يستعدى على رجل فى دابة اشتراها منه وظهر بها عيب . فقال له ابو ضمضم : وما عيبها ؟ قال : فى أصل ذنبها مثل الرمانة ، وفى ظهرها مثل التفاحة ، وفى عجيزتها مثل الجوزة ، وفى بطنها مثل الموزة ، وفى حلقها مثل الاترنجة . فقال له ابو ضمضم : مر عنّا يابارد ، هذه صفة بستان ليست بصفة دابة .

شرب ابن حمدون النديم مع المتوكل وبحضرته غلام مليح الوجه ، فتأمله ابن حمدون تأملا شديدا وقد حمل الشراب عليه . فقال المتوكل : ياابن حمدون ماالحكم فى الرجل اذا نظر الى غلام فتى ؟ قال : أن تقطع أذنه . قال ليحكم عليك بحكمك ، فأمر أن تعرك أذنه حتى تخضر ثم تقطع ، وأمر بنفيه الى بغداد . فلقيه اسحاق ابن ابراهيم الموصلى بها فسأله عن حاله ، وعمن ينادم المتوكل معه . فقال : أحد ندمائه ابن عمرو البازيار ، فسأله اسحاق عن محله من العلم والفهم . فقال له : أكثر مايقول للخليفة . أبقاك الله ياأمير المؤمنين الى يوم القيامة و بعد القيامة بشىء كثير . فقال له اسحاق : اعمل على أنه كان لك كر أذان فقطعت . أليس ذلك أسهل من حضور مجلس تقاسى فيه ابن عمرو البازيار .

وكان ابن حمدون فأخف الناس روحا وأحلاهم دعابة ، وكان المتوكل يستملحه . فقال يوما : الزئبق من أين يجاء به ؟ فقال ابن حمدون : من الشيز وأنا أعرف

الناس بها . قال : قد وليتك إياها فاخرج اليها ، فضاقت به الدنيا، وأنشده :

ولاية الشيز عزل والعزل عنها (١) ولايهْ
فولّنى العزل عنها إن كنت بى ذا عنايهْ

فضحك المتوكل وأعفاه . وذكر الصولى أن أخاه احمد عمل له البيتين .

٭ ٭ ٭

دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه . فقال : إن من حق نعمة الله عليك لما قد أهّلك له فى هذه الحال الذى أنت عليها ، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة اليك ، فبقضاء الحاجات تدوم النعم . فقال محمد : أما إنى أعرفك فضولياً كثير الكلام ، وترى أنّ طول لسانك يمنع من أن أدبك اذا زللت ، وأمر به الى الحبس . فكتب اليه من الحبس: قد علمت أن الحبس لم يكن تقدم اليك ولكنك أحببت أن تريني مقدار قدرتك علىّ لأن كل جديد يستلذ . ولا بأس أن تريني من عفوك مثلما أريتنا من قدرتك ، فأمر باطلاقه . وانقطع عنه مدة فلقيه ، فحبس محمد بن عبد الملك دابته عليه . فقال : مالى لا أراك يا أبا عبد الله تواصلنا حسب إيجابنا لك . فقال له أبو العيناء : أما المعرفة بعنايتك فمنا كرة ، ولكننى أحسب الذى جدد استبطاءك فراغ حبسك ممن كان فيه ، فأحببت أن تغمرنى فيه .

وكان محمد بن عبد الملك على علمه وأدبه ألأم الناس ، فمن عجيب لؤمه أنه كان له جار فى انخفاض حاله وكان بينهما ما يكون بين الجيران من التباعد ، فلما بلغ محمد ما بلغ شخص الرجل الى سر من رأى فورد بابه وهو يتغدى ، فوصل اليه وهو على طعامه فتركه قائماً لا يرفع طرفه اليه ، فلما فرغ من أكله . قال : ماخبرك ؟ قال قد أصارك الله أيها الوزير الى أجلّ الآمال فيك ، وصرف أعناق الناس

---

(١) فى الأصل : عنه فى المكانين والتصحيح من المعجم لياقوت . وقد حكى ياقوت عن ابى دلف مسعر بن مهلهل الشاعر وجود معدن الذهب فى الشيز .

اليك ، وقد علمت ما كنت تنقمه عليّ وقد غير الدهر حالى فوردت اليك مستقيلا عثراتى ، مستعطفا على خلاتى . فقال له : قد علمت هذا فانصرف وعد اليّ فى غدٍ ، فولى الرجل . فلما صار فى صحن الدار دعا به ، فلما صار بين يديه . قال له : والله مالك عندى شىء ، ثم أقبل على بعض من كان بين يديه . فقال : إنما رددته وآيسته بخلا عليه بفسحة الأمل بقية يومه . وهذا كقول بعضهم :

إن قلت إنك كالسحاب لكان ذا وصفاً لمثالك زائدا فى الحال
إنّ السحاب لذو مواعد جمّة وبخلت بالموعود والأفعال

وكان محمد بن عبد الملك : واحدا فى صناعته ، مفردا فى براعته .

٭ ٭ ٭

وكان أبو السمراء العلاء بن عاصم بن عصمة العسكرى نديم عبد الله بن طاهر يأنس به ، ويجاريه الشعر فكتب اليه :

تقول لمّا جعلت أبكى سلوه بالله ممّ يبكى ؟
فقلت أبكى لما أراه عمّا قليل يكون منك
قالت فلا تخش قلت مالى قلبٌ على الدهر يأتمنك
لا غرنى الدهر منك ودٌّ قالت ولا غرنى التبكى

فوقع ابن طاهر فى ظاهرها بديها :

لا أشتكى من هواك إلاّ إليك لو ينفع التشكى
حلفت جهد اليمين أنْ لا أزول إلاّ اليك عنك
كلفتنى السعى فى طريق وعن قليل الأنيس ضنك
فرعت [بى] فى إسار قلبى ثم تشاغلت عند فكى (١)

ومن جيد شعره فى جارية توفيت له :

يقول لى الخلان لو زرت قبرها فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر

(١) فى الأصل :
فرحت فى أسار قلبى ثم تشاغلت عند فكى

على حين لم أحدث فأجهل فقدها ولم أبلغ السنّ التى معها صبر

وهذا مأخوذ من قول أبى مسلم عبد الرحمن بن سلم ، فى فصل من كتاب كتبه الى عبد الله بن على عند محاربته إياه ، لما خلع أبا جعفر المنصور : ولأبدلنك[1] موارد ضيقة ، حتى أبدلك بالحلاوة علقما تمج من تمطقها دماً ، أمنت صولتى ، وقد كبرت عن صغر ، وصغرت عن كبر ، فأنا كما قال الأول :

وهل يخشى وعيد الناس إلاّ كبير السن والضرع الصغير

قال ابن حمدون النديم : أهدى إلينا محمد بن عبد الملك — ونحن بالبدندون — شرابا عتيقا وكتب رقعة فيها :

ما إن ترى مثلى أخاً أندى يدا وأدرّ جودا
أسقى الصديق ببلدة لم يسق فيها الماء عودا
صفراء صافية كأنّ على جوانبها العقودا
فان استقل بشكرها أوجبت بالشكر المزيدا
فاذا خشيت على الصنيعة بالتقادم أن تبيدا
أنشئت أخرى غيرها فتركتها غضاً جديدا
خذها إليك كأنما كسيت زجاجتها فريدا
واجمل عليك بأن تقيم بشكرها أبدا عهودا

وكان المعتصم : أمر بأن يعطى الواثق عشرة آلاف درهم ، يستعين بها على أمره و يصلح بها ما يحتاج الى إصلاحه ، فدافعه بذلك مدافعة متصلة أحوجته الى شكايته الى المعتصم ، فأنكر عليه تأخر المال . فقال : يا أمير المؤمنين العدل أولى بك وأشبه بقولك وفعلك ، ولك عدّة أولاد أنت فى أمرهم بين خلتين ؛ إمّا أن تسوى بينهم فى العطية فتجحف ببيت المال ، و إما أن تخص بعضهم فتحيف على الباقين . فقال : قد رهنت لسانى فما تصنع ؟ قال : تأمر لباقى ولدك باقطاعات

---

(١) كذا . ولعله : ولأوردنك. أو هناك سقط فى العبارة

وصلات وتطلق لهارون صدرا من المال ، فأدافعه بباقيه ويتسع الأمير قليلا وتدبر الأمر بعد ذلك بما تراه . فقال له : وفقك الله فما زلت أعرف الصواب فى مشورتك ، وتأدى الخبر الى هارون ، فحلف بعتق عبيده ومماليكه ، وبحبس عدة خيل ، ووقف عدة ضياع ، وصدقة مال جليل ، لئن ظفر بمحمد ليقتلنه . وكتب اليمين بخطه وجعلها فى درج وأودعها دايته ، ومرت مدة وأفضى الأمر الى هارون . وكان ذا أناة وعقل وكره أن يعاجله فيقول الناس بادر بشفاء غيظه ، ثم عزم على الايقاع به ، فتقدم بأن يجمع له من وجوه الكتاب من يصلح لولاية الدواوين والوزارة فجمعوا ، ودعا بواحد منهم . وقال له : اكتب كذا فى أمر رسمه له ، فاعتزل وكتب وعرض الكتاب عليه فلم يرضه حتى امتحن الجميع ، فأمر حاجبه فقال : أدخل مَن الملك مضطرّ إليه محمد بن عبد الملك . فجىء به وهو واجم مضطرب ، فلما وقف . قال له : اكتب الى صاحب خراسان فى كذا وكذا . فأخرج من كمه نصفا ومن خفه دواة وابتدأ يكتب بين يديه حتى فرغ من الكتاب ، ثم أخرج خريطة فيها حصا فأترب الكتاب وأصلحه وتقدم فناوله إياه ، فوجده قد أتى على جميع ما فى نفسه ، فأعجب به جدا . وقال : اختمه فأخرج من الخريطة طينا فوضعه عليه وتناوله فختمه وأنفذه من ساعته . فقال الواثق لخادم له : امض الى دايتى وقل لها توجه الىّ بالدرج الفلانى ، فمضى الخادم فجاء به فأخرج الرقعة فدفعها اليه . فقال : يا أمير المؤمنين أنا عبد من عبيدك . إن وفيت بيمينك فأنت محكم ، وإن كفّرت وصفحت كان أشبه بك . قال : لا والله ! ما يمنعنى من الوفاء بيمينى إلاّ النفاسة على أن يخلو الملك من مثلك ، وأمر بعتق من حلف بعتقه ، ووقف الضياع ، وحبس الخيل ، وأنفذ صدقة المال .

وقد فعل أبو شجاع فناخسرو قريباً من هذا بأبى اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى ، وذلك أنه كان بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه الديلمى (1) بن عمر بن

(1) كذا فى الأصل ولم يستقم لى المعنى

أبى شجاع و بين بختيار منافسة بالرياسة ، فلما خلع الفضل بن جعفر وهو المطيع لله وأقيم ابنه أبو بكر عبد الكريم الطائع لله سنة أربع وستين وثلاثمائة استولى علي جميع أموره فناخسرو وصار اليه تدبير المملكة وليس للخليفة سوى الاسم . وقتل بختيار ومحى أمره فأحضر أبو شجاع عضد الدولة أبا اسحاق . وقال : قد علمت ما كنت تعاملنى به من قبيح المكاتبة ، وقد أحفظنى ذلك ودعانى إلى قتلك ، فرأيت قتلك من الفساد فى الأرض إذ كنت مقدما فى صناعتك ولكن لاتعمل لى عملا . واستصفى أمواله وحبسه وولى ديوان الانشاء مكانه أبو منصور بن المرزبان الشيرازى وكان غاية فى البلاغة والفصاحة وحسن آلات الكتابة .

وكتب أبو اسحاق من الحبس إلى بعض إخوانه : نحن فى الصحبة كالنسرين لكنى واقع ، وأنت طائر وعلى الطائر أن يغشى و يراجع . وزاره أبو الفرج الببغاء الشاعر زورة ثم قطعه ، فكتب إليه :

أبا الفرج اسلم وأبق وأنعم ولا تزل ... يزيدك صرف الدهر حظاً إذا نقص
مضت مدة أشتام ودك غاليا ... فارخصته والبيع غال ومرتخص
وآنستنى فى محبسى بزيارة ... شفت قرماً من صاحب لك قد خلص
ولكنها كانت كحسوة طائر ... فواقا كما يستفرص السادة الفرص
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسى ... وعادك عيد من تذكرك القفص
من المنسر الأشفى ومن حزة المدى ... ومن بندق الرامى ومن قصّة المقص
ومن صعدة فيها من الريق لهذم ... لفرسانكم عند الطعان بها مغص
فهذى دواهى الطير وقيت شرها ... إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص

فأجابه أبو الفرج :

أيا ماجدا قد تمم المجد ما نكص ... و بدر تمام قد تكامل ما نقص
ستخلص من هذا السرار وأيّما ... هلال توارى فى السرار فما خلص
بدولة تاج الملّة الملك الذى ... له فى أعالى قبة المشترى حصص

تقنصت أنصافى وما كنت قبل ذا　　أظنّ بأن المرء بالبر يقتنص
و بعد فلا أخشى تقنّص جارح　　ورأيك لى وكر وقلبك لى قفص

وقال أبو اسحاق الصابى :

جملة الانسان جيفه　　وهيولاه سخيفـــه
فلماذا ليت شعرى　　قتل النفس الشريفه
إنمـا ذلك فيـــه　　قـدرة الله اللطيفه

وقال :

واحق من نكـبته　　بالصفر من درجاته
مَنْ مجده من غـيره　　وسفاله من ذاته

أخذه من قول سقراط ، وقد مر به بعض الملوك فركله برجله . وقال : قم ! فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت إليه . فقال الملك : أما عرفتنى ؟ قال : لا ! ولكن أرى فيك طبع الكلاب فهى تركل بأرجلها ، فغضب . وقال : أتقول لى هذا وأنت عبدى . فقال : لا ! بل أنت عبدى . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن شهواتك ملكتك وأنا ملكتها . قال : فانى الملك بن الأملاك السادة ، ولنا كذا وكذا ألف فيل ، وكذا وكذا ألف مركوب ، وأقبل يعدد عليه ما يملكه من العروض والجواهر والعقار . فقال : اراك تفخر علىّ بما ليس من جنسك ، و إنما سبيلك أن تفخر على بنفسك ، ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعاً ثوبا من ماء فى هذا اليم ونتكلم ، فحينئذ يتبين الفاضل من المفضول ، فانصرف خجلا .

واهدى الصابى إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان اصطرلابا بقدر الدرهم ، وكتب معه وكان حينئذ معتقلا :

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا　　فى مهرجان جـديد أنت تبليـه
لكنّ عبـدك ابراهيم حين رأى　　سموّ قـدرك عن شىء يساميه

لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد   أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

فرضى عنه وأخرجه من السجن .

وقال الصابى لأبى القاسم اسماعيل بن عباد الصاحب :

الله حسبى فيك من كلّ ما   يعوذ العبد به المولى

وأسلم وعش لازلت فى نعمة   أنت بها من غيرك الأولى

* * *

قال مزيد : لامرأته ، أنت غير شفيقة على ، ولا راعية لى . فقالت : والله لأنا أرعى بك من التى كانت قبلى وأشفق . قال : أنت طالق ثلاثا لقد كنت آتيها بالجرادة فتطبخ لى منها أربعة ألوان وتشوى جنبيها . فدعته الى القاضى فجعل القاضى يطلب له المخرج فقال : أصلحك الله ! لاعليك ان أشكلت المسألة فهى طالق ثلاثين . قال محمد بن حرب : أتيت بمزيد وامرأة ورجل أصيبا فى بيته وأنا على شرطة المدينة ، فحبسته وخليت سبيلهما ، ثم دعوت به وقلت : ما خبرك؟ قال أطلقتم الزوج حمام وحبستم الزاجل . وكان أبو حبيب مضحك المهدى يحفظ نوادر مزيد و يحكيها له فيصله . فقال له مزيد : بأبى أنت أنا أزرع وأنت تحصد . ولقى مزيدا رجل كان صديق لأبيه . فقال : يابنى كان أبوك عظيم اللحية ، فما بالك أجرودى . فقال مزيد : أنا خرجت لأمى . وكسا امرأته قميصا فشكت اليه غلظه وخشونته . فقال : أترينه أخشن من الطلاق ؟

ناظر سعيد بن حميد الدهقان بعض آل أبى لهب . فقال : من فضلنا نحن الفرس إن لنا بيوت النيران . فقال اللهبى : وجهنم قطيفة لجدى . رمى فضولى فى النار . فقال : الحطب رطب .

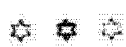
* * *

وقال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام واغلق الباب . فقال : يامولاى هذا خطأ ، إنما يقال : أغلق الباب وهات الطعام . فقال له : أنت حر لوجه الله

لمعرفتك بالحزم . قال جهم بن خاف : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبى حفصة فأطعمنا تمراً . ثم قال لغلامه : خذ هذا الفلس فاشتر به زيتا ، فأتى الغلام به . فقال له : خنتنى . فقال : وكيف أخونك في فاس . قال : أخذته لنفسك واستوهبت الزيت . وقال الأحنف بن قيس : يابنى تميم أتبخلوننى وربما أشرت عليكم برأى خير من مائة ألف درهم . فقال بعض من سمعه : تقويمك الرأى عليهم غاية البخل . ومن أظرف ماقيل فى بخيل :

وأخ مسه نزولى بقرح مثلما مسنى من الجوع قرح
قال إذ زرت وهو فى شدة السـكرة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول اللـه والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا ل تمام الحديث جوعوا تصحوا

مر رجل بانسان وعلى عاتقه عصا فى طرفيها زنبيلان قد كادا يحطمانه ، فى أحدهما بر وفى الآخر تراب . فقال : لم فعلت هذا ؟ قال : عدلت البر بالتراب لأنه كان قد أمالنى الى أحد جنبى ، فأخذ الرجل زنبيل التراب وقلبه وقسم البر نصفان فى الزنبيلين . وقال الآن فاحمل لحمله فخف عليه . فقال : ماأعقلك من شيخ . وشرب احمد بن أبى طاهر مع أبى هفان حتى فنى مامعهما وكانا بجوار المعلى بن أيوب . فقال ابن أبى طاهر : لأبى هفان تماوت حتى أسأل المعلى فى كفنك ، فسجاه ومضى الى المعلى فقال : أصلحك الله نزلنا فى جوارك فوجب عليك حقنا ، وقد مات أبو هفان وليس له كفن . فقال لوكيله : امض إليه لتشاهده وادفع له كفنا فأتى فوجده مسجى فنقر أنفه فضرط ، فقال له : ماهذا ؟ قال ابن أبى طاهر : أصلحك الله بقية روحه كرهت نكهته فخرجت من دبره ، فأخبر المعلى فضحك وأمر لهما بدنانير كثيرة .



وكان احمد بن طولون قد نابذ الموفق وباينه بالعداوة وخلعه وكان قد

ضبط مصر من الجواسيس وكان متيقظا فهما ، فأشرف من قصره يوما فاذا بجنازة قد مرت عليه . فقال : على بالنعش ومن فيه ، فأحضروه ، فقال : قم ياماوت ثم دعا بالسياف وقال اضربه ، فقام الميت من نعشه ، فقال له : أنت متجسس من ناحية احمد . قال نعم ! قال : لو لم أتقدم اليك لقتلتك وقتلت من معك ، وأمر من أخرجهم عن عمل مصر . فقيل له : من أين علمت ذلك؟ فقال. رأيت القوم ليس عليهم كآبة من مات له ميت، ورأيتهم يطوفون بالقصر، ونظرت اليه فى النعش فرأيت رجليه قائمتين ، ورجل الميت تسترخى · فحكمت أنه حى فلما حضر رأيته يسارق النفس فصحت القضية .

وحضر على بن بسام مع جحظة البرمكى دعوة فتفرق الجماعة المخاد وبقى جحظة . فقال : مالكم لا تدفعوا الى مخدة ؟ فقال له ابن بسام : عن قليل تصير اليك كلها . واشتد البرد سنة . فقال أبو العيناء : إن دام هذا كانت بيوتنا التنانير .

قال رجل لامرأته : الحمدلله الذى رزقنا ولدا طيبا. قالت: مارزق أحد مثلما رزقنا ، فدعياه فجاء فقال له الأب : يابنى من حفر البحر ؟ قال : موسى بن عمران. قال: من بلطه ؟ قال : محمد بن الحجاج . فشقت المرأة جيبها ونشرت شعرها وأقبلت تبكى. فقال أبوه : مالك ؟ فقالت : ما يعيش ابنى مع هذا الذكاء . رأى عبد الصمد بن المعدل مخنثا ليلة أربعة عشر من شهر رمضان ، وهو مضطجع على ظهره يخاطب القمر ويقول : لا أماتنى الله منك بحسرة ، أو تقع فى المحاق ، فلما كانت ليلة سبعة وعشرين رأى عبد الصمد الهلال · فقال :

يا قمرا قد صار مثل الهلال   من بعد ما صيرنى كالخلال
الحمد لله الذى لم أمت   حتى أرانيك بهذا السلال

وقال أبو عون الكاتب :

جاءنا الصوم فى الربيع فهلا   اختار ربعا من سائر الأرباع
وتولى شعبان إلا بقايا   كالعقابيل من دم المرتاع

فكأنّ الربيع فى الصوم عقد   فوق نحر غطاه فضل قناع

وقال البحترى :

لاحت تباشير الخريف وأعرضت   قطع الغمام وشارفت أن تهطلا

فتروّ من شعبان إنّ وراءه   شهرا يمانعنا الرحيق السلسلا

وقال :

وممّادها الفتيان أنهم أتوا   بآخر شعبان على أول الورد

وكتب كشاجم الى بعض إخوانه فى يوم شك (١) :

هو يوم شك ياعلىّ   وأمره مذ كان يحذرْ

والجو حلته ممسّكةٌ   ومطرفُه معنبر

والماء فضىّ القميـ   ـص وطيلسان الأرض أخضر

نبت يصعّدُ نَوْرَه   فى الأرض قطر ندًى تحدّر

ولنا فضيلات تكو   ن ليومنا قوتاً مقدّر

ومدامة صفراء أد   رك عمرها كسرى وقيصر

فانهض بنا لنحث من   كاساتنا ماكان أكبر

أوْلا فإنك جاهل   إن قلت إنك سوف تعذر

كانت لرجل من العرب إمرأة رعناء ، فدخل عليها يوما وهى مغضبة . فقالت: مالك لا تشبب بى كما يشبب الرجال بنسائهن . فقال : إنى أفعل ! وأنشدها :

تمّت عبيدة إلا فى ملاحتها   والحسن منها بحيث الشمس والقمر

ماخالف الظبى منها حين تبصرها   إلا سوالفها والجيد والنظر

---

(١) فى ديوانه بين البيت الرابع والخامس هذا البيت :

وأخو الحجى لو كان هـ   ـذا اليوم من رمضان أفطر

وقوله : فانهض الخ . فى ديوانه : فانشط لنا نحثث من . الخ .

قل للذى عابها من حاسد حنق ... أقصر فرأس الذى قد عيب والحجر

فضحكت ورضيت عنه . ومما يشكل هل هو مدح أو هجاء ؟ إن أبا الينبغى دفع إلى خياط أعور اسمه زيد طيلسانا يقوّره له ، فلما جاءه ليأخذه دفعه إليه. وقال له : قد خطت لك شيئاً لا تدرى أهو طيلسان أو دواج . فقال : وأنا أقول فيك بيتاً لاتدرى أهو مدح أو هجاء ؟ وأنشده :

خاط لى زيد قباء ... ليت عينيه سواء

يريد بسواء — يكونان صحيحتين أو ذاهبتين . ومن هنا اهتدى أبو الطيب المتنبى إلى قوله :

فيا ابن كروّس يا نصف أعمى ... وإن تفخر فيانصف البصير

تعادينا لأنا غير لُكْنٍ ... وتبغضنا لأنّا غير عور

***

وكان أبو الينبغى ضعيف الشعر ، قلما يصح له الوزن ، إلا أنه كان ظريفا طيبا. ودخل عليه وقد حبس . فقيل له : ما كان خبرك ؟ قال : أبو الينبغى قال مالا ينبغى ففعل به ما ينبغى . ومما يسأل عنه أصحاب المعانى هل هو مدح أو هجاء ؟

تكامل فيه البخل والجود فاعتلى ... بفضلهما والبخل بالمرء يزري

وهذا يمدحه ـ يريد أنه يجود بماله و يبخل بعرضه . وقد قال حماد عجرد : يمدح محمد بن أبى العباس :

حليم جهول فأمّا التى ... يقال له عندها يجهل

فعند الوغى واشتجار القنا ... إذا الحرب أشعلها مُشعل

جواد بخيل فأمّا الذى ... على كل حال به يبخل

فدين وعرض ودين الكـــريم ... ذى الرأى والعرض لايبذل

وليس بما ملكت كفه ... من البحر فى جوده يعدل

يراه الثراء فى صفوف الثرى ... وطعنته فى الوغى الفيصل

إذا ذكر الناس أهل الندى بأسمائهم فاسمه الأول
محمد أنت الذى إن سمو ت ذى المعمّ لك المخول
يذمك كبش الوغى فى الوغى ويحمدك الرمح والمنصل

وذكر أن هاشمياً قال لعمر بن أبى ربيعة : لولا بغضكم لنا يابنى مخزوم ماقات:

بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل أبوها و إما عبد شمس وهاشم

فقدمت علينا بنى نوفل و بنى أمية ، فتوهمه ابن أبى ربيعة عاقلا . فقال : لا بأس بتقديم المفضول على الفاضل فى اللفظ . قال حسان بن ثابت :

ومازال فى السادات من آل هاشم مكارم صدقٍ لاتعد وتفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمّه علىٌّ ومنهم أحمد المتخير

وأيضاً فالشعر على الميم ، فلم يمكن فى القافية إلاّ ماقلت لك ، قال : فأعجزتك الحيلة ؟ قال : وكيف احتال . قال تقول :

بعيدة مهوى القرط إمّا لهاشم أبوها و إمّا عبد شمس ونوفل ميم

فضحك . وقال : وهنا أنت لقد عجزت عن هذا .

***

ومن عجيب مايتعلق بهذا الباب : أنه وصل إلى حضرة سيف الدولة رجل من أهل بغداد يعرف بالمبحث ، وكان ينقر على العلماء والشعراء بما لم يدفعه الخصم ولا ينكره الوهم . فتلقاه سيف الدولة باليمين ، وأعجب به إعجابا شديداً . فقال يوماً ، أخطأ امرء القيس فى قوله :

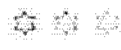
كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطّن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقلْ لخيليَ كرى كرّة بعد إجفال

وهذا معدول عن وجهه لاشك فيه . فقيل : وكيف ذلك ؟ قال : إنما سبيله أن يقول :

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروىّ للذة   ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

فيقترن ذكر الخيل بمايشا كلها فى البيت كله ، و يقترن ذكر الشرب واللهو بالنساء. و يكون قوله : للذة فى الشرب أطبع منه فى الركوب ، فبهت الحاضرون واهتز سيف الدولة . وقال : هذا التهدى وحق أبى ! فقال بعض الحاضرين من العلماء للمبحث : أنت اخطأت وطعنت على القرآن إن كنت تعمدت ؟ فقال سيف الدوله: وكيف ذلك ؟ فقال : قال الله تبارك وتعالى إنّ لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . وعلى قياسه يجب أن يكون : أنّ لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ ، ولا تعرى فيها ولا تضحى ، وانما عطفه امرء القيس بالواو التى لا توجب تعقيبا ، ولا ترتب ترتيبا ، فخجل وانقطع



وقال خالد : قدمت على الوليد بن يزيد فى مجلس ناهيك من مجلس ، فألفيته على سريره و بين يديه معبد ، ومالك بن أبى السمح ، وابن عائشة ، وابو كامل عذيل الدمشقى . فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة الىّ فغنيت :

سرى همى وهمّ المرء يسرى   وغاب النجم إلاّ قيد فتر
أراقب فى المجرة كل نجم   تعرض أو على البحرات يجرى
بهمٍّ ما ازال به قرينا   كأنّ القلب أبطن حرّ جمر
على بكر أخى فارقت بكرا   وأى العيش يحسن بعد بكر

فقال : أعد يا صام ، فأعدت . فقال : من يقوله ؟ قلت : عروة بن أذينة الليثى . فقال : وأى العيش يصلح بعد بكر ؟ هذا الذى نحن فيه ، والله لقد تحجر واسعا على رغم أنفه . وأنشدت سكينة بنت الحسين رضوان الله عليهما هذا الشعر . فقالت: ومن بكر ؟ فوصف لها . فقالت : ذاك الأسود الذى كان يمر بنا ، والله لقد طاب كل شىء بعده حتى الخبز والزيت .



قلت انا : وليت شعرى اذا كان السماع داعية الأنس ، وعشيق النفس ، الذى ينهكها إذا اسرها الهم ، ويبسطها إذا قبضها الغم ، وهو المستأذن على القلب ، المنقذ له من الكرب ، الداخل عليه من غير تعب ، والوارد اليه بغير نصب ، وقد قال ارسطاطاليس : لما حددنا المنطق وجدنا فيه مالا يبلغه اللسان إلا بآلة ، فركبنا العود على الطبائع ، لاستخراج تلك الودائع ، فلما قابلت النفس استماع ماظهر منه عشقته بالعنصر . وقالوا : كل شراب بلا سماع الدنّ أولى به . فما باله لاتستخرج له الأشعار الرقيقة ، ذات المعانى الدقيقة الأنيقة ، والالفاظ الناعمة الشكلة ، فى الابيات الغزلة ، التى تطرب بالتكلم قبل الترنم . و يتجنب ما كان من صفات الجيوش والمقانب ، والغارات والكتائب ، والأحزان والمصائب ، فلأن يسمع من كان ثملا جذلا :

ظفرت بقبلة منه أُختلاساً ... وكنت من الرقيب على حذار
ألذّ من الصبوح على غمام ... ومن برد النسيم على خُمار

أحب إليه من أن يسمع :

إنّ السنان وحد السيف لو نطقا ... لحدثا عنك يوم الروع بالعجب
أنفقت مالك تعطيه وتبذله ... يامتلف الفضة البيضاء والذهب

إلا أن يكون سامعه كمهلهل ، وربيعة بن مكدم ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب هذا على أن هذا الشعر ليس بتحسين الخط فى فصاحة اللفظ ، ولا قاصى المرمى عن ادراك المعنى ، بقول مروان بن صرد أخى أبى بكر بن صرد فى يزيد بن يزيد

أمّا أبوك فاندى العالمين يداً ... وكان عمّك معن سيد العرب
عيدانكم خير عيدان وأطيبها ... عيدان نبع وليس النبع كالغرب
وإنكم سادة أوليتمُ حسبا ... وأنتمُ قالة للشعر والخطب

ولكن لكل مكان مايليق بموضعه ، ويحسن بموقعه ، فأشبه أوقات اللهو والشراب ، ذكر التغزل بالأحباب . وقد قال بعض البلغاء : لولا العشق والهوى ،

لم توجد لذة الصبّا ، ولم يكن الطرب والغناء ، ولنقص نعيم أهل الدنيا . وكان ابن الرومى يقول : لو ملكت الأمر وأدركت ملحن هذا الشعر لقتلته :

كليب لعمرى كان أكثر ناصراً ... وأيسر جرماً منك ضرّج بالدم

رمى ضرع ناب فاستمرت بطعنة ... كحاشية البرد اليمانى المسهّم

وقال ثمامة بن أشرس : كنت عند المأمون يوما إذ جاءه الحاجب يستأذن لعمير المأمونى، فكرهت ذلك ، ورأى الكراهة فى وجهى . فقال : ياثمامة مالك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين إنا إذا غنانا عمير ذكر مواطن الإبل ، وكثبان الرمل ، وإذا غنتنا فلانة انبسط أملى ، وقوى جذلى ، وانشرح صدرى ، وذكرت الجنان . كم يا أمير المؤمنين بين أن تغنيك جارية غادة كأنها غصن بان ، بمقلة وسنان ، كأنما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من درة ، بشعر عكاشة القمى [1] :

من كف جارية كأنّ بنانها ... من فضة قد طرزت عنّابا

وكأنّ يمناها إذا ضربت بها ... تلقى على يدها الشمال حسابا

وبين أن يغنيك رجل ملتف اللحية ، غليظ الأصابع ، خشن الكف ، بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادره ؟

وكم بين مَنْ يحضرك ماتشتهى النظر إليه ، وبين من لايقف طرفك عليه ؟ فتبسم المأمون . وقال : إن الفرق لواضح ، وأن المنهج لفسيح ، يا غلام : لا تأذن له ! واحضر قينة . قال : فظللنا فى أمتع يوم

***

وقد كتبت جزءا مما قيل فى طيبات الأغانى ومطربات القيان ، وأنا أعيد منها هنا قطعة ترتاح إليها الأرواح . أنشد أبو العباس احمد بن محمد الأنبارى الناشى فى مثل قول عكاشة :

وإذا بصرت بكفها اليسرى حكت ... يد كاتبٍ يلقى عليك صنوفا

---

(١) فى ديوان المعانى نسبهما للناشى

وكأنما المضراب فى أوتاره ... قلم يمجمج فى الكتاب حروفا
وتجسه أبهامها فكأنه ... فى النقد ينفى بهرجاً وزيوفا

أخذ هذا البيت من قول أبى شجرة السلمى وذكر ناقته :

يطير عنها حصا الصوار من بلد ... كما توقّد عند الجهبذ الورق

وأصله من قول امرىء القيس :

كأنّ صليل المرى حين تطيره ... صليل زيوف ينتقدن بعبقر

وقال ابن العجاج :

كأنّ أيديهن بالقاع القرف ... أيدى صيارف يتوقدن الورق

وقال أبو نواس :

وأهيف مثل طاقة ياسمين ... له حَظّان من دنيا ودين
يحرّك حين يشدو ساكنات ... وتنبعث الطبائع للسكون

وهذا مليح : يريد حركة الجوانح للغناء ، وسكون الجوارح للاستماع

ومن عجيب ماقيل فى صفات القيان والعيدان قول ابن الرومى :

وقِيانٍ كأنّها أمهاتٌ ... عاطفات على بنيها حوانى
مطفلات وما حملن جنينا ... مرضعات ولسن ذات لبان
ملقمات أطفالهنّ ثديًّا ... ناهدات كأحسن الرمّان
منعمات كأنها حافلات ... وهى صفر من درة الألبان
كل طفل يدعى بأسماء شتى ... بين عود ومزهر وكران
أمة دهرها تترجم عنه ... وهو بادى الغنا عن الترجمان

وأنشد أبو على الحاتمى لأبى بكر الصولى :

وغناء أرقُّ من دمعة الصـ ... ـب وشكوى المتيم المهجور
يشغل الفهم عن تظنٍّ وفهم ... فهو يصغى بظاهر وضمير
صافح السمع بالذى يشتهيه ... فأذاق النفوس طعم السرور

ليس بالصائل الضعيف إذا ما　　راض نعما ولا الشنيع الجهير

يجتنى السمع منه أحسن مما　　تجتنى العين من وجوه البدور

قال ابراهيم الموصلي : استأذنت الرشيد فى أن يهب لى فى كل أسبوع يوماً ، أخلو فيه مع جوارىّ ، فأذن لى فى يوم الأحد وقال : هو يوم استثقله ؛ فلما كان فى بعض الآحاد أتيت الدار فدخلت وأمرت الحجاب أن لا يأذنوا لأحد علىّ وأغلقت الأبواب ، فما هو إلا أن جلست حتى دخل علىّ شيخ حسن السمت والهيئة ، على رأسه قلنسوة لاطية ، وفى رجله خفان أحمران ، وفى يده عكاز مقمعة بفضة ، وعليه غلالة سكب ، فلما رأيته امتلأت غيظا . وقلت : ألم آمر الحجاب أن لا يأذنوا لأحد ، فسلم . فافكرت وقلت : لعلهم علموا من الشيخ ظرفا وهيئة فأحبوا أن يؤنسونى به فى هذا اليوم ؟ فلما أمرته بالجلوس جلس . وقال: يا ابراهيم ألا تغنينى صوتاً ؟ فامتلأت عليه غيظاً ولم أجد إلى ردّه سبيلا لأنه فى منزلى ، وحملته منه على سوء أدب العامة . فأخذت العود وضربت وغنيت ووضعت العود . فقال لى : لم قطعت هزارك ؟ فزادنى غيظا . وقلت : لا يُسيِّدنى ولا يكنّينى ولا يقول أحسنت ، فأخذت العود فغنيت الثانية . فقال لى : أحسنت ! فكدت والله أشق ثيابى ، فغنيت تمام الهزار فقال : أحسنت ياسيدى ! ثم قال : ناولنى العود فوالله لقد استجابه فوضعه فى حجره ، ثم جسه من غير أن يكون ضرب بأنمله ، فوالله لقد خلت زوال نعمتى فى جسه ، ثم ضرب وغنى :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد　　لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى　　على فنن غضّ النبات من الرند

بكيت كما يبكى الوليد ولم أكن　　جليدا وأبديت الذى لم أكن أبدى

وقد زعموا أن المحبّ إذا دنا　　يملّ وأن النأى يُسْلى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا　　على أنّ قرب الدار خير من البعد

فوالله لقد خلت كل شىء فى الحضرة ، يتغنى معه حتى الأبواب والستور ، ثم ضرب وغنى :

ألا يا حمامات اللوى عدنَ عودة   فأنى إلى أصواتكنّ حزين
فَعُدْن فلما عدن كدن يمتننى   وكدت بأسرارى لهنّ أبين
دعوت بترداد الهدير كأنما   شربن حميا أو بهنّ جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما   بكين ولم تدمع لهنّ عيون

ثم ضرب وغنى :

قفا ودّعا نجدا ومن حل بالحمى   وقلّ لنجدٍ عندنا أن يودعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى   على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع   إليك ولكن خل عينك تدمعا
واعذر فيها النفس إنْ حِيل دُونَها   وتأبى إليها النفس إلاّ تطلعا

فوالله لقد تغنى كل شىء معه بالحضرة ، حتى النمارق والوسائد وقميصى الذى على بدنى . فقال : ياأبا اسحاق ! هذا الغناء الماخورى ، تعلمه وعلمه جواريك ، ثم وضع العود من حجره وقام إلى الدار فلم أره ، فدفعت أبواب الحرم فأذا هى مغلقة . فقلت : ويحكنّ هل سمعتن ماسمعت ، أو رأيتنّ مارأيت ؟ قلن : نعم ! سمعنا وأعدن الأصوات علىّ وقد لقنّها ، فسألت الحجّاب عن الرجل . فقالوا لى : لم يدخل عليك أحد حتى يخرج ، فأمرت بدابتى فأسرجت فركبت من فورى إلى دار الخليفة واستأذنت ، فلما رآنى . قال : ألم تنصرف آنفاً على نية المقام فى منزلك والخلوة بأهلك . قلت : ياسيدى جئت بغريبة وقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها ، فضحك حتى رفع الوسائد برجليه . وقال لى : كان نديمك اليوم أبو مُرة ، وددت أنه لو متعنا بنفسه كما متعك . واشتهر ابراهيم بهذا الطريق واشتهته الناس فلم تبق جارية لقنته من ابراهيم إلا زيد فى ثمنها . قال اللاحقى :

لا جزا الله الموصلىّ أبا اسـ   ـحاق عنّا خيراً ولا إحسانا

جاءنا مرسلا بوحى من الشـ يطان أغلى به علينا القيانا
من غناء كأنه سكرات الحـ ـب يصغى القلوب والآذانا

***

ومن مليح هذا المعنى قول أبى فراس ، وكان سيف الدولة لايشرب النبيذ ولايسمع القيان ويحظرهما. فوافت ظلوم الشهرامية وكانت أحدى المحسنات ، وكان بحضرته ابن المنجم أحد المحسنين ، فتاقت نفسى إلى سماع ظلوم فسألت الأمير أن يحضرهما لأسمعهما مجتمعين . فوعدنى باحضارهما مجلسه من يومه، فانصرفت وأنا غير واثق بذلك لعلمى بضعف نيته فى مثله ، ووجهت إلى ظلوم أتقدم اليها بالاستعداد، وحصّلت عنـدى ابن المنجم وأقمت أنتظر رسوله إلى أن غربت الشمس . فكتبت إليه :

محلك الجوزاء بل أرفع وصدرك الدهناء بل أوسع
وقلبك الرحب الذى لم يزل للجدّ والهزل به موضع
رفّه بقرع العود سمعا غدا قرع العوالى جُلّ مايسمع

فبلغت هذه الأبيات أبا محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبى ، فأمر بها فلحنت وغنى بها ، فلم يشرب بقية يومه ذلك إلا عليها

وأبو فراس : هو الحارث بن سعيد بن حمدان ، وفى أبى فراس يقول القاضى ابن الهيثم :

أيقنت أنى ما بقيت رهين شكر الحارث
فإن المنيـة أشرفت ورّثت ذاك لوارثى
رقّ له من بعد سيـ ـدنا وليس لثالث

قال أبو فراس : فحاولت جوابه على هذه القافية فما أمكننى شىء أرتضيه ، فكتبت اليه :

لئن جمعتنا غدوة أرض بالس فأنّ لها عندى يدا لا أضيعها

أحبُّ بلاد الله أرضٌ تحلها ... إليّ ودار تحتويك ربوعها
أفي كل يوم رحلة بعد رحلة ... تجرّع نفسى حسرة وتروعها
فلى أبدا قلب كثير نزاعه ... ولى أبداً نفس قليل نزوعها
لحى الله قلباً لا يهيم صبابة ... اليك وعيناً لاتفيض دموعها

وكان أبو فراس: حسن الشعر، جيد النمط، لقوته من الطلاوة والحلاوة مايشهد به ماأنشد له. وكان أبو القاسم الصاحب. يقول: بدأ الشعر بملك، وختم بملك، بدأ بامرئ القيس، وختم بأبي فراس. وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد سار إلى منزله: كتابي أطال الله بقاء الأمير من منزلي، وقد وردته ورود السالم الغانم موقر الظهر[1] وفراً وشكراً؛ فاستحسن سيف الدولة بلاغته فقال:

هل للفصاحة والسما ... حة والعلى عنى محيد
فى كل يوم استفيد ... من العلاء وأستفيد
ويزيد فىّ إذا رأيتك ... فى الندى خُلُق جديد

وأهدى الناس إلى سيف الدولة فى بعض الأعياد فأكثروا، فاستشارهم أبو فراس فيما يهديه إليه، فكل أشار بشيء، فخالفهم وكتب إليه:

نفسى فداؤك قد بعثت ... بمهجتى بيد الرسول
أهديت نفسى إنما ... يهدى الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدى ... بشرى المبشّر بالقبول

ووقع بين أبي فراس وبين بنى عمه عداء وهو صغير؛ فمزح سيف الدولة معه بالتعصب عليه[2] فقال:

---

(١) فى ديوانه المطبوع: موقر الظهر والضمير وفاء وشكراً. وفيه بعد البيت الأول:

إذ كنت سيدى الذى ربيتنى وأبى سعيد

(٢) فى ديوانه: فخرج معه سيف الدولة بالتعتب. وذكر جملة أبيات هذه الثلاثة منها. والشطر الاخير هكذا: يغضى على الم لضرب الوالد.

قد كنتَ عدتيَ التي أسطو بها ... ويدى إذا خان الزمان وساعدى
فرميت منك بضد ما أملته ... والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقى لبره ... أغضى على مضض لضرب الوالد

وقال يفخر :

لنا بيت على طنب الثريا ... بعيد مذاهب الأكناف سامى
تظلله الفوارس بالعوالى ... وتفرشه الولائد بالطعام

وقال يصف السبى :

وخريدة كرمت على آبائها ... وعلى بوادر خيلنا لم تكرم
خطبت بحد السيف حتى زوجت ... كرهاً وكان صداقها للمغنم
راحت وصاحبها بعرس حاضر ... يرضى الآله وأهلها فى مأتم

وقال :

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلانى ... ليست مؤاخذة الخلان من شانى
يجنى الصديق فاستحلى جنايته ... حتى أدل على عفوى و إحسانى
و يتبع الذنب ذنبا حين يعرفنى ... عمداً فأتبع غفرانا بغفران
يجنى علىّ فأحنو صافحا كرما ... لاشىء أحسن من حانٍ على جان

وقال :

فوالله ما أضمرت فى الحب سلوة ... ووالله ما حدثت نفسى بالصبر
و إنك فى عينى لأبهى من الغنَى ... و إنك فى قلبى لأحلى من النصر
فياحكمى المأمول جرت مع الهوى ... و يا ثقتى المأمون جرت مع الدهر

وقال :

سكرت من لحظه لا من مدامته ... ومال بالنوم عن عينى تمايله
وما السلاف دهتنى بل سوالفه ... ولا الشمول ازدهتنى بل شمائله
ألوى بصبرىَ أصداغ لوين له ... وغلّ صدرى بما تحوى غلائله

وقال :

وظبى غرير فى فؤادى كناسه　　إذا كنست عِين الفلاة وحورها[1]

فمن خَلْقه لبّاتها ونحورها　　ومن خُلقه عصيانها ونفورها

وقال :

الزمنى ذنبا ولا ذنبَ لى　　ولجّ فى الهجران والعتب

أحاول الصبر على هجره　　والصبر محظور على الصب

من لى بكتمان هوى شادن　　عينى له عين على قلبى

عرّضت صبرى وعُلُوّى له[2]　　فاستشهدا فى طاعة الحب

وقال :

لبسنا رداء الليل والليل راضع　　إلى أن تردّى رأسه بمشيب

وبتنا كغصنىْ بانةٍ عطفتهما　　مع الصبح ريحا شمأل وجنوب

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنّه　　مبادى نصول فى عذار خضيب

فياليل قد فارقت غير مذمّم　　وياصبح قد أقبلت غير حبيب

وقال :

قل لأحبابنا الجفاة رويداً　　درّجونا على احتمال الملال

إن ذاك الصدود من غير جرم　　لم يدع فىّ موضعا للوصال

أحسنوا فى هواكم أو اسيئوا　　لاعدمناكم على كل حال

وقال :

ومغض للمهابة عن جوابى　　وانّ لسانه العضب الصقيل

أطلت عتابه عنَتاً وظلما　　فدمّع ثم قال كما تقول

---

(١) فى ديوانه :

وظبى غرير فى كناسة امه　　إذا اكتسبت عون الفلاة وصورها

(٢) فى ديوانه على كثرة مافيه من التصحيف : وسلوى له ، ولعل ذلك احسن

وقال :

بتنا نعلل من ساق أغن لنا ... بخمرتين من الصهباء والخد
كأنه حين أزكى نار وجنته ... سكرا وأسبل فضل الفاحم الجعد
يعدّ ماء عناقيد بطرته ... بماء ماحملت خداه من ورد

وقال :

أياسافراً ورداء الخجل ... مقيم بوجنته لم يزل
بعيشك رد عليك اللثام ... أخاف عليك جَراح المقل
فما حقّ حسنك أن يجتلى ... ولا حق وجهك أن يبتذل
أمنت عليك صروف الزمان ... كما قد أمنت علىّ الملل

وقال :

لا غرو إن فتنتك بالل ... لحاظ فاترة الجفون (١)
فمصارع العشاق ما ... بين الفتون إلى الفتون
أصبر فمن سنن الهوى ... صبر الضنين على الضنين

وقال :

سقى ثرى حلب مادمت ساكنها ... يابدر غيثين منهل ومنبجس
كأنما البدر والولدان موحشة ... وربعها دونهنّ العامر الأنس
أسير عنها لأمر ما فيزعجنى ... حتى يعود إليها الخدّر الكنس
مثل الحصاة التى يرمى بها أبدا ... إلى السماء فترقى ثم تنعكس

وقال أبو فراس : فى رسول ملك الروم إذ جاء يطلب الهدنة فأمر سيف الدولة بالركوب بالسلاح ، فركب من داره ألف غلام مملوك بألف جوشن مذهب على ألف

---

(١) فى ديوانه :

لا غرو أن فتنك بالـــلحظات فاتنة الجفون
فمصارع العشاق ما ... بين الفتور الى الفتون

فرس عتيق بألف تجفاف ، وركب الناس والقواد على تبعيتهم وسلاحهم وراياتهم ، حتى طبق الجيش جبل جوشن وما حوله . فقلت :

علونا جوشنا بأشد منه ... وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ... ظننت البر بحراً من سلاح
فألسنة من العذبات حمر ... تخاطبنا بأفواه الرياح
وأروع جسمه ليل بهيم ... وغرته عمود من صباح
صفوح عند قدرته كريم ... قليل الصفح مابين الصفاح
كأن ثباته للقلب قلب ... وهيبته جناح للجناح

٭ ٭ ٭

وعلى ذكر المهلبى أذكر طرفا من ظريف أخباره ، وشريف آثاره ، وإنما أسلسل أخبار أمثاله من أشراف العصر ، وأفراد الدهر ، تعمداً للذة الجدة ، ورونق الحداثة ، إذ كان مالم يقرع الآذان ، أدعى إلى الاستحسان ، مما تكرر حتى تكدر . والمهلبى : هو أبو محمد الحسن بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، وكان المطيع لله الفضل بن جعفر المقتدر ، لما ولى الخلافة بعد المستكفى قام بجميع أموره معز الدولة احمد بن بويه الديلمى وصحبه أجمل صحبة من أول ولايته إلى سنة موته وهى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وعقد الديلمى امر وزارته للمهلبى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . وكان المهلبى من سروات الناس وأدبائهم وأجوادهم وأعزائهم ، وفيه يقول أبو اسحاق الصابى :

نعم الله كالوحوش وما تأ ... لف إلاّ أخايراً نسّاكا
نفرتها أيام قوم وصير ... ت لها البر والتقى أشراكا

وفيه يقول :

قل للوزير أبى محمد الذى ... قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المجالس منطق يشفى الجوى ... ويسوغ فى أذن الأديب سلافه

وكأنّ لفظك لؤلؤ متنخل وكأنما آذاننا أصدافه

وفيه يقول أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدى :

أنا عبد من لو قال للشمس اغربى غربت وقد طلعت على الأشهاد
المستقل من الوزارة رتبة إشراقها فوق الخلافة بادى
عقّ الكماة لخوفه هيجاءهم وهمُ لطاعته من الأولاد
وتقنعوا بالنذر من أيامهم حتى ظنناهم من الزهاد
ومن التراب عجاجهم وعجاجه ممّا يحطّم من قنا وجياد
القائد الخيل العتاق كأنها أسد مخالبها نسور صعاد
كذب المحدث بالشجاعة والندى عن خِندف وربيعة وإياد
لو أبصرت عيناك آل مهلب والخيل راوية النحور صوادى
يخرجن من رهج العجاج كأنما أسيافهم خرجت من الأغماد
أو ما رأيت جنابهم متدفقا متوسعاً لتضائق الروّاد
ووجوههم للبذل من إشراقها قد قنّعت شمس الضحى بسواد
لرأيت أو كادت جفونك أن ترى لجج البحار وآنف الأطواد
وعلمت أنهمُ على رغم العدى ذهبوا بكل ندًى وكل جلاد
يا من نصغرهُ إذا قلنا له ملك الملوك وماجد الأمجاد
وذباب سيفك انه قسم الوغى والموت فى ثوب من الفرصاد
لأطرزنّ بك الزمان مدائحا تختال بين الشدو والانشاد
تدع المسامع والقلوب لحسنها عند الرواة تشدّ بالاصفاد

وقال فيه :

ألـكنى إلى آل المهلب أنهم لأرفع من زهر النجوم وأثقب
إذا سلبوا الأموال من شن غارة أغار عليها المجتدون ليسلبوا
فلا زالت الأملاك تطلب رفدهم فتدنى وتعطى فوق ما تتطلب

ولا برحت حمر المنايا وسودها — إلى بأسهم يوم الوغى تتحرب
فما استمطروا للجود إلاّ تدفقوا — ولا استعرضوا للطعن إلا تلبّبوا
اليك أمين الله فى الأرض شمّرت — عزيمة صبح بالدجى تتجلبب
يرى حظه مستأخراً وهو أول — وآماله مغلوبة وهو أغلب
وأنت شباب للذى شاب مقبل — اليه وجدٌّ للذى خاب ملحب (١)
تقود أبيّات الأمور كأنها — اليك أسارى فى الأزمة تجنب
وتطعن فى صدر الكتائب معلما — كأنك فى صدر الدواوين تكتب
نداؤك أملى والجياد منابر — وأبطالها بالمشرفية تخطب
اذم زيادا فى ركاكة رأيه — وفى قوله أى الرجال المهذب
وهل يحسن التهذيب منك خلائقا — أرق من الماء الزلال وأعذب
تكلم والنعمان بدر سمائه — وكل مليك عند نعمان كوكب
ولو أبصرت عيناه شخصك مرة — لأبصر منه شمسه وهى غيهب
إذا ذكرت أيامك الغر أظلمت — تميم وقيس والرباب وتغلب
لقد صرّحوا بالمال لى وهو مبهم — وقد عرضوا بالقول لى وهو موجب
ولى همة لا تطلب المال للغنى — ولكنها منك المودة تطلب
فان كان قولى دون قدرك قدره — فما أنا فيه فى امتداحك مذنب
إذا كانت الأشياء دونك قدرها — فغير ملوم أن يقصّر مسهب

---

(١) فى الأصل : ووجه والتصحيح من المختارات للبارودى . وقوله : ملحب . فى ديوانه منجب . والأبيات التالية فى ديوانه هكذا

تقود ابيات الخطوب بصارم — من الرأى يخشى الغيب منه ويرهب
وتطعن فى صدر الكتائب معلما — كأنك فى صدر المجالس تكتب

ثم بعدهما ابيات تركها الحصرى ثم قال :

فداؤك اهلى والهياج منابر — وابطالها بالمشرفية تخطب

زياد : هو النابغة الذبيانى ، وانما عنى قوله فى اعتذاره للنعمان بن المنذر :

ولست بمستبق اخاً لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و إنما أخذ النابغة هذا من قول شاعر من كندة قديم :

تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب

هو الشمس وأفت يوم دجن فأفضلت على كل نور والملوك كواكب

✡✡✡

والمدح فى أبى محمد المهلبى كثير ، و إنما يؤخذ من كل شيء ما اختير . وكان قبل تعلقه بحبل السلطان سائحاً فى الأرض على طريق الفقر والتصوف . قال أبو على الصوفى : كنت معه فى بعض أوقاته ، أماشيه فى بعض طرقاته ، فضجر لضيق الحال . فقال :

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا رحم المهيمن روح حر تصدّق بالوفاة على أخيه

قال : فاشتريت له رطل لحم وطبخته له ، ثم تصرف بنا الدهر و بلغ المهلبى مبلغه. قال أبو على : فاجتزت البصرة فاجتزت بمسماران [1] فاذا أنا بنا شطيات وحراقات وذباذب وطيارات فى عِدّة وعِدَة . فقلت : لمن هذا ؟ فقيل للوزير أبى محمد المهلبى، فنعتوا لى صاحبى ، فتوصلت إليه حتى رأيته ، فكتبت رقعة واحتلت حتى دخلت ، فسلمت وجلست . حتى اذا خلا المجلس رفعت إليه الرقعة ، وفيها :

ألاَ قل للوزير بلا احتشام مقال مذكّر ما قد نسيه

---

(١) كذا فى الأصل : مسماران . ولم أقف عليها فى محال البصرة وخططها إنما وجدت المسمارية قطيعة مسمار مولى زياد بن أبيه . ومن اصطلاح اهل البصرة : أن يزيدوا فى اسم الرجل الذى تنسب اليه القرية ألفا ونونا نحو قولهم : طلحتان ، وخيرتان ومهلبان ، وجبيران ، ورواذان . كل ذلك اسماء خطط وقرى من البصرة.

أتذكر أن تقول لضيق عيش   ألاَ موت يباع فأشتريه

فنظر إلىّ . وقال : نعم ! ونهض وأنهضنى معه فى مجلس أنسه ، وجعل يذكر لى كيف توافت حاله . وقدم الطعام فأطعمنا ، وأقبل ثلاثة من الغلمان على رأس أحدهم ثلاث بدر ، ومع آخر تخوت وثياب رفيعة ، ومع آخر طيب وبخور ، وأقبلت بغلة رائعة بسرج ثقيل فقال لى : يا أبا على تفضل بقبول هذه ، ولا تتأخر عن حاجة تعرض لك ، فشكرته وانصرفت ، فلما هممت بالخروج من الباب ، استردنى وأنشدنى بديهاً :

رقّ الزمان لفاقتى   ورثى لطول تحرّقى
فأنالنى ما أرتجى   وأجار ممّا أتقى
فلأغفرنّ له القديـ   ـم من الذنوب السبّق
إلاّ جنايته لما   فعل المشيب بمفرقى

ولما مات المهلبى ، وجد عليه أحمد بن بويه وجداً شديداً ولم يستوزر أحداً بعده ، وبلغ منه أبو الفضل العباس بن الحسين بن عبد بن فاخر بعد المهلبى مبلغاً عالياً للمصاهرة التى كانت بينه وبين المهلبى ، ولأنه كان يخلفه فى الدواوين ، فكان يخطب درجة المهلبى فى الوزارة فلم يبلغها

وكان العباس ممن تعظمه الملوك وتعرف قدره فى الفرس وسبقه، وكان بنو بويه يخاطبونه بالشيخ ، ولما حصلوا بأرض العراق استدعوه من فارس اشتياقاً إليه ، وحاجة إلى رأيه ، لما كانوا يعرفونه من ثقته ، وكان يتخذ من الزىّ وتفخيم شأن الملك ، ما كان يحسن به فى عين احمد بن بويه إذ كان يحب من أصحابه ذلك .

وكان مما عمله العباس: المفيض الذى بظاهر السندية، الذى ينزع من نهر عيسى ابن موسى الهاشمى النازع من الزاب الأعظم بناحية البثق المعروف ببثق الروبانية وهو الذى تعمره ملوك العراق ، وتحوط به الأعوال التى يردّ إلى كل ناحية حظها من الشرب الذى تكون به عماراتها واستقامة ربوعها ووفور أموالها وتمام خراجها.

وهذا المفيض عملته الأكاسرة لينتفع به عند زيادة المياه وكثرتها ، فانها حين تخشى البثق المقدم ذكره وغيره من البثوق أن تزيد المياه عليها فتخرقها فينصرف الماء عن سائر الضياع. فاذا خشى ذلك فتح هذا المفيض فانصرف مايزيد من الماء عن قدر ماينتفع به إليه ، حتى يصب فى نهر يعرف بصرصر حتى يفرغ فى دجلة ، فعمل هذا المفيض من ماله بعد فساد ما كان قبله . وسائر هـذه البثوق والفائض تستتم بعد خمسين عاماً من بعد عمارتها إلى السبعين أكثره على مايذكرون

ثم عمر الدار المعروفة بخاقان ، وهى فى ملك ولده وما يليها من الدور التى كانت تجاورها بشاطىء دجلة. وهذه الدار معروفة عند الملوك معظمة فى نفوسهم ، وهى دار لها حدّان فالجبلى[1] منها ينتهى إلى دجلة ، والشرقى منها ينتهى إلى نهر الصراة النازع من نهر عيسى النازع من الفراة الأعظم ، حتى يلقى بهذان النهران. وقد كان فى قديم الزمان بلغ أمرها بعض ملوك الروم ، وُصف له أن بالعراق دارا يجتمع فيها دجلة والفراة ، فأعظم ذلك وأكبره وأكذب من أخبره به . ثم كشف عن ذلك لعظمه عنده فوجده حقا ، فعمر العباس هذه الدار على أحسن مما كانت عليه بل أزيد من ذلك ، وانتهى خبرها إلى احمد بن بويه فأحب النظر إليها ، فاصطنع له طعاماً ورتب الناس على أحسن مايكون من ترتيب مثله ، وفرش مجالسها وقبابها ومحالها وخبائها ورحابها وخورنقاتها وجيرياتها ، بألوان الفرش وأصناف الأمتعة ، من الديباج السندسى المنسوج لها بقدر أطوالها وأعراضها المثقل بالذهب ، والأرمنى الرفيع على أصنافه . والخز المقطوع المرقوم المثقل بالذهب على أجنابه وألوانه ، والمحفور الدجلى القديم والمحفور الأرمنى ، وغير ذلك من أصناف الفرش مما أحدثه العراقيون

وكان ذلك على حين طيب الزمان ، واجتماع خيرات كل أوان ، فى زمن

---

(١) قوله : فالجبلى كذا فى الاصل هنا وفيما يأتى من صفحة ٢٧٦ والذى يظهر أنه يريد الغربى

الورد ووقت النيروز الفارسى . وهو حين تكامل النبت ، زيادة المياه ، وطلوع الثمار ، وزهر الأشجار . واصطنع فى البستان الأعظم على البركة التى يجتمع بفنائها الجبلى والشرقى دجلة والفراة قصراً مبنياً من السكر على أربع طبقات ، بأبواب تدور به ، وأبواب تغلق عليها من فوقها طبقة فطبقة ، تطلع من تلك الأبواب صور من السكر على هيئة الجوارى والغلمان ، بصنوف الملاهى فى أحسن الملابس والحلل . وجمّل على شرافاتها وطبقاتها وخباياها صور أنواع الطير والحيوان والوحش ، وجعل من ورائها رجالا تنفخ بالبوقات والمزامير كل صنف يخرج منه صوت يليق بصورته صوت مثله ، وكل ذلك من السكر المموه بصنوف الأصباغ والنقوش والذهب

ثم نصب القيان وأصحاب الملاهى على طبقاتهم متفرقين (١) فى تلك المجالس . وحضر احمد بن بويه وولده بختيار وابراهيم ومحمد ، كل منهم فى قواده وجنده وكتابه ووجوه رجاله وحاشيته ، وأمر بعرض دجلة . فمدّ من جانبها الغربى الذى هو الركن المجتمع فيه دجلة والفراة إلى الجانب الشرقى الذى بأزائه حبل مفتول ، ونثر على الماء من الورد ماغطى دجلة من الجانب إلى الجانب الآخر ، إلاّ ماخرقته أنواع المراكب من الطيارات والزلاّلات والحديديات والذيارب والسماريات التى ركبها أحمد وأصحابه الى من سواهم من العامة ، وانتظمت هذه المراكب جانبى دجلة من حد هذه الدار ومابأزائه من الجسر الذى بباب الطاق ، وصار المسلوك من دجلة فى وسطها ، وصار ذلك الورد مستقبل المنحدر إلى الدار يمنعه الحبل المعترض من الجرى مع الماء من تحته

ثم تلقى احمد و بنيه بما أعد لهم من الكرامة والحباء ، فكان من صنوف ذلك دنانير ودراهم ضربها فى كل دينار منها ودرهم خمسة دنانير وخمسة دراهم عليها صنوف الصور فى أوانى الذهب والفضة ، الفضة فى الذهب ، والذهب فى

---

(١) كذا ولعله : متصدرين

الفضة ، وأنواع البز من صنوف الحرير والنسيج والخز والشرب[1] وأصناف المتاع ، وأعد من الخيل والمراكب والغلمان بصنوف الملابس بقدر مايقتضيه ما قدمنا ذكره

ثم أخذ فى اطعام الجميع ؛ حتى عمّ سائرهم صغيرهم وكبيرهم ، إلى أن وصل ذلك بأصحاب السفن فأتى على سائرهم طعاماً وشراباً

ولمّا حضر الانصراف ؛ قدم بين يدى احمد من تلك الصوانى الذهب والفضة من كل صنف صنيتين[2] ، فى كل واحدة ألف دينار وألف درهم ، ومن الخلع والدواب والمراكب ما يشا كل ذلك وجعل لبختيار بن احمد ما يشا كل ذلك ، ولكل واحد من اخوته نصف ذلك ؛ وعمّ سائر القواد والرؤساء على أقدارهم من كسوة وغيرها كل إنسان بقدره . ثم أمر بنهب القصر السكر ، فنهبه الحشم والغلمان والعامة حتى أتوا على آخره

وقد حكى منصور بن عيسى بن سوادة الكاتب ، وكان يلى دواة العباس وكان خصيص به قديم الصحبة له خبيراً بأمره . قال : قدّم سيدنا أبو الفضل مقدار مالزمه على إصلاح المفيض ، وبناء الدار ، وما أنفقه فى الدعوة من ماله سوى ماعضده به الكتاب والعمال والصناع ، فكان مبلغه ستمائة ألف دينار ، فسئل عن مقدار ما كان أعانه من قدمنا ذكره . فقال : هو والله أكثر من أن أحصيه ! ولم يكن للعباس علم ولا ضرب فى الكتابة بسهم . ولكن كانت له دراية بالأعمال ، وتصرف فى أمور السلطان ، وكانت له همة عالية . ويقال : أن جده فاخراً كان إسكافاً .

وكان العباس تزوج زينة بنت المهلبى ، وكانت قد بلغت بها الحال إلى أن

---

(١) والشرب كذا فى الاصل ولم اقف عليه فى صنوف الأمتعة وأهل مصر يطلقون على الجورب شراب ويقولون : اشربه . (٢) صنيتين كذا بتقديم النون وهى لغة المصريين فان العامة منهم لايحققون الياء أولا

اتخذت الجوارى الأتراك حجابا فى زى الرجال على ماجرى به رسم السلطان ، وكان لها كتّاب من النساء : مثل سلمى النوبختية ، وعائشة بنت نصر القسورى حاجب المقتدر ، وغيرهما من القهارمة . ومن يتصرف فى الأعمال تصرف الرجال ، وكان لها كرم وجود فى الأموال . فلما قبض على زوجها أبى الفضل بعد وزارته الثانية لبختيار بن احمد ، وقد صارت الوزارة لمحمد بن بقية . اختفت زينة ابنة الحسن وسائر أسبابها ، فجعلت عليها العيون فى كل مكان ، واستقصى على أبى الفضل زوجها . وسلم إلى محمد بن عمر بن يحيى بعد طاهر العلوى ، فخرج به من بغداد إلى الكوفة ، فأقام عنده مدة يسيرة ثم مات ودفن هناك فى النجف بجوار قبر على بن أبى طالب كرم الله وجهه

ولم يزل بختيار ، يطلب زينة وأسبابها ، فعثر على أكثر أسبابها فلم يجد لها موضعاً . وكان سبب اختفائها منه أنه راسلها فى حين القبض على أبى الفضل ، وأعلمها أنه يسومه الترك لها ليتزوج بها ، فردت أقبح رد وأنكرت ذلك ، فكان ذلك سبب اختفائها ، وكان لها من الذخائر والودائع فى أيدى جماعة مما كان يغنى كثيراً من الناس ، فلما بلغ بها الأمر طمع كل واحد فيما فى يده والغدر به

ولما كان بعد اليأس من وجودها ، ظهر بظاهر الخلد بقرب محلة تعرف بالدسترقين فرد محمل مغطى ، فيه امرأة فى أخلاق وعند رأسها رقعة مكتوب فيها زينة بنت الحسن بن محمد المهلبى الوزير ، فاشتهر ذلك عند الخاصة والعامة ، ووافى القاضى أبو تمام الحسن بن محمد الهاشمى المعروف بالزينبى ، فاحتملها لداره وتولى من أمرها مايجب لمثلها ودفنها فى مقابر قريش ، وقد كانت أختاها تحت ولديه أبى الحسن وأبى القاسم .

***

وكان أبو الحارث حسين : يظهر لجارية من المحبة أمراً عظيما فدعته وأخرت الطعام إلى أن ضاق . فقال : ياسيدتى مالى لاأسمع للغداء ذكراً . فقالت : ياسبحان

الله ! أما يكفيك النظر إلى ، وما ترغبه فى من أن تقول هذا ؟ فقال : ياسيدتى لو جلس جميل و بثينة من بكرة إلى هذا الوقت لا يأ كلان طعاماً لبصق كل واحد منهما فى وجه صاحبه . أراد قوم من البصرة الحج . فقال : أحدهم على الطعام . وقال : أحدهم على الشراب . وقالوا : ما عليك أنت يا أبا اسحاق فقال : لعنة الله على إذ لم آ كل وأشرب معكم ، فضحكوا منه ومضوا به .

٭٭٭

قال أبو عبيدة : أجريت الخيل فى الحلبة فجاء فرس من الخيل سابقاً ، فجعل رجل من النظارة يكثر الفرح و يكبر و يصفق . فقال له رجل إلى جانبه : يافتى الفرس لك ؟ قال : لا ! ولكن اللجام لى .

٭٭٭

دخل طفيلى عرسا فلم يقدر على الدخول ، فأخذ قرطاسا وأدرجه ولم يكتب فيه شيئا ، وسأل عن العروس هل له قرابة غائب . فقيل : أخوه . فكتب عنوان الكتاب من فلان ابن فلان إلى أخيه ، وجاء فدق الباب . وقال : معى كتاب من أخى العروس فخرج العروس مبادراً فأدخله وأحضر له الطعام ، فلما قرأ العنوان قال : سبحان الله ! تراه نسى اسمى إذ لم يكتبه على الكتاب . فقال : الطفيلى وأعجب من هذا انه لم يكتب داخله شيئا من العجلة ، فعلم مراده وأدخله (١) .
وأنشد بعضهم لابى محمد بن وكيع :

بينا أنازل امرى أن يجي فرج مقدما فيه بين السوف والليت
إذا بصرت بباب الدار مستلما فملت مستمعا أصغى إلى الصوت
فقلت من جا بباب الدار يقرعه نادى أنا فرج زن لى كرى بيتى

عوتب طفيلى على التطفيل . فقال : والله مابنيت المنازل الا لتدخل ، ولا

(١) ذكر الخطيب البغدادى فى كتابه حكايات الطفيليين هذه الحكاية وفيها اختلاف فى الالفاظ .

نصبت الموائد إلا لتؤكل ، وإنى لأجمع فى التطفيل خلالا ، ادخل مجالسا ، وأقعد مستأنسا ، وأنبسط وإن كان رب الدار عابسا ، ولا أتكلف مغرما ، ولا أنفق درهما ، ولا أتعب خادما .

قال أبو دراج الطفيلى لأصحابه : لا يهولنكم غلق الأبواب ، ولا شدة الحجاب ، ولا عنف البواب ، وتحذير العقاب ، ومبارزة الألقاب ، فان ذلك صائر بكم إلي محمود النوال ، ويغنى لكم عن ذل السؤال . واحتملوا الوكزة الموهنة ، واللطمة المزمتة ، فى جنب الظفر بالبغية ، والدرك للأمنية ، والزموا الطوزجة (١) للمعاشرين ، والخفة بالواردين والصادرين ، والتملق للملهيين والمطربين ، والبشاشة بالخدم والموكلين ، فاذا وصلتم إلى مرادكم فكلوا محتكرين ، وادخروا لغدكم مجتهدين ، فانكم أحق بالطعام ممن دعى إليه ، وأولى ممن صنع له . فكونوا لوقته حافظين ، وفى طابه متمسكين ، واذكروا قول أبى نواس :

ينخمس مال الله من كان فاجراً وذى بطنة للطيبات أكول

* * *

جلد بعض الشرط رجلا وكان الجلاد قصيرا دميما والمجلود طويلا . فقال له الجلاد : تقاصر لينالك الضرب . فقال : ويلك ! إلى أكل الفالوذج تدعونى . والله لوددت أن تكون أنت أقصر من يأجوج وماجوج ، وأنا أطول من عوج . دخل إعرابى من ثقيف على خالد بن عبد الله القسرى ، فشكا إليه قلة المطر ، وجفوف الشجر وكثرة العيال ، وعدم المال . وكان خالد مبغضاً لثقيف ، فقال : أما ما ذكرته من قلة المطر ، فوددت أن الله جل اسمه ضرب بينكم وبين السماء صفائح من حديد . وجعل مسيلها مما يلى البحر ، فلا تصل إليكم قطرة من مائها . وأما ما ذكرت من يبس الشجر فوددت أن الله أحرق ما لديكم من ذلك ، وأما ما ذكرت من قلة المال وكثرة العيال ، فوددت أن الله قطع يديك ورجليك ولم يجعل لأهلك

---

(١) كذا فى الاصل ، ولعله من الطازج

كاسب غيرك . فقال: أيها الأمير أصلحك الله ، وطئت أرضك ، وأملت رفدك ، فلا تصرفني بحسرة الحرمان ، واجعل قراى منك بقدر أملي فيك ، لا بقدر نسبي عندك . قال : ياغلام أعطه بدرة ، ثم زاده أخرى .

وجلس مالك بن طوق في قصره في شباك مطل على رحبته ، ومعه جلساؤه إذ أقبل اعرابي تخبُّ به ناقته . فقال : إياى أراد ، ونحوى قصد . ولعل منه أدبا ينتفع به ، ثم أمر بادخاله ، فلما مثل بين يديه . قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : سيب الأمير ورجاء نائله قال : هل قدمت أمام رغبتك وسيلة ؟ قال : نعم ! أربعة أبيات قلتها بظهر البرية ، فلما رأيت ما بباب الأمير من الهيبة والجلال ، استحقرتها واستصغرتها . قال : فهل لك أن تنشدنا أبياتك على أن نجيزك عليها الف درهم ، فان كنت ممن أحسن ربحنا عليك ، وإلا فقد نلت مرادك ، وربحت علينا . قال : رضيت وأنشده

وما زلت أخشى الدهر حتى تعلقت ... يداى بمن لايتقى الدهر صاحبه
فلما رآنى الدهر تحت جناحه ... رأى مرتقى صعباً منيعاً مطالبه
رآنى بحيث النجم فى رأس باذخ ... تظل الورى أكنافه وجوانبه
فتى كسماء الغيث والناس حوله ... إذا قحطوا جادت عليهم سحائبه

فقال : قد والله ظفرنا يا أعرابي ، ورزقنا الفلج عليك ، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم . قال : فان لى صاحباً شاركته فيها ، وما أراه يرضى ببيعى . قال : اتراك حدثتك نفسك بالنكث ؟ قال : نعم ! وجدت النكث فى البيع خيراً من خيانة الشريك ، فأمر له بعشرة آلاف دينار .

☆ ☆ ☆

وركب المتوكل زلالا ومعه قطاطة وعبادة المخنثين . وكان قطاطة طويلا جداً . فجعل يغنى إلى أن هبت ريح شديدة وثارت دجلة ، فأمسك عن الغناء . فقال له المتوكل : مالك ؟ قال : ياسيدى أفزعنى ماأرى ، فرفع عبادة يده وصفعه . وقال : يا ابن الفاعلة ! تتوهم أن فى دجلة ماء يطولك .

لمـا أراد لبيد بن ربيعة أهله على إحضاره مجلس النعمان ، ومباهلة ابن زياد العبسى على ما خاطب به أهله بحضرة النعمان . أراد أهله أن يختبروه لأنهم استصغروه ، فنظر عمه إلى بقلة لاصقة بالأرض ـ وهى جدير الأرض . فقال: صف لنا هذه البقلة حتى أسمع . فقال لبيد : إن هـذه البقلة رذلة دقيقة الخيطان ، ذليلة الأغصان ، لا تذكى نارا ، ولا تستر جاراً ، ولا توهل دارا . عودها ضئيل ، وخيرها قليل ، وبلدها شاسع ، ونبتها خاضع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعى ، وأصعبها قلعا ، فحربا لجارها وجدعا ، فألقوا بى إلى أخا عبس ، ارجعه عنكم بتعس ، وأتره من أمره بلبس . فقال له : سر ! فلما قدم على النعمان وعنده الربيع أنشده :

نحن بنو أم البنين الأربعه الضاربون الهام تحت الخيضعه

والمطعمون الجفنة المدعدعه

* * *

وكان بشار جالساً على باب داره ، فمر به ابن أخيه مع أصحاب له . فقال : أصحاب ابن أخى هؤلاء أتراك . قيل : من أين علمت ؟ قال : لأنى لا أسمع لهم حس نعال . قيل لبشار : إن فلانا يزعم أنه لا يبالى بلقاء واحد أو ألف فقال : صدق لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف.

* * *

حكى المدائنى . قال : كان فى المدينة امرأة جميلة عفيفة ذات زوج ، وكان فتى من أهل المدينة يتبعها كلما خرجت و يعرض لها ، فلما أذاها شكته إلى زوجها . فقال لها : فما عندك فى أمره حيلة . قالت : قد فكرت فى شىء إن ساعدتنى عليه . قال : فأنا أساعدك ، فبعثت جاريتها إليه تقول : إنّ الذى بقلبى منك أكثر مما بقلبك منى ، ولكنى امرأة مستورة ولا أعرف الفساد ، فكنت أمتنع عليك وفى قلبى النار ، فلما بلغته الرسالة استطار فرحاً ، وقال للجارية : ما أدرى كيف أؤدى شكرك إذ جرى هذا الأمر على يدك ، فبلغيها السلام وقولى لها : إنى صائر

إليك غدا ووهب للجارية دينارا . وطالت ليلته حتى أصبح وجّه إليها بجدْى وفاكهة . فقالت الجارية : قد وجب على شكرك لاجابتك إياى فى حاجة مولاتى ، وأنا أشير عليك بحيلة بها يتم أمرك . قال : وما هى ؟ قالت : سيدتي فيها حشمة وخجل وانقباض عن الرجال ، فاذا جلست معك فلا تتعرض لها بكلام ولا بغيره ، حتى تشرب معك أقداحاً . قال : نعم ! وصعدت الجارية فعاونت سيدتها على إصلاح الجدى والطعام ، فلما احكمتاه نزلت الجارية وبسطت لسيدتها مصلّى وجاءت فسلمت وقعدت ، وجاءت الجارية بالطشت والماء فغسلت أيديهما ، ووضعت المائدة بينهما ، وجاءت بالجدى والطعام . فحين أخذ المخذول اللقمة فوضعها فى فمه جاء الزوج فقرع الباب ، فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت : افتضحت وهلكت . فقال : دعى الجزع واحتالى فى موضع أكمن فيه إلى خروجه . قالت : ما أعرف موضعاً يخفى عليه إلا أن تحل الحمار الذى فى الدهليز وتقوم فى مكانه . فقال : افعلى !! فجاءت الجارية إلى حمار يطحن فى الدهليز مشدود العينين فنحته وربطت المغرور مكانه . وقالت : اطحن مكان الحمار ولا تمسك فيفطن بك ، فإنى أرجو أن يخرج سريعاً وترجع إلى سرورك ، ثم فتحت الباب ودخل الزوج . فقالت له : خرجت على أن تقيم أياماً فما الذى جاء بك الساعة ؟ قال : كنت عزمت على ذلك فمر بى إخوان فعرضت عليهم المقام فى الضيعة . فقالوا : لا يمكننا اليوم ولكننا إن شاء الله تعالى نصير إليك غدا ، فأردت أن يكون مجيئهم إلى البيت أسهل على ، فبادرت إليك لتصلحى ما يحتاجون إليك وخاصة الدقيق ، فينبغى أن لا يفتر الحمار فى الدقيق ، فجلسا يأكلان والمخذول يطحن ، ثم وضعا نبيذا وجعلا يشربان ، والزوج يقول ساعة بعد ساعة ، هاتى العصا لكى أقوم لهذا الحمار الملعون فإنى أراه كسلان ، ونحن نحتاج إلى الدقيق كثيرا ، فتقوم الجارية فتقول له الله الله ! فى نفسك لا تفتر ، فإنى أخاف أن يقوم فيراك ، فلم يزل يطحن دائباً والرجل يشرب مع امرأته إلى أن طلع الفجر ، فقام الرجل فتهيأ

للصلاة وخرج إلى المسجد ، فحلت المغرور وقالت : طر إلى بيتك لئلا يراك إنسان فتفتضح ، فخرج يعدو على وجهه عريان و يده على سوأته ، فدخل إلى منزله و بقي مسبوتا مطروحا على وجهه لايحرك عضوا ، فلمّا كان بعد مدة قالت المرأة لزوجها : قد بقي علينا شيء من الولع بالمخذول . قال : شأنك ، فبعثت إليه وقالت : مولاتي تقرئك السلام وتقول لك الله يعلم ماتداخل قلبي مما نزل بك ، ولوددت أني أقيك بنفسي ، ولكن المقادير تنزل من السماء ، و إني إليك لمشتاقة فأحب أن تصير إلينا فان زوجي قد خرج إلى موضع له فيه مقام شهر ، فنستأنس جميعاً ونسترجع مافاتنا ، فالتفت إليها سريعا . وقال : عسى قد فرغ دقيقكم

ودخل بشار على المهدى ينشد شعرا وعنده خاله يزيد بن منصور الحميرى وكان مغفّلا . فقال : ماصناعتك أيها الشيخ ؟ قال : أنظم اللؤلؤ . فقال المهدى : أتهزأ بخالى ؟ قال : وما أقول لمن يرى شيخاً أعمى ينشد شعرا فيسأله عن صناعته . وقالت جوارى المهدى له : إن بشاراً لأطيب الناس مفاكهة ، وهو ضرير البصر ولاغيرة بك علينا معه إذ لايرانا ، فلو أدخلته إلينا ؟ فمعل ! فبادرنه وطايبنه وقلن إنك أبونا . فقال : ونحن على دين كسرى ، فبلغ ذلك المهدى فمنعه فيما بعد من الدخول عليهنّ . أخذه المتنبي فقال :

يا أخت معتنق الفوارس فى الوغى ... لأخوك ثمَّ أرق منك وأرحم
يرنو اليك مع العفاف وعنده ... إنّ المجوس تصيب فيما تحكم

و بشار بن برد ، أحد الأعاجيب خلق اكمه ، وهو يشبّه التشابيه التى لم يسبق اليها مما لايدركه البصير ، وهو أول من فتق البديع للمحدثين . وقتله المهدى سنة سبع وستين ومائة ، وكان سبب قتله أن المهدى قدم البصرة فأعطى الشعراء ولم يعط بشاراً شيئاً ، فأتى بشار إلى مجلس يونس النحوى . فقال : أههنا أحد يحتشم منه ؟ قالوا : لا ! فأنشده :

فليت ما أنفقت فى مصرنا ... كان جميعا فى حر الخيزرانْ

فبلغ ذلك يعقوب بن داود مع مابلغه من هجائه إياه ، فدخل على المهدى . فقال له : يا أمير المؤمنين قد بلغ من هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين . قال : ويحك وما قال ؟ قال تعفينى يا أمير المؤمنين من إنشاد ذلك ، فأبى عليه فأنشده ما قال فوجّه فى حمله ، فخاف يعقوب أن يقدم على المهدى فيمدحه فيعفو عنه ، فوجه إليه من لقيه فى البطيحة فضربه بالسياط حتى مات ، وجعل يقول ويلك أزعجتنى ؛ أما علمت أنى شاعر وليّا العهد موسى وهارون . فقال له : يازنديق تضرب ولاتقول بسم الله ! قال : ويلك أثريد هو فأسمى الله عليه . قال : فأرسل المهدى إلى منزل بشار من يفتشه وهو يقول : لعلنا نجد شيئا تقام به الحجة . قال : فوجد صندوقا مقفلا بقفل وثيق ، فظنوا أن فيه بعض ما أتهم به ، فاذا فيه طومار مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . أردت هجاء آل سليمان بن على لاساءتهم إلىّ وطلبهم لى ، ثم ذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتهم لله ولرسوله . ولكنى قد قلت وأنا أستغفر الله تعالى .

دينار آل سليمان ودرهمهمْ ... كالبابليين حفّا بالعفاريت
لا يبصران ولا يُرجى لقاؤهما ... كما سمعت بهاروت وماروت

ومن جيد شعره قوله :

أمِن تجنّى حبيبٍ بات غضبانا ... أصبحت من سكرات الموت سكرانا
يا قومُ أذنى لبعض الحىّ عاشقةٌ ... والأذنُ تعشق قبل العين أحيانا
قالت بمن لا ترى تهوى فقلت لهم (١) ... الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
يا ليتنى كنت تفاحا براحتها ... أو كنت من قُضُب الريحان ريحانا
حتى إذا استنشقت ريحى وأعجبها ... ونحن فى خلوة خوِّلتُ أسنانا
لا تعذلونى فأنى من تذكّرها ... نشوان هل يعزل الصاحون نشوانا

(١) كذا فى الاصل وكتب الشيخ حفنى المهدى : لعله قالوا . وفى مجموعته التى جمعها الفاضل القرنى : قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم . الخ .

لم أدر ما وصفها يقظان قد علمت   وقد لهوت بها فى النّوم أزمانا
باتت تناولنى فاها فألثمه   جنّيّة زُوِّجَتْ فى النّوم إنسانا

وقال :

ياقرّة العين إنى لا أُسمّيك   أكْنى بأخرى أسمّيها وأعنيك
أخشى عليك من الجيران واحدةً   أو سهم غيْران يرمينى و يرميك
ياأطيب النّاس ريقا غير مُختَبرٍ   إلاّ شهادة أطرافِ المساويكِ
قد زُرتنا مرّةً فى الدهر واحدةً   عودى ولا تجعليها بيضة الديك
يا رحمة الله(١) حلّى فى منازلنا   حسبى برائحة الفردوس من فيك
إنّ الذى بات مغبوطاً بنعمته   كفّ تمسك أو كفّ تعَاطيكِ
يسرنى وجهك المعشوق مقبله   وان تواليت راعتنى تواليك
كأنّ مسكا وريحانا وغالية   ما بين حجلك أو أعلى دفاريك

وقال :

لم يطل ليلى ولكن لم أنمْ   ونفى عنى الكرى طيفٌ ألمْ
رفِّهى يا عبد عنّى وآعلمى   أنّنى يا عبد من لحمٍ ودَمْ
إنّ لى جسما ضعيفا ناحلا   لو توكّأتِ عليه لانُهدمْ
ختم الحبّ لها فى عنقى   موضع الخاتم من أهل الذمم
واذا قلت لها جودى لنا   خرجت بالصمت من لا ونعم

قال مروان بنُ أبى حفصة : أنشدنى بشار هذه القصيدة فلما بلغ هٰذا البيت . قلت له : جعلنى الله فداك أبا معاذ ! هلاَّ قلت : خرست ، قال لى : فضّ الله فاك انى اذاً لفى عقلك ، أَتَطَنَّزُ علىّ من أن أُجيب بالخرس

و بشار مولى لعقيل بن كعب وهو يفتخر فى شعره بالمضرية . ولمّا دخل

(١) اسم لقينة يتشبب بها .

على المهدى فى أوّل دخلاته . قال : فيمن تعتد ؟ قال اما اللّسان فعربى ، وأما الأصل فكما قلت :

و نبئت قوما لهم احنة (١) ... يقولون ماذا وأنت العَلَمْ
ألا أيها السائلى جاهلا ... ليعرفنى أنا أنفُ الكرمْ
نَمَتْ فى الكرام بنى عامرٍ ... فروعى وأصلى قُريش العجم
وانى لاغنى مقام الفتى ... وأصبى الفتاة ولا تعتصم

البيتُ الأوّل يشبه قول جميل :

فليت رجالا فيك قد نذروا دمى ... وهموا بقتلى يا بُثَيْن لقونى
يقولون لى أهلا وسهلا ومرحبا ... ولو ظفروا بى ساعة قتلونى
إذا ما رأونى مُقبلا من ثنيَّةٍ ... يقولون مَن هـذا ؟ وقد عرفونى

وفى هذه القصيدة يقول بشار :

أصفراء ليس الفتى صَخْرَةً ... ولـكنّهُ نصبُ همٍّ وَغَمْ
صببت هواك على قلبـه ... فبـاح وأعلن ما قد كتم
و بيضاء يضحك ماء الشبا ... ب فى وجهها لك إذ تبتسم
دواء العذارى إذا زرنها ... أطفن بحوراء مثل الصنم

وفيها يقول يمدح عُمرو بنُ العلاء :

إذا أيقظتك حروبُ العِدَى ... فنبه لها عمراً ثم نَمْ
فتًى لا ينام على دمنة ... ولا يشرب الماء إلاّ بَدَمْ
دعانى الى عمرو جوده ... وقولُ العشيرة بحر خضم
ولولا الذى ذكروا لم أكن ... لامدح ريحانة قبل شم
يلذ العطاء وسفك الدما ... ء ويغدو على نقم أو نعم

---

(١) فى المجموعة :

ونبئت قوما بهم جنـة ... يقولون من ذا وكنت العلم

تطوف العفاة بأبوابه طَواف الحجيج ببيت الحرم
إذا عرض اللهو فى صدره بدا بالعطايا وضرب البهم
وجال اللوّاء على رأسه يدوّم كالمضرجى الفدم

وقال بشار :

حيّيا صاحبيّ أم العلاء واحذرا طرف عينها الحوراء
عذبتنى بالحبّ عذّبها اللّه بما تشتهى من الأهواء
إنّ فى عينها دواء وداء لمحبّ والداء قبل الدواء

يقول فيها يمدح عقبة بن سلم الهنائى :

مالكفّ ينشق عن كفّه الجو د كما انشقت الدجا عن ضياء
إنما لذّة الجواد ابن سلمٍ فى عطاء لراغب أو لقاء
ليس يُعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذّ طعم العطاء
يسقط الطير حيث يلتقط الحـ ـبّ وتغشى منازل الكرماء

وكان بشار : شجاعاً(١) خطيباًصاحب منثور ومزدوج ورجز ورسائل مختارة على كثير من الكلام . ودخل على عتبة بن سالم :وعنده عقبة بنُ رؤبة بنُ العجاج فأنشده أرجوزة ثم أقبل على بشار. فقال : هذا طراز لاتحسنه يا أبا مُعاذ . فقال : والله لأنا أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ، ثم عدا على عقبة من الغد فأنشده أرجوزة أوّلها :

يا طلل الحىّ بذات الصمّدِ بالله خبّر كيف كنت بعدى
بدت بخد وجلت عن خدّ ثم أنثنت كالنفس المرتد
وساحب كالرمل الممتد حملته فى رقعة من جلدى
حتى اغتدى غير فقيد الفقد وما درى مارغبتى وزهدى
الحر يلحى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد

---

(١) كذا فى الأصل : ولعله سجاعا .

يقول فيها :

اسلم وحييت أبا المكد وألبس طرازًا غير مستردِ
لله أيامك فى معد

وهى طويلة فأجزل صلته ، فلما سمع ابنُ رؤبة ما فيها من الغريب . قال : أنا وأبى وجدّى فتحنا الغريب وانى لخليق أن أسدّهُ عليهم ، فقال بشار : إرحمهم رحمك الله ! قال : اتستخف بى وانا شاعر ابن شاعر ابن شاعر . قال : فإذن أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرا

كان جامع بن وهب الصيدلانى من أكبر الناس دنيا ، وأعظمهم غفلة ، اشترى مرة ثلجا كثيرًا . فقيل له : إنه كثير . فقال : أريد أن أمصه وأرمى بتفله . وأعطى ببغل له ثمنا خسيساً . فقال : ماللعقار ببغداد قيمة ؟ . ودخل بستانا له . فقال لوكيله : أغرس لى بصلا بخل ، فانه نافع للصفراء . وكتب إليه بعض الكتّاب كتابا ، فأجابه عنه ، وعنوانه : من ذاك الذى كتب إلىّ . وعثرت به البغلة . فقال لغلامه : أنظر هل سال من أصبعها دم ؟ . وكتب إلى ابنه — وقد خرج من مكة — : يا ولدى ان قدرت أن تضحى عندنا فافعل ، لنفرح بك فى العيد . وسقطت ابنته فى البئر . فقال : يابنية لا تبرحى من مكانك حتى أجئ بمن يخرجك منها !

وتبخر مغفل فى ثياب نفيسة فاحترقت ، فحلف بالطّلاق لا يتبخر بعدها إلا عريانا . وأتى آخر ليكسر لوزة فزهقت عن الحجر . فقال : كل شىء يفر من الموت حتى البهائم أيضاً

***

وكان بمصر واعظ يقال له أبو عبد الله الخواص ، من أشد الناس غفلة ، وقفه به رجل من العامة يقال له محمد القمقمانى الخباز . فقال له : أصلحك الله لى نفس معلولة لاتجيب إلى شىء من الخير ، فما يصلحها لى ؟ قال : اقرأ القرآن وأكثر منه . قال : ما أحفظ غير الحمد وقل هو الله أحد ، وقد قرأتهما مرات كثيرة ونفسى

بحالها . قال : فاذكر الموت . قال : اليك الله ! قد فعلت فما خشعت ، ولا جاء منها شيء . قال : فاكثر حضور مجالس الذكر . قال : من أين أجد ؟ وقد تركت شغلي ولزمت المجالس ونفسي كما هي . قال : لعن الله نفسك فانها مشؤمة ملعونة كما قلت ، والرأي أن تمضي بها إلى جرجان بن مطهر صاحب الشرطة يؤدبها لعله يجيء منها بشيء .

***

كان هشام بن عبد الملك : أحول قبيح المنظر ، فعرضت عليه خيل الجند ، فعرض رجل من أهل حمص فرساً نفوراً . فقال له هشام : ماهذا ؟ قال : أصاحبك الله هو فاره ، ولكنه ظن أنك حيزون البيطار . فقال : أعزب في لعنة الله ! .

أصاب حمصي جملا . فقيل له : عرفه ! قال : أبيعه وأعرف ثمنه .

قال علي بن عيسى الوزير : كان يبلغني عن أهل حمص تغفل ، فأظن أكثره تشنيعاً ، حتى دخلتها ، فاذا برجل بين يدي حجام وقد مص عنقه بمحجمتين لم أر أكبر منهما ، وهو يشرط في وسط عنقه ، فلما رآني أقبلت في موكب . قال : من هذا ؟ فقال الحجام : هذا الوزير علي بن عيسى . فقام والمحجمة في عنقه والدم يسيل على كتفيه وظهره . وقال : السلام عليك إيش كان خبرك أيها الوزير ؟ قلت : خيراً ، وانصرفت فحلفت أن لا أدخل حمص ونزلت بظاهرها حتى أنجزت ما أتيت فيه .

***

وأتى رجل بقرد يبيعه ، فجاء عبادي فنظر إليه . فقال صاحبه له — وقد دنا من رجله : احذر لئلا يرمحك، فدنا من يده . فقال : احذر لئلا يخبطك، فدنا من فمه . فقال : احذر لئلا يعضك ، فتباعد العبادي ناحية فقيل له لم تباعدت ؟ فقال : احذر لئلاّ يرميني بحجر . قعد عبادي وأعرابي يأكلان . فقال العبادي للأعرابي: كيف مات أبوك ليشغله بالكلام عن الأكل ؟ فقال : أصابه كذا وكذا ، فاخذ في حديث طويل والعبادي يأكل ، ثم قال الأعرابي : وأنت كيف مات أبوك ليشغله

بالكلام عن الأكل ؟ فقال : انتخم ثمات . ودخل عبادى الماء إلى الكعب فصاح الغريق الغريق ! ! قيل له : مادعاك إلى هذا . فقال : أردت أن آخذ بالحزم . ومر عبادى برجل ومع الرجل رمح . فقال : أتبيعه ؟ قال : نعم ! قال : فبكم تريده ؟ قال : برغيف . قال : سبحان الله تطلب هذا برغيف . قال : أخزى الله شرهما فى الجوف

***

حمل عبيدالله بن يحى بن خاقان أبا العيناء على دابة، فأخذها منه ابنه . وقال: أبعث إليك بخير منها ، فتأخر عنه ذلك ، فلقيه . فقال : ما خبرك ؟ فقال : بخير ، يامن أبوه يحمل وهو يرجل . فقال : أنا أنفذ اليك بغلا فارها بغير تأخر ، فتأخر عنه ثم لقيه . فقال : كيف حالك يا أبا عبد الله ؟ قال : راجل أصلحك الله ! فضحك وأنفذ اليه بغلا زعم أبو العيناء أنه غير فاره . فكتب إلى أبيه : أُعلم الوزير أعزه الله ! أن أباعلى محمداً أراد أن يبرنى فعقنى ، وأن يركبنى فأرجلنى ، أمرلى بدابة تقف للنثرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفا ، والعاشق المجهود دنفا ، قد أذكرت الرواة عروة العذرى ، والمجنون العامرى ، مساعداً أعلاه لأسفله. حباقة مقرورة سبعالة[1] فلو أمسك لترجيت ، ولو أفرد لتعريت ، ولكنه يجمعهما علىّ فى الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، يضحك من فعله النسوان ، و يتناغى من أجله الصبيان ، فمن صائح يصيح داؤه بالطباشير ، وقائل يقول نقوا له الشعير ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء بالأمصار . فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفى ، وعامر الشعبى ، و إنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذى إن اختار لنفسه أطاب وأكثر ، و إن اختار لغيره أخبث وأنزر ، فان رأى الوزير أن يبدلنى عنه ، و يريحنى منه ، بمركوب يضحكنى كما ضحك منى ، يمحو بحسنه وفراهته ، ماسطره العيب بقبحه

---

(١) كذا فى الأصل ولم أقف عليها فى غيره

ودمامته ، ولست أذكر أمر سرجه ولجامه ، لأنّ الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه .

فوجه اليه عبيد الله ببرذون من براذنيه بسرجه ولجامه . ثم اجتمع مع عبيد الله عند ابنه . فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد وقد أخبرني أنه يشتريه الآن منك بمائة دينار ، وما كان هذا ثمنه لا يشتكى ؟ فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً ، لم أنصرف مستفيداً ، و إني و إياه لكما قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه و إنه لمن الصادقين ، فضحك عبيد الله . وقال : يا أبا عبد الله حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك ، أبلغ من حجة غيرك البالغة .

و يشبه هذه : رسالة لأبي الخطاب الصابي ، أجاب بها عن أبي العباس بن سابور المستخرج أبا الخير بن سبرة ، عن رقعة وصلت منه في صفة حمل أهداه ، كتبتها على اختصار .

وأبو الخطاب هذا هو عم أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي — : وصلت رسالتك ففضضتها عن خط مشرق ، ولفظ مونق ، وعبارة مصيبة ، ومعان غريبة ، واتساع في البلاغة يعجز عنها عبد الحميد في كتابته ، وسحبان في خطابته ، وتصرّف بين جد أمضى من القضاء والقدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع لفنون الصواب ، إلا أن الفعل قصر عن القول ؛ لأنك ذكرت حملا جعلته بصفتك جملا ، وكان كالمعيدي تسمع به لا أن تراه ، وحضر فرأيت كبشا متقادم الميلاد ، من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين حملهما نوح في سفينته ، وحفظ بهما جنس الغنم لذريته ، صغر عن الكبر ، ولطف عن القدم ، فبانت دمامته ، وتقاصرت قامته ، وعاد ناحلا ضئيلا ، باليا هزيلا ، بادي السقام ، عاري العظام ، جامعا للمعائب ، مشتملا على المثالب ، يعجب العاقل من حلول الحياة به وتأتي الحركة له ، لأنه عظم مجلّد ، وصوف ملبّد ، لا تجد فوق عظامه سلبا ، ولا تلقى يدك منه إلا خشبا ، لو ألقي للسبع لأباه ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه ، وقد طال للكلأ فقده ،

و بعد بالمرعى عهده ، لم ير القت إلا نائما ، ولا عرف الشعير إلا حالما .

وقد خيرتنى بين أن أقتنيه فيكون فيه غنى الدهر ، أوأذبحه فيكون فيه خصب الرحل ، فملت إلى استبقائه لما تعرفه من محبتى للتوفير ، ورغبتى فى التشمير ، وجمعى للولد ، وادخارى للغد ، فلم أجد فيه مستمتعا لبقاء ، ولا مدفعا لغناء ، لأنه ليس بأنثى تحمل ، ولا بفتى ينسل ، ولا بصحيح يرعى ، ولا بسليم يبقى ، فملت إلى الثانى من رأييك ، وعملت على الأخير من قوليك ، وقلت أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال ، فأنشدنى وقد أضرمت النار ، وحدّت الشفار ، وشمر الجزار :

أعيـذها نظرات منك صادقة   أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما الفائدة لك فى ذبحى . وأنا لم يبق فىّ إلاّ نَفَسٌ خَافِتٌ ، ومقلة إنسانها باهت ، ولست بذى لحم فأصلح للأكل ؛ لأن الدهر قد أكل لحمى ، ولا جلدى للدباغ يصلح : لأن الأيام قد مزقت أديمى ، ولا صوفى يصلح للغزل : لأنّ الحوادث قد حصّت وبرى ، فإن أردتنى للوقود فكفُّ حطب أبقى من نارى ، ولا تفى حرارة جمرى بريح قتارى ، فلم يبق إلاّ أن تطالبنى بذحل ، أو بينى وبينك دم . فوجدته صادقا فى مقالته ، ناصحاً فى مشورته ، فلم أعلم من أى أمريه أعجب : من مماطلته الدهر بالبقاء ، أم صبره على الضير والبلاء ، أم قدرتك عليه مع إعوازى مثله ، أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره ، ويا ليت شعرى إذ كُنتَ والى الغنم وأمرك ينفذ فى الضأن والمعز ، وكل كبش سمين وحملٍ بَطِينْ مجلوب إليك ، مقصور عليك ، تقول فلا ترد ، وتريد فلا تصد ، وكانت هديتك هذا الذى كأنه ناشرٌ من القبور ، وقائم عند النفخ فى الصور ، فما كنت مهديا لو كنت رجلا من عرض الكتّاب ، كأبى على وأبى الخطاب ، ما كنت تهدى إلا كلباً أجرب ، أو قرداً أحدب .

٭ ٭ ٭

وقال الحمدونى فى اضحية أهداها إليه سعيد بن أحمد بن جوسبندا د :

أسعيد قد أهديتنى أضحية   مكثت زماناً عندكم ماتُطعمُ

نضا تغامزت الكلاب بها وقد نبذوا عليها كى تموت فيولموا
فاذا الملا ضحكوا بها قالت لهم لاتهزؤا بى وارحمونى ترحموا
مرت على عَلَفٍ فقامت لم ترم عنـه وغنّت والمدامع سُجَّمُ
وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى مُتأخرٌ عنه ولا مُتقدّمُ

وقال :

أبا سعيد لنا فى شاتك العبر جاءت وليس لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت طعامها الأبيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت فى نومها علفاً غنّت له ودموع العين تنحدرُ
يامانعى لذّة الدنيا بما رحُبت إنى ليمتعنى من وجهك النظر

وقال :

شاة سعيد فى أمرها عبرُ لما أتتنا قد مسّها الضررُ
وهى تُغنّى لسوء حالتها حسبى بما قد لقيت ياعمرُ
مرت بقطف خضر ينشرها قوم فظنّت بأنّها خضر
فأقبلت نحوها لتأكلها حتى إذا ماتبيّن الخبر
وأبدلتها الظّنون من طمع يأسا تغنّت والدمع ينحدر
كانوا بعيداً وكنت آملهم حتى إذا ما تقربوا هجروا

وقال :

لسعيدٍ شُوَيْهَةٌ سلَهَا الضّرّ والعجَفْ
قد تغنت وأبصرتْ رجلا حاملاً علَفْ
بأبى من نكبة بر ودآبى من الدنف
فأتاها مطمعا فأتته لتعتلف (١)
فتـولى فأقبلت تتغنّى من الأسف
ليته لم يكن وقف عذب القلب وانصرف

* * *

---

(١) فى الأصل : فأتاه لتعتلف

ومن الظريف فى هذا الباب ما أنشده أبو على الحاتمى فى حكاية اللّص :

يعجبنى أنك لاتربط من ... خيـل ولا تركب إلاّ النّجبا
لمّـا رأيت الشقر خيـلا سُبّقاً ... ملـكت منهـا أشقراً مجنبا
به سمات من قرونٍ سلفتْ ... يعرف من أقربهـا المهلبا
فللـكلاب قوله مهاوش ... لمّـا دعاهم أجل قد قربا
لاتيأسن ماعشت فى تشييعه ... مُستعملا فيـه العزا والعقبا
خلناه تحت الجـل إذ حللتـه ... قرون ضأن جعلت ملء العبَا
فى كل رِجْلٍ وَيَدٍ زَائِدَةٍ ... وهو على جردانه قد شطبا
كم مرة رأيتـه في بجرمـه[1] ... فخلتـه يربط طنًّا حطبا
وخاف أن يسقط من ضعف به ... فشـد بالحائط منـه القبقبا
تحيَّر البيطار لمّا أن رأى ... فى رأسـه مرقعا معتصبا
مقيراً موصّـلا كأنما ... قد رم منـه زورقا أو زبزبا
فهو لنار شعلةٌ لو لصقتْ ... طاقة كبريت به لالتهبا
كم فيـه من فائدة قد صحّحت ... كتب التباريج[1] لمن تطيَّبا
قد خلق الله لنا من برّه ... ومن نبات البحر خلقا عجَبا
يمشى الى الاسراج مشى القهقرى ... لـكن إلى المعلف ينزو جنبا
من كثرة القردان فى صهوته ... تحسبه مجدّراً مُحصّبَا
لو أن سُلطانا رأى راكبه ... لم يأل أن عـذّره وأدّبا
أقام طول الصيف فى المـاء إلى ... أن أنبت المـاء عليـه الطحلبا
ظننته والشمس لم تبيّض من ... شمس الضحى ولم تحل الغيهبا
من بعض أكواخ النواطيرسرى ... بالريح إذ هبّت له ريح الصبا
بالغ فيه الجوع حتى أنه ... إذا رأى ألقتّ بكى وانتحبا
وجاذب المقود مجهوداً وما ... كاد له المقود أن ينجذبا

(١) — (١) كذا فى الأصل

حمحم للقتّ وقد مرّ به ثم تغنى طرباً واطربا
يا أيها الباخل بالوصل أما ترحم صبّاً كلفا معذبا

دخل أبو العيناء على بعض الرؤساء بكرة، فاستسقى ماء . فقال له الرجل : أفي هذا الوقت تعطش ؟ قال : أصلحك الله هذا أمان لك من الغدا .

***

وكان أبو عباد وزير المأمون ضيقا جداً ، قيل له : إنّ لقمان قال: ما شيء أشد من حمل الغضب . فقال : ولكنّه عندى أخفّ من الرّيشة . قيل له : إنما عنى لقمان أن احتمال الغضب ثقيل . فقال : والله ما يقوى على الغضب أحد من الناس إلاّ الجمل. وغضب يوما على بعض أصحابه ، فشجه بدواة كانت بين يديه . فقال : صدق الله حيثُ يقول : والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون ، فبلغ ذلك المأمون فضحك . فقال : ويلك ! لا تحسن تقرأ آية من كتاب الله تعالى . قال : يا أمير المؤمنين والله إنى لأحسن أقرأ من سورة واحدة الف آية ، فضحك المأمون وأمر باخراجه . ولم يكن جاهلا و إنما كان يجرى عليه الغلط لفرط غيظه .

وقال المأمون لاحمد بن أبى خالد : صف لى ثابت بن يحيى ــ يُريد أبا عباد . فقال : هو والله أحدّ من سيف سعيد بن العاص . فقال : والله ما أتبيّن من هذا شيئاً ؟ فقال : إنْ حركته تبين لك الأمر ، فعرض أبو عباد يوماً عليه كتاباً وخرج ، فلما قرب من الباب أمر المأمونُ بردّه ، فرجع وقد تغير فخاطبه وتركه ينصرف . فلما كاد يركب أمر برده ، فلما عرف الرسول تناول الدّواة من غلامه. وقال : الساعة والله أضرب بها وجهك يا ابن الخبيثة ، كان ينبغى لك أن تقول : قد ذهب الى النار ورجع . فقال له المأمون : أعرض فيما تعرض على حوائج الهاشميين . قال : نعم ! وقل كلما تريد فلست أرجع اليك اليوم بعد هذا ولوقمت أنت بنفسك ! ! فضحك المأمون . وقال قاتل الله دعبلا ــ يُريد قوله :

أولى الأمور بضيعة وفساد أمرٌ يدبره أبو عبّاد
وكأنه مِن دَيْرِ هِرْقَلَ خَارِجٌ حَرِجاً يجر سلاسل الأقياد

وقيل للمأمون : إنّ دعبلا هجاك فقال :

أيسومني المأمون خطة ظالم   أو ما رأى بالأمس رأس محمد
يربى على رأس الخلائق مثلما   تربى الجبال على رؤس القردد
إني من القوم الذين سيُوفهمُ   قتلوا أخاك وشرّفوك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله   واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال : هو يهجو أبا عباد ولا يهجوني – يريد أبا عباد حرج حديد ، والمأمون حليم متساهل . وقال المأمون – لما سمع هذا الشعر : ما في الدنيا أصفقُ وجهاً من دعبل ولا أبهت ، كيف يستنقذني هو وقومه من الحضيض الأوهد ، وأنا في حجر الخلافة رُبيت ، وبدرّها غذيت ، وانما قال هـذا دعبل : لأن طاهر بن الحسين قتل أخاه ، وطاهرٌ مولى خزاعة قوم دعبل

أنشد شاعر أبا عباد قصيدة طويلة ، فضاق ضيقاً عظيما ، ثم تجمّل معـه في استماعها حتى أتمها . فقام رجل من أصحابه يعرف بالغالبي . فأنشد قصيدة أخرى فسمعها ، وقد بلغ الضيق به منتهاه . فقال فيها :

ثبتت رحى ملك الامام بثابت   وأفاض فينا العدل والاحسانا
يقرى الوفود طلاقة وبشاشة   والناكثين مهنّداً وسنانا

فقال أبو عباد : مَهْلا مَهْلا ، إنما أنا كاتب ليست هذه صفتي ، هذه صفة حميد الطوسي . فضحك الحاضرون وزاد ضيق أبا عباد لضحكهم وخجل الرجل. فقال: ما زلت للعافين غَيْثاً مُمْرِعاً متخرقا في جوده . . . . وأُنْسِي من الدّهَش من غيظ أبي عباد باقي البيت ، فأقبل يردد متخرقا في جوده . فقال: قل قرنانا صفعاناودعنا نستريح . فقال : يا سيدي – معوانا – وخرج مولّيا ، فأمر له بعشر آلاف درهم .

قال ابراهيم بن العباس الصولي : لو وزنت كلمات النبي صلى الله عليـه وسلم « انكم لن تسَعُوا الناسَ بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » بكلام أهل الأرض لرجحت، هذا أبو عباد لم يكن في زمانه أكرم منهُ ، وما يكاد يُرى له شاكرًا لسوء خُلقه .

كان أبو عباد يقول : ماجلس أحد بين يدي، إلاّ ظننت أني سأجلس بين يديه .

وكان سليمان الأعمش من الضجر بحيث اشتهر وانتشر. قال له الامام أبو حنيفة النعمان : لولا أخاف أنى أشق عليك لأكثرت زيارتك . فقال: لا تفعل ! فأنت تشقّ على والله وأنتَ فى دارك. وقيل له عمن: أخذت الحدّة ؟ قال: عن يحيى بن وثاب . وسأله رجل عن اسناد حديث ، فقام وأخذ بحلقه وأسنده إلى الحائط يخنقه . وقال : هذا سنده وأتى الأعمش رجل من أصحابه يدعوه إلى طعام صنعه له ، فأدخله الحمام قبل ذلك ، وأتاه بماء حار فسكبه عليه . فقال : أحرقتنى أحرقك الله ! والله لا أدخل إليك ، ولا آكل طعامك اليوم ؛ ثم صنع له طعاماً بعد ذلك ومضى يقوده ، فوقعت إبهام رجله فى مسداة فى الدار يلعب فيها الصبيان بالبندق . فقال : أردت أن تقلبنى فى بئر الله على إن أقمت عندك أو أكلت طعامك . وسلم عليه رجل من أصحابه وقد وجد علة . فقال : كيف بت يا أبا محمد ؟ فرد عليه . ثم قال له آخر : كيف بت ، فأخرج مضربته ومخدته فوضع رأسه عليها . وقال : كذا بت .

* * *

نازع بعض التميميين رجلا من بنى عمه فى حائط بينه و بينه . فبعث إلى قوم ليشهدهم فأتاه جماعة من القبائل ، فوقف بهم عليه . وقال : أشهدكم جميعاً أن نصف هذا الحائط لى . وقدم رجل آخر إلى القاضى فى شىء يدعيه عليه فأنكر . فقال للقاضى : أكتب لى أصلحك الله إنكاره . قال : ذلك فى يدك متى شئت . قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة. فقلت : له لم كنوك أبا خارجة ؟ قال : لأنى ولدت يوم دخل سليمان بن على البصرة . قال الاصمعى : حدثنى ابراهيم بن القعقاع قال رأيت أشعب بسوق المدينة ومعه قطيفة يبيعها وهو يقول من يشترى منى الوصيدة، فأتاه رجلى يساومه. فقال: أبرأ إليك من عيب فيها. قال : وماهو ؟قال: أخاف أن تخرق أن لبستها فضحك، واشتريت بثمن جديدة

دعا رجل ابن احمد فلما صار إلى منزله . قال الرجل لغلامه : امض فاشتر لى لحما بدانقين و بدانقين خبزاً ، فإنه ليس من صديقنا ابن أحمد حشمة فقال ابن

احمد : يا ابن أم ولا كل هذا الأستئناس بمرة . وقال رجل لصديق له : صر إلىّ نأ كل خبزاً وملحاً ، فقام معه وهو يظن هذا الكلام على مجاز مايقول الناس ، فقدم إليه خبزاً وملحاً . ووقف سائل بالباب . فقال له : بورك فيك ، فألح السائل بالمسألة . فقال له : والله لئن قمت إليك لأوجعنك ضرباً . فقال له : الضيف . إذهب فوالله لو علمت من صدق إيعاده ماعلمت أنا من صدق وعده لم تقف ساعة

اشترى مزبد رأسين فوضعهما بين يدى امرأته . وقال : أقعدى ، نأ كل فأخذت رأساً فوضعته خلفها . وقالت : هذا لأمى ، فأخذ مزبد الرأس الآخر ووضعه خلفه . وقال : هذا لأبى . قالت : فماذا نأ كل ؟ قال : ضعى رأس أمك وأضع رأس أبى . دخل أشعب على بعض الولاة وكان بخيلا ، وذلك فى أول ليلة من شهر رمضان فأفطر عنده ، فقدم جدى فأمعن فيه أشعب وضاق الوالى . فقال : يا أشعب إن أهل السجن سألونى أن أوجه إليهم من يصلى بهم فى هذا الشهر ، فامض وصل بهم واغنم ثوابهم . فقال : أيها الامير أوخلة أخرى ؟ قال : وما هي؟ قال: أحلف بالطلاق والعتاق أن لا آ كل جديا ماعشت ابداً ، فضحك منه واعفاه .

وهذا كما ذكروا أن بعض الملوك أتته سلل خبيص فظنها فا كهة فبعث إلى مسا كين المسجد فحضروا ، ثم فتح السّلل فوجد فيها خبيصا فندم و بقى متحيراً ، ثم أمر بهم إلى السجن . فقالوا : ما ذنبنا ؟ فقال : بلغنى أنكم تنامون فى المسجد ثم تقام الصلاة فتصلون على غير وُضوء . فقالوا : خلّ سبيلنا فوالله لا أ كلنا خبيصاً أبدا ، فضحك وعلم أنهم علموا بأمره فأمر لهم بدراهم وخلى سبيلهم . قال : رجل لآخر ممّن تكون ؟ قال : قرشى والحمد لله ! قال : بأبى أنت التحميد ها هنا ريبة .

ومن ظريف ماقيل فى الأدعياء ، قول مخلد بن بكار الموصلى فى أهل بلده :

هُم قعدوا فابتغوا لهُم نسباً   يجوز بعد العشاء فى العرب
حتى اذا ما الصباح لاح لهم   مـيّز ستوقهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفة   أعرف شيء ببهرج النسب

وقال فى أبى تمام الطائى :

أنت عندى عربى ال أصل مافيك كلام
شعر ساقيك وفخديـ ـك خزامى وثمام
وضلوع السلو من صد رك نبع وثمام
وقذى عينيك صمغ ونواصيك نعام
وظباء خاضبات ويرابيـــع عظام
أنا ما ذنبى إذا كذ بنى فيك الأنام
وبدت منك سجايا نبطيات لئام
وقفا يخلف ما أن عرفت فيه الكرام
كذبوا ما أنت إلا عربىٌّ ما ترام
بيته فى وسط سلمى وحواليه سلام
عربىٌّ عربىٌّ عربىٌّ والسلام

وقال فى محمد بن البعيث :

لمحمد بيت بناه بسيفه أطناب حجرته النجوم الكنّس
جعل السبيل إلى العلاء محمدٌ بيضا تسيل على ظباها الأنفس
إيماضها هندية ونجومها خزرية منها المنية تفرس
ألفى الأمان على حياض محمّد بولاء محرفة وذئب أطلس
لاذا يخاف ولا لذلك جرأةٌ تهدى الرعيّة ما استقام الريس
قد شذّب الأعداء عن عرصاته سيف يمج دماً وعز أقعس
وإذا تناضلت الملوك بفخرها فسهام فخرك كلهنّ مقرطس
وإذا صرفت الطرف عن ذى نخوة فالموت فى قسماته يتفرس
متملّق القبياح يمنع هاربا فى البعد منك ولا الثناء الأشرس
طهّرت أشعارى بعرضك بعد ما كانت بأشعار اللئام تدنّس

وهو القائل :

يطلع النجم على صعدتِهِ فاذا واجه بدراً أفلا
معشر إن ظمئت أرماحهم اوردوهنّ مجاجات الكلى
تحسن الألوان منهم فى الوغى حين يستنكر للرعب الحلى
سخطُ عبدِ الله يُدنى الأجلا ورضاه يتعدّى الأملا
يعشب الصلد إذا سالمه وإذا خاذل روضا أمحلا
حط رحلى فى ذراء جوده وتمشى فى نداه الخيزلى

وقال فى الرقيق :

أقول لنضو أنفذَ السيرُ نيّها فلم يبق منها غير عظم مجلّد
خدي لي ابتلاكِ الله بالشوق والهوى وشاقك تحنانُ الحمام المغرّدِ
فمرت سريعاً خوف دعوة عاشق تشقّ بها الموماة فى كل فدفد
فلما ونت بالسير ثنيت دعوتى فكانت لها سوطا إلى ضحوة الغد

***

وبعثت عائشة بنت سعد بن أبى وقّاص ، مولاها فنداً يأتيها بنار وهى بالمدينة ، فمضى إلى مصر فأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو مسرعا ، فعثر فتبدّد الجمر . فقال: تعست العجلة

ما رأينا لغراب مثلاً إذ بعثناه يجى بالمشمله
غير فند أرسلوه قابساً فثوى حولاً وسبّ العجله

صعد ابن زهير الخزاعى جبلا ، فأعيا وسقط كالمغشىّ عليه . فقال : يا جبل ما أصنع بك ؟ أأضر بك لايوجعك ، أأشتمك لاتبالى ، يكفيك يوم تكون الجبال كالعهن المنفوش . وهذا ضد قول أعرابى آخر ، سرى فى قمر فلما غاب ضل الطريق . فقال يخاطب بعيره :

اسق ما أسأرته الأكما أن عسينا أن نرى علما
كيف لاتقوى هداية من عاد طفلا بعد ما هرما

يقول له : أسرع بي حتى تعرق فتسقى الأكم بسؤر عرقك ، وهو بقيته — لعلنا نرى علما نهتدي به ، ويريد بقوله : عاد طفلا بعد ماهرما ـ يريد القمر لأنه في أول الشهر يكون كالطفل ينشأ حتى يتكامل ، ثم يدخله النقص حتى يمحق ، ثم يعود كأول نشأته . يذمه بذلك . ومن عجيب ما في هـذا المعنى قول رجل من بني الحارث بن كعب يصف الشمس :

مخبـأة أما اذا الليل جنها ... فتخفى وأما بالنهار فتظهر
اذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى ... دجا الليل وانجاب الحجاب المستر
والبس عرض الأرض لوناً كأنه ... على الأفق الغربي ثوب معصفر
تجلت وفيها حين تبدو شعاعها ... ولم يعل للعين البصيرة منظر
عليها كردع الزعفران يشيبه ... شعاع تلالا فوق أبيض أصفر
فلما علت وابيض منها اصفرارها ... وجالت كما جال النسيج المشهر
وجلت الآفاق ضوءاً وأسعرت ... بحر لها منـه الضحى يتسعر
ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة ... تراه إذا زالت عن الأرض يُنشر
كما بدأت إذ أشرقت في مغيبها ... تعود كما عاد الـكبير المعمر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها ... يبين إذا ولت لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذاك لم تزل ... تموت وتحيي كل يوم وتنشر

***

وكان كيسان مستملي أبي عبيدة ، موصوفاً بالبـلادة . قال الجاحظ : كان يكتب غير مايسمع ، ويقول غير ما يكتب ، ويستملي غير ما يقرأ ، ويملي غـير مايستملي ، أمليت عليه يوماً :

قلت لمعشر عدلوا ... بمعتمر أبا عمرو

فـكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستملى أبا زيد ، وأملى أبا نصر . أكره أبا عبيدة في شيء . فقال : والله مافهم ولو فهم لوهم

***

نوادر تحكى عن غير الناس ، قيل لابليس لعنه الله : ماذا لقيت من المتعلمين ؟ قال : البلغم ينسيهم وهم يلعنونى . قيل للعقرب : لم لاتشمسين فى الشتاء مع الناس ؟ قالت : من كثرة إحسانى إليهم فى الصيف . كانت أفعى نائمة على حزمة شوك يحملها السيل والأفعى عليها إذ نظر اليها ثعلب . فقال : مثل هذا الملاح يصلح لهذه السفينة . أراد ثعلب أن يصعد حائطا فتعلق بعوسجة فعقرت يده . فقال : انا أخطأت لأنى تعلقت بما يتعلق بكل شىء . وقف جَدْى على مكان فمر به ذئب فشتمه . فقال له : لم تشتمنى إنما شتمنى المكان الذى أنت فيه . قالت الخنفساء لأمها ما مررت بأحد إلا بصق علىّ . قالت : يابنية لحسنك تعوذين . نظر كلف إلى رغيف . فقال له : إلى أين ؟ قال : إلى النهروان.قال :فان تركتك فأبلغ إلى مرو . وقف كلب على قصاب فآذاه . فقال له القصاب : والله لئن قمت إليك لأرمينك بهذا الكرش ، فلم يبرح فتغافل عنه القصاب ، فلما طال وقوف الكلب . قال للقصاب : ترمينا بالكرش أو ننصرف . قيل للبغل : من أبوك ؟ قال خالى الفرس . وهذا كقول القائل :

سألته من أبوه ؟ فقال خالى شعيب
وما كنى عن أبيه إلاّ وثم سبيب

قال مؤلفه هذا آخر الكتاب والله أعلم بالصواب و بالله المستعان ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان

قد أتممت أكرمك الله لهذا الكتاب جميع شروطه ، ولم أخل بتحريره وضبطه ، وجعلته كالمسامر الذكى ، والمنادر اللوذعى ، الذى إذا هزل عزف ، واذا جد رمز ، فأمضى بك فى العجائب المضحكة ، والغرائب المونقة ، ثم أصلها ولا أفصلها ، من تعلق بأخبار ظريفة ، وأشعار شريفة ، وقد خفت أن أكلفك نصباً ، وأحملك تعباً ، فقطعت إذ الزيادة فى الحدود ، نقصان فى المحدود ، ورب ربح أدى إلى خسران ، وزيادة أفضت إلى نقصان ، فنعوذ بالله ونستغفره مما جرى به اللسان ، ونصلى على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وأصحابه السادة الاخيار والأعيان ، صلاة دائمة بدوام الأزمان ، آمين .

المستدرك

حرره بعد طبع الكتاب النابغة الفاضل

محمود محمد شاكر

ص	س	
١	٥	زائقُهْ صوابها : ذائقُهْ
	٩	ما أصلع حمله وأضلع نقله « : ما أضْلَعَ حِمْلَه ، وأظْلَعَ ثِقْلَه
	١١	بسقى . . . برعى (كذا) « : بِسَقِى .. بِرَمِيٍّ : وهماسحابتان
	و١٢	عظيمتا الوقع عليهماينمو النبت ويزكو
٢	٣	حادثوا هذه القلوب ... الخ صوابها : حادثوا هـذه القلوب فإنها سريعة الدُّثُور ، وَاقدَعوا هذه الأنفس فإنّها طُلَعَة ، وإنكم إلاّ تَزَعُوها تَنْزِع . . . الخ . وذلك أنهم يقولون دَثَر السيف دثوراً إذا صدىءلبعد عهده بالصقال ، وحادث سيفه إذا جلاه وشحذه ، وقوله : اقدعوا . . . أى كفوها عمّا تتطلع إليه من شهواتها
	٥	أزدشير بن بابك صوابها : أَرْدَشِير بن بَابَك
	٥	إن للقلوب .. الخ (كذا) (1) « : إن للآذان مجّةً ، وللنفوس ملالاً ، ففرّقوا بين الحِكْمَتَيْن . . . أما قوله للقلوب فلا معنى لها مع ذكر النفوس
	١٠	زلات صوابها : ذِلاّت
٣	٨	الأخوان (كذا) « : الأُفْعُوَان
	٩	الشرقى القطامى « : الشَّرْقِىُّ بن القطَامِىّ . هو لقبٌ غلب عليه واسمه : الوليد بن حُصَيْن الجعفىّ ، والقطامى لقب أبيه
	١٨	ومنها المعاد .. الخ (كذا) صوابها : وفيها المَعادُ والمُقَام إلى الحشرِ . هذه هى الرواية الصحيحة
	٢٢	إذ أنا : رواية ابن دريد فى المجتنى « أن أُرَى مُنْبِتاً » وهى أوفق

(١) كلمة (كذا) نريد بها أنها هكذا فى النسخة المخطوطة

ص	س		
٤	١٩	مستثنى	صوابها : مستثنياً
٥	٢	نصر بن شبيب بن كيسوم (كذا)	« : نصر بن شَبَثٍ بكيْسُوم » وذلك أن نصر بن شبث العقيليّ كان قد خرجَ على المأمون بعد مقتل الأمين وتحصّن بحصن على تلعةٍ بكيسوم فى شمال حلب وحاز ماجاورها وتبعه خلقٌ كثير حتى عظم أمره فوجه إليه المأمون عبد الله بن طاهر فظفر به وأسره وأنفذه إلى المأمون ثم هدم كيسوم وخرّبها وذلك سنة ٢٠٩
	١١	إن كانت	صوابها : إذْ كانت
٦	١٧	إن أخصى	« : إذا خُصى
	٢٠	سبل القنة	« : سَبْلِ الفِتْنَةِ
٧	٢	كتاب الطلاق	« : وكتاب الطلاق
	١٠	وأنت كذاك . . . الخ	« : وأنت كذاك تُعَنِّى النفو سَ تعنِيَة الفاتر الخاثر
٨	١٠	مزيد المدنى .	فى تاج العروس مادة زبد (بالباء الموحدة) مزبّد كمحدّث اسم رجل صاحب النوادر ، وضبطه عبد الغنى وابن ماكولا كمعظّم وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى وقال إنه وجده بخط الوزير المغربىّ ، قال الحافظ ووجد بخط الذهبىّ ساكن الزاى مكسور الموحدة . اه وسيمرُّ بك ذكره كثيراً ونكتفى بالاشارة اليه هنا وحسب
٨	١٠	خبز نقى . . . الخ	رواية ابن قتيبة فى عيون الأخبار ج ١ ص م قيل له « قِى » قال : ما أَقِى ، أقى نقاً ولحمَ جدى ؟ والله لو

ص	س	
		وجدتُ هذا قياً لأ كلته
٩	١	ودعواته ... الخ (كذا) لم يتبيّن لنا وجه الصواب
٩	١١	بلغنا صوابها : بلغتنا
	١٦	إلاأبايع العنقر : هذه لا معنى لها والصواب مما خفي علينا . وقوله: تتعرّض بى صوابها : تتمرّضُ بى
١٠	١٧	محفف « : مُحْفٍ من أحْفى فى السؤال إذا استقصى وأجهد
	١٨	عند حاجتك « : عن . . .
	٢١	واعلم للذ كرى « : واعلم أنّ للذكرى
١١	٤	المعمورين « : المغمورين
١٢	٤	فالحّ عليه « : فألّط عليه أى ماطله ودافعه
١٣	١٤	أخامقة « : أُحَامِقُه ، من الحمق
	١٨	تترّى « : تنزّى
١٤	١	لِمَ « : لِمْ
	٤	سقع « : سَفَعْ ، بالفاء
	٥	فلما . . . الخ (كذا) « : فلما دَهَى طولُ التّعَمُّمِ لِمّتى فأزرى بها بعد الجثَالَة والفرَعْ
	٧	القرع « : الفَزَعْ
	٨	وأعجب شيء الخ (كذا) « : وأعْجِبْ بشَيء . . . وقوله : على عهد « : على عمد
١٤	١٧	ابن السباط المصرى صوابه : « ابن أسباط المصرى » وهو (أحمد بن محمد بن أسباط) ولعله كان من كبار عمال الخراج فى مصر على عهد المعتصم ومن قبله . وقد جاء في تاريخ الطبرى ج ١١ ص٢٩ قال : « فذكر عن ابن أبى داود وأبى الوزير أنهما قالا هو

ص	س		
		(يعنيان محمد بن عبد الملك الزيات) أول من أمر بعمل ذلك (أى التنّور) فعذب به ابن أسباط المصرى حتى استخرج جميع ما عنده ... » وجاء فى تاريخ ابن الأثير مثل ذلك ج٧ ص١٣ (حوادث سنة ٢٣٣) وفيه « ابن أسباط المصرى » بالميم وهو خطأ . وقد ورد ذكر « ابن أسباط هذا فى قضاة مصر وولاتها للكندى ص ٤٤٤ — ٤٤٥ وفى ص ٥٠٢ فى الملحق به من كتاب رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر . ولم يقص الكندى ولا ابن حجر أمر تعذيبه إلا أن فى حديثهما مايدل على اتّهامه باحتجان المال وسيرة الغشم والظلم	
١٥	٦	فأخذه	صوابها : فأخَذَ
١٩	٣	وأوتيتْ	« : وأُتيِتْ
٢٠	١٧	لقدمه	« : لقومِه
٢١	٣	وغم	لعلها : وخَفَّ
٢٢	١٤	المناحاة	صوابها : المنَاحَاتِ
	٢٠	بالبخور	« : بالنُّخُورِ
	٢٢	فأمكنه ... الخ (كذا)	« :
		فأمكَنَهُ ممّا يُرِيدُ و بعضُهُمْ شَقِيٌ لدَى خَيْراتِهِنّ نَطِيحُ	
		والنطيح المشئوم	
	٢٣	نقصته	صوابها : نفعَتْهُ
٢٣	٢٢	عيا دون الناس	لعلها : أَعْيَ الناس
٢٤	١	ضايق	« : طَابَق
	٢٠	حكاية	صوابها: عكابة
	٢٢	الأيارج	لم نهتد لصوابها
	٢٣	عكابة بن غيلة	فى البيان والتبيين ج ٢ ص١٩٢ عكابة

ص	س	الخطأ	الصواب
		ابن عميلة النميري	
٢٨	٢	فداك	صوابها : فِدَاءَكَ
	١٤	القبيجة	« : القبيحة بالمهملة
٢٩	١٥	من رواتهم	« : في مروءاتهم
	٢٠	زاهر بن حزام	« : زاهر بن حرام بالراء المهملة
٣٢	٩	الكلاب	« : الكَلْبُ
	٢٠	الفرع	« : القَذَعَ . وهو الفاحش
	٢٢	بداهنك	« : بداهنك وسكنت النون للضرورة
٣٣	١٣	أسرارهم	« : أستارهم
٣٤	١	لم يقو	« : لم يُقِرّ
	٩	سد	« : شُدَّ
	٢٢	عمرو بن لحي (كذا)	« : عُمَر بن لَجَأ
٣٥	٦	غطاه	« : غِطاءَهُ
	١٧	عليه منه (كذا)	« : عليّ منه
	١٨	وتعمد الجحد في إقراره	« : يتعمد الجَحْدَ في إقرارِ
٣٧	٩	سليمة المشاوية	لم أهتد لصواب النسبة
٣٨	٢٠	كما هواك	صوابها : هواكَ كما
٣٩	١١	لأدنين (كذا)	« : لأَدْنُوَنَّ
٤٠	٢	غيرها	« : عِنْدها
	٩	وإحزاني	صوابها : وأَحْزَاني
	١٢	لعلةٍ	« : بِعِلَةٍ
	٢١	ابن جعدية	« : ابن جَعْدُبَةَ بالباء الموحدة ، وهو يزيد بن عياض بن جعدبة الليثي أبو الحكم

ص	س		
٤١	١٥	أشدا	صوابها : أشدُّ
	٢١	ينمى	الرواية المشهورة « يَسْمُو »
٤٢	٢	فإن قليل أن لا . . ألخ	صوابها : فإنَّ قليله أن تَسْألاَ
	٣	فسآتها	رواية الديوان « وَتَهنئهَا »
	٤	إن بان	صوابها : إن بَاتَ
	٧	بعتمة	« : بعثمة
٤٣	٤	إذا فقدت	« : إذا مافقدْتَ
	٥	إن هفت	« : أزهقتْ
	٧	ومنى	« : وهْىَ
	١٦	يتقصبا	« : يتَقضّبا
٤٤	٢٤	غيرى	« : «غبّرى» بالباء الموحدة التحتية ، والتغبير ضربٌ عن الغناء اتخذته المتصوفة يتواجدون على أنغامه ، ومنه سمى قوم منهم بالمغبّرة قالوا : « وهم قوم يغبّرون بذكر الله أى يهلّلون ويردّدون بالقراءة وغيرها » وسمّوا بذلك لأنهم كانوا يرغبون الناس — بذلك الضرب من الغناءِ — فى الغابرة أى الآخرة
	٢٣	وما أنسها (كذا)	« : وما أنسَ مِ الأشياء
٤٦	١٥	عرق النساء	« : عرْق النّسَا
٤٧	٨	و بالحسب . . الخ (كذا)	« : وفى الحسب المكنون صافٍ نجارُها
	١٨	ذاك	« : زَاكِ
٥٠	١٤	وغى	« : وغَنِّ
	١٧	وردّ	« : وردًّا
	١٨	مالك بن الذئب (كذا)	« : مالك بن الرَّيْب

ص	س		
٥١	٢	الخندريس	صوابها : بالخندريس
	١٤	يعشو . . الخ (كذا)	« : يعشو إليها وهو يجلو مُقْلتىْ بازٍ وَيَغفُلَ وهو غيرُ مُغفَّلِ
٥٣	١٧	الحبّ (كذا)	« : الصَّبَّ
	١٨	عين ربّها «	« : عين ذئبها
٥٤	٧	ركانة و إصالة	« : زَكانَةٌ وأَصالة
٥٧	١٩	أبغى (كذا)	« : ابغى
٥٨	٤	الأخوص فأثبت صوابه	« : الأحوص وسيمرّ بك بعد
	٥	أتغرل	« : أَتعزَّلُ
	١٧	لأحبب (كذا)	« : لأجنْبُ
	١٩	إليك «	« : لديكَ
	٢٠	لو يتجنّب «	لعلها : « لو يتقرّبُ »
	٢١	كلاكما الأمرِ طلاهُ أى لذّته وهواه	صوابها : طِلاكُم . يقال : قضى من
	٢٢	فيهيجنى	« : فتهيجنى
٥٩	١	تظل وتحسب	« : تُطَلّ وتخصبُ
	٣	وأرى .	« : وأرى العدو يَوَدُّكم فأوَدّهُ إن كان ينْبىء عنكِ أو يتنسَّب
	٤	وأخالف . . . ذوب	« : أحالف . . . . دُوّب
	٥	قضبت . . . يقضب	« : غضبتْ . . . . يُغضِب
	٢٠	أزوره	« : لعلها « أوَدُّه »

ص	س		
٦٠	١	إن كذبوا	صوابها : إذ كذبوا
	٢	أخلقت	« : أُخْلِفتْ ، بالفاء
	٣	أؤملوا	« : أُؤَمِّل
	١١	وردّه	« : وردَّ
	١٢	سدابة . . . سداب	لم أجده والصوابُ سَذَابة ، وسذَاب وذلك لأن السذاب بَقْلٌ عِنْدَهمْ
٦١	١٩	نجد	صوابها : يحُلُّ أو يجُذّ
	٢١	وخطيان	« : وخُطْبان بباء موحدة، والماذِىّ العسل ، والخُطْبانُ جمع خطابة وهى الحنظلة ، والخطبان أيضاً نباتٌ شديد المرارة
	٢٢	يكسو عداه	صوابها : يكسُو عرَاة
	٢٣	العد	« : القَدّ
٦٢	٢	رقة	« : دقَّة
	٥	شخص	« : شَخَصاً
	٦	إثره	« : إثرها لأن قبله : كالحَلْيِ إلا أنّهُ أحرفٌ بيضُ المعانى وهى سودانُ
	٧	سيما	صوابها : سَما
٦٤	٢٠	وهى	« : دَهْى ، من الدهاء
٦٥	٧	بغنائهم . . . كخط	« : بفِنائهم . . . كنقط
	١٠	وبوأتُ . . . . الخ	هذه أبيات لم أجدها إلاّ فى كتاب البخلاء الجاحظ مطبوعة أوربا ص٢٤٨ وقد جهدت فى تصحيحها فأنا أذكرها هنا جميعها وأعلق عليها لاعتياصها :

ص	س	
		وبوّأت قِدْرِى موضعاً فوضعتُها ✿ برابيةٍ مابين مِيثٍ وأجْرُعِ
		جعلتُ لها هضبَ الرِّجامِ وطِخفةً ✿ وغَوْلا أثافِى دونَها لم تُنزَّعِ
		لِقِدْرٍ كأنّ الليلَ سُخمةُ قعرِها ✿ ترى الفيلَ فيها طافياً لم يُقطَّعِ
		يُعَجِّلُ للأضيافِ وارِى سَدِيفِها ✿ ومَنْ يأتِها من سائرِ الناس يَشبَعِ
		هضبُ الرِّجام وطِخفة وغَوْل جبال لبنى ضَبّة . والسخمة السواد من السخام وهو سواد القدر . والسديف شحْم السنام . والوارى الشّحمُ السمين
٦٥	١٦	غذاء ✿ صوابها : غَذَاء
	٢١	ابن المفتاب القاضى ✿ كذا ولم أقف عليه
٦٧	٢	ليس . . . الخ ✿ الرواية
		« لَيْسَ لى مالٌ سِوَى كَرَمى ✿ فَبِهِ أقوى عَلَى العُدُم »
	٦	فاذا . . الخ ✿ الرواية
		« فاذا ما الدهرُ ضَعْضَعَني ✿ لَمْ يجدنى كافِرَ النِعَمِ »
٦٨	٣	مشتهراً ✿ صوابها : مُسْتَهْتَراً
٦٩	٦	والفارا ✿ « : والغَارَا » وهو نباتٌ طيب الريح على الوقود
	١٤	وأتبعن بالظفر ✿ لعلها « وأتْلَعْنَ للضفْرِ » والبيت الذى يليه بيتٌ عزيز لم أجده إلا فى اللسان مادة « عقل » وفى المخصص لابن سيده ج١ ص٦٧
	١٦	الوَحْفُ البشام ✿ صوابها : الوَحْفُ التامُّ يعنى من الشعر . وقوله : مِيلا حالٌ من قوله ميلا جمع مَيْلاء وهى المِشْطَة الميلاء مِشْطَةُ البغايا

ص	س	الخطأ	الصواب
٧٢	١	فهو خطأ	صوابها : بحذف « فهو »
	٢	السير	« : الكبير
٧٣	١٣	طرناباذ رأيت فى أربعة مواضع من الطبرى هذا اللفظ « طرنايا » ولم أجده فى ياقوت ولا غيره ، وفى ياقوت قرية من قرى جرجان سماها « طَرْخَاباذ » ولا أدرى ما الصواب . أنظر الطبرى ج ١٠ ص ١٦٨ و ١٨٥ و ٢٤٨ و ٢٥٠	
٧٤	٤	فأشرأ بينا	صوابها : فاشرأ ببنا ؛ أى رفعنا رؤوسنا لننظر إليه
٧٥	١٨	خريب	« : حَرِيب أى مسلوب
٧٩	٢	سعيد بن . . .	« : سَعْدُ بن ناشب
	٣	بذات كريم (كذا)	« : تُرَاثَ كريم
	٦	أحبس	« : أَخِيسَ من خاسَ إذا فزعَ وارتدّ جُبْناً
	١٢	عمر بن عامر	« : عَمْرو
	١٥	وقولى . . . الخ (كذا)	« : أقول لها إذا جشأتْ وجاشتْ
٨٠	٦	بن جرى	« : بن حَرِّى
	١٣	كره	« : أَكْرَه
٨١	١٦	تلتزم (كذا)	« : تَلْتَدِمْ ؛ من التدام النساء وهو ضربهن صدورهن ووجوههن فى النياحة
٨٢	٤	كى تبيع (كذا)	صوابها : كَىْ تَبَغّى ؛ من قولهم تَبَغَّى الشىء أى طلبه
	١٣	أملاؤها	« : املأها

ص	س		
٨٣	٢	تائمة (كذا)	صوابها : أَيِّمَة ؛ وهى التى لازوج لها
٨٤	٣	له لحظات الخ (كذا)	« : لَه لَحَظَاتٌ عن حِفَافَىْ سَرِيرِه والحِفَافان الجانبان
٨٦	١٨	تخاليفه (كذا)	« : تكاليفه ، أى على ماتتكلّف من الجُهْد والمشقة
٨٧	١٤	من البلاد (كذا)	« : عن البلادِ
	١٥	وهوْلا («)	« : وعوْلا
٨٨	٢	حدا	« : أحَداً
	١٧	إن حضرت	« : إنّى حضرت
٨٩	٨	إذا تشرق	« : إذا تشرَّفْ . أى بدا
٩٠	١٧	لايخطب إنكاره (كذا)	« : لاتُخْطَبُ أبكارُهُ
٩٤	٥	سَبأ	« : سِباء
	٨	مليح النغمة والشادة (كذا)	« : مليح النَّصْبةِ والشَّارَة
٩٥	٥	لاتنى جانباً (كذا)	لعلها : لاتَنأ جانباً
	١٤	الدعا	صوابها : الوَجَى
	١٦	لم تقل	« : لم أقلْ أو لم أُبلْ
٩٦	٥	نمشة . . . الخ «	صوابه :

نَمَشَةٌ فوق صُفرةٍ فتراه كونيم الذُّباب فى اللُّفاح

ونيم الذباب سلحه . واللفاح نباتٌ عندهم أصفرطيب الرائحة ، وهذا البيت لا نسب بينه و بين الذى قبله واختلط الأمر على الحصرى لأن البيت الأول فيه ذكر القرد مع أنه فى آخر القصيدة . والأبيات الذى قبل هذا البيت فيها ذكره أيضاً . وهذا البيت فى صفة خد أنمش .

ص	س	
٩٦	١٦	يعرف بابن غراب (كذا) صوابه : يعرف بابن عَذَاب . صحة البيتين
		أقول قولا بلا احتشام يَعقِلهُ كل من يَعيه
		ابن عذابٍ إذا تغنّى فإنني منه في أبيه
		(أى فى عَذَاب)
٩٨	٣	عقيل بن علقمة (كذا) صوابها : عقيل بن علّفة
٩٩	٣	فسيعذل « : فسيُعزَلْ
١٠١	١٦	يحيي ويعطى « : يحيى ويُعطَى
١٠٢	٦	خصراء (كذا) « : حُمَيراء
١٠٣	١٦	فعدا « « : قَوْراء
	١٩	مخالية « « : خالية
١٠٥	٣	فاتباع « « : فابتاع
	١١	رقود « « : وفودِ
	١٣	واجهت « « : وجّهتْ
١٠٦	١	وبقاع « « : ويَفَاعِ
١٠٧	٤	حلف « « : حَلْقِ
	٥	لازماً للعود « « : لازماً للعمود ؛ يريد عمود الغناء
	٩	غنت . . . الخ كذا لعل صواب إنشاده
		غنّتْ فظلتُ إخالُنى طَرَباً أسمو إلى الأفلاك أو أرْقَى
١٠٨	٢	لقد جاد . . . الخ (كذا) صوابها : لقد جاد من عابثٍ ضربها
	١٧	تشدوا . . الخ « صوابه :
		تشدُو فنرقصُ بالرؤوس لها ونَزْمِر بالكؤوس
	٢٠	كالدعاء صوابها : كالبرْء

ص	س		
	٢١	تعيره	لعله :
		« تعبدُها الراح فهى ما صدحتْ أبريفنا ساجداً إلى القدح »	
١١٠	١٠	وتستفز صواب إنشاده فيما أحفظ « وتستفزُّ حشا الرائى بإرعادِ »	
	١٣	فمن (كذا)	صوابها : فِمَمَّن
	١٦	سأل	« : سَالَ
	١٨	يتنحرق	« : يحترقُ
١١١	٢	الوافية التكسر (كذا)	« : الوانية التكسُّر
	٦	الثياب . . . جيد	« : الشباب . . . حَبْلَ
	٢٠	وثاب	« : وقال ، فان الشعر لابن الرومى
١١٢	٩	فالعين . . الخ هذه أبيات جليلة نذكرها من ديوانه المخطوط	
		« فالعين لاتنفكَ منْ نظَرٍ والقلْبُ لاينفكُّ من وَطَرِ	
		ومحاسن الأشياء فيكَ معاً فَلاَلَتيكَ مَلاَلَى بصَرِى	
		مُتعات وجهك فى بديهتها جُدُدٌ وفى أعقابها الأُخَرَ	
		فكأنّ وجْهك مِنْ تجدُّده مُتنَقلٌ للعين فى صُوَرِ »	
	١٨	ورق السرور	صوابها : ورْدِ السرور
١١٥	٣	دائر	« : واتِر
	٧	حونة	« : جوْنة
	١٢	النائى	« : النأْى
١١٧ (*)	١	مكحل رجل	« : أكحل رجل
	٦	لسقراط	« : ببقُراط . . .

(*) من ص ١١٦ تبدأ رسالة الجاحظ ولم نتعرض لكثير من ألفاظها لضيق الوقت، واعتياص تصحيحها

ص	س		
١١٩	١٥	الدرداىَ	صوابها : الدردىّ
	٢٢	شبيه الفالوذج	« : ياشبيه الفالوذ
١٢٠	١٣	بلاغة الجاحظ	هذه جملة محرفة وننقلها هنا على صوابها من مقامات البديع « إن الجاحظ فى أحد شِقّى البلاغة يَقْطِفُ وفى الآخر يقفُ ، والبليغُ منْ لم يقصّر نظمه عن نثره ، ولم يزر كلامه بشعره . . . . نثره ، فهو بعيد الاشارات ، قليل الاستعارات، قريب العبارات . ينقادُ لعُرْيان الكلام يستعمله ، نفور من مُعْتَاصه يهمله . . »
١٢٣	٢٠	يختاره لليوم	صوابها : يَخْتَارُ لليوم
١٢٦	٦	الثعلبى	« : التغلبى
	١٦	تم انصاب	« : ثُمّتَ أنْصَاتَ
	١٧	بذلت	« : بزُلَتْ بالزاى من بزل الخمر وابتزلها ثقب إنائها ثم صفّاها بالمبزل وهو المصفاة
	٢٠	للمزاج	صوابها : بالمزاج
١٢٧	١٢	يريد النسب اليه	« : يُريد ، أنْتَسِبُ اليه . . .
١٢٨	٤	هنيم	« : هميم ، أى دبيب
	٢٠	منازلهم	لعلها « وأوّلهم »
١٣٠	١٧	للسؤال	صوابها : للسّئُولِ
١٣١	١	ضرب . . . . الخ	صواب إنشاده « ضربَ الأصمعىُّ فيهم أم الأحمرُ أم لُقِّحوا بأيْر الخليل
	٦	أحنوا	لعلها « أُمِنُوا »
١٣٦	١	وتخطت	صوابها : « وانحطّت »

ص	س		
١٣٧	١٠	باطنى	صوابها : « باطلى »
	١٥	ترى أبداً	صوابها : « ترَ أثْرًا » ؛ والأُثْرُ أثَرُ الجرح أو غيره فى الجسد
	٢١	نامَ الثقاةُ	صوابها : « نام التُّقَاةُ »
١٣٨	٤	لا آذوق	« : لا أَذوق
	٥	ما أرى	« : ما أرى لِى خلافَهُ
	٧	أزَيَّنْ	« : أُزْيِّنُ
١٤٠	٦	يركب	« : يمْـكنُ
	١٤	انتشر	« : انتثَر
	١٦	مستقر	« : مُسْتَعِر
١٤١	٤	و إن أبى	« : و إذا أبى
	٩	وأيا وفيته	« : وَأْيا وَأَيْتُهُ ومعناه ،..وعدْاً وعدته
	٢٠	زلت	« : ذَلَّت بالذال المعجمة
	٢٢	سبقت . . . الخ	« : سبقْتَ بالسَّيْب مَسِيل السَّحَاب
١٤٢	٦	إن رأى	« : إنّ دَأْبِى
١٤٣	١١	تعتيلها	« : تَعْتَمِيها
	١٥	ما ألقاها	« : ما أَلفاهُ
١٤٥	٩	للحاجة ليس بشعر .. الخ	« : للحاجة ليس لشعر ، وما عُصِى ..
	١٥	فيردّ ها	« : فيرُدُّهُ
	١٨	مايطبن عليها	« : أما يَتَطَيَّرُ عليها
	٢١	مَاليلى . . . إلى الغداة	« : بالبُلَىَّ . . . لِىَ الغَدَاة
	٢٢	هَلْ أراك	« : آهِلُ أراك
	٢٣	بَدِيلا	« : سبيلاً

ص	س	
١٤٦	٣	علي بن الصبّاح وأرِقَ . . . صوابها : عَليّ بن الصباح وَرّاق أبي مُحَلِّم
	١٧	جدّته « : جُدّته
	٢٠	ضيق « : ضَيْفٍ وفيما حفظته قديماً «دارِ»
١٤٧	١٧	قال لي أبو العباس الخ (كذا) يحيي المذكور أولا هو ولد ثعلب النحوي المشهور فصواب العبارة «يحيي بن أحمد بن يحيي (ثعلب) بحذف (بن)
١٤٨	١١	الموضوع صوابها : الموضع
١٥١	١٠	وإن لام . . . (كذا) صوابه : وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَآنِ وفَنّدا
	١٣	بهذا الوضع « : بهذا الموضع
	١٦	أجلس مجلسي (كذا) « : أَجْلَلْنَ مَجْلِسي
	١٩	إلا بجوره « « : إلاَّ مَحُورة . والمحورة جوابُ السؤال
	٢٠	بسترةٍ « « : يَسُرُّه
	٢٣	كلاناً به عدوٌ « : كِلاَنا به عَرٌّ . والعرّ داء يأخذ الإبل فيتمعّطُ عنها وَبرُها حتى يبدُوَ الجلدُ . وهو كالجرب للانسان
١٥٢	٣	لقد أردت فيّ الشنعاء (كذا) صوابها : لقد أردْتَ بِيَ الشقَاء
	٥	عر منها « : غَرَّ مِنْهَا
	٢٠	لِمَا تحتجم (كذا) « : لِمَ تَحْتَجم ؟
١٥٣	٦	خرج مهزم بن الفرج . . . (كذا) : هذه قصة لم أجدها بَعْدُ وأرى أن طاهراً المذكور هنا هو طاهر بن الحسين الذي نُصِر به المأمون على الأمين ووجه إلى فتح خراسان ومرو الشاهجان . وإذا كان ذلك كذلك فمهزم هذا هو «مهزم بن الفِزر العَبْقسي» من بني عبد القيس كان من قواد أبي جعفر المنصور ذكره ابن دريد في الاشتقاق ص ١٩٧

ص	س		
	١٨	يطوى ما (كذا)	صوابها : يُطْوَى بَمَا
١٥٤	١٠	محمد بن . . .	« : محمد بن أبى الأَزْهَرْ
١٥٥	٥	مشبها	« : مَشْيُها
	٨	قرى . . . الخ (كذا)	« : قَرَى الخَطْبَ رَأْياً
١٥٦	٥	عوفت «	« : عَزَفَتْ
١٥٧	٨	حرارات	« : حزَزَاتِ
	١٦و١٧	ما عدالـكم (كذا)	« : ما بالـكُمْ
١٥٩	١٤	محي ميت «	« : مُحْيِ لميتِ
١٦١	٢١	لمنادمية	« : لمُنَادِميه
١٦٣	٢٠	نار (كذا)	« : ناراً
	٢٣	وأرى صنيعك . . . الخ (كذا) : هذا بيت ملفق والرواية	
		وأَرَى صنيعَكَ فى القلوب صنيعها بسِيَالها وَأَراكها وعرَادِهَا	
		شركتك فى كل الأمور بفعلها وضيائها وَصلاحِها وفسَادِهَا	
١٦٤	٨	المزنى (كذا)	صوابها : المازنىّ
	١١	فضلا «	« : وَصْلاً
١٦٥	٦	فأديت «	« : فأدّت
	١٥	تأبى صروفه	« : تأتى صروفُهُ
	١٨	بعض أسبابى (كذا)	« : بعض أحْبَابى
	٢٠	تنشر عنه «	« : تَنْشُرُ عِنْدَهُ
١٦٦	٩	لرشد «	« : لِرِشْدَةٍ . وولد الرشدة الذى
		لم يخالط مولده زنا أو سفاح	
١٦٩	٤	فرحانشاه	« : فَرْخان شاه بالخاء المعجمة
	٦	أحمد بن أبى الأصبع	« : ابن أبى الأصبغ بالغين المعجمة

ص	س	
١٦٩	١٠	جعفر بن الفضل الجرجراى (كذا) : لعل الصواب أنه « أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجراى » الذى وزر للمتوكل
	٢٠	مقفرّ صوابها : مُقْفِر
١٧٠	٦	كان النداء صوابها : كان البَذَاء
	٧	لايعى . . . . الخ (كذا) « : لا يَمْشى إليه حَرٌّ ، وإن مَسَّه الضُّر
	١٢	قاهرُ الجملة (كذا) « : قاهِرُ الحَمْلة (بالحاء المهملة)
١٧٤	٩	بحور ابن جلاء « « : يَحُوزُ ابن خَلَّادِ
	١٤	لدّة « : لِدَة
١٧٥	٦	خليلىّ . . . الخ « صواب إنشاده « خليلىّ داويتما ظاهراً » ورواية الأغانى ج ١٢ ص ٩٢ « طَبِيبَىَّ »
	٢٣	الأماء صوابها : الإماء بكسر أوله وهن الجوارى
١٧٦	٣	فهل أنت مِنْ لصوص (كذا) « : فهل أنت إلاّ من لصوص وهذه القصة رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار ج ١ ص ١٦٧ — ١٦٨ فنحن نعتمد روايته فى اكثر تصحيحنا
	٤	فى نفسك منتك نفسك (كذا) صوابها : فى رأسكَ . . . الخ
	٤	دروبنى « : دُورِ بنى
	١٠	واطمأنيت « : واطمأْنَنْتُ
	١٢	قرصتان . . . الخ (كذا) صواب العبارة : « وعندى قَوْصَرَّتان اهداهما إلىّ ابن أختى البَرُّ الوصول ، فخذ إحداهما فانتبذها . . . الخ
	١٥	تقلب . . . الخ (كذا) صواب العبارة « أُقلِّب البيضاء والصفراء فَتَصِيخُ وتُطْرِق »

ص	س	
	٢١	عول أبى على (كذا) صوابها : « عوّل أبو عَلِىّ »
	٢٢	وأتى فيها مليحة « « : وأتى فيها بكلّ مليحةٍ
١٧٧	٦	تناسب . . . الخ « العبارة غير واضحة ولم أهتدلتصحيحها بعد
	١١	تسويدُ جنان « صوابها : تسوِيلُ جنان
	١٨	من أهاضيب فرَّقِ « صوابها : من أهاضيب فوّق . والأهاضيب جمعُ أهضوبة وهى جَلَبَاتُ القطْر بعد القطر . وفوّق من قولهم فاقَت الناقة بدِرّتها إذا أرسلتها فُوَاقاً (وهى مقدارُ مابين الحلبتين) والأبيات التى بعده فيها خطأ لم أهتد بعد إلى صوابه
١٧٨	٢	بعد امتناع صوابها : بعــد امتتاعِ (بتاءين) من قولهم مَتَعَ النهار وامتتع إذا ارتفع
	٣	بخرطوم العراق (كذا) لعلها : بخرطوم العُقارِ ، أو بخرطوم المُدام
	٤	بجدراه رداح « صوابها : بَخَنْدَاةٍ رَدَاح ، والبخنداةُ الممتلئة من النساء والرداحُ العظيمةُ الأرداف
	٦	شرقت بدار . . . الخ (كذا) لعل صوابه : « شَرِقَتْ بداريّ المُدَامِ المُعتَّقِ » ودارىّ نسبة الى دارين وهى فُرضة بالبحرين يقول الفرزدق « كأن تريكةً من ماءِ مُزْنٍ ودَارِىَّ الذَّكىّ من المدام »
	٢٠	ذلك الأملاك (كذا) صوابها : « مالكِ الأملاك »
١٧٩	٧	وهل قعبُ حصباؤها (كذا) صوابه : « وهَل ثَغَبٌ حَصْباؤه ... » والثغبُ بتحريك الوسط وسكونه هو بقية من ماء السّيل يغادرها فى أخدود من الأرض فتصفقه الريح فيصفو ويبرُد فليس شىء أصفى منه ولا أعذب
	٩	من النوم . . . . الخ (كذا) الذى أحفظه « من النّوم ، بل تزداد طيباً وتعطر »

ص	س	
	١٧	المخ (كذا) صوابها : المحّ بالحاء المهملة وهو فصّ البيضة الأصفر
١٨٠	٢١	أومَرّ (كذا) صوابها : البيت لا يستقيم ولعله « أومَرّ مجنُونٌ فزَنانا » أى سبّهم فقال : يا أولاد . . . . هـذا على الرسم و يليقُ أن يكون « فغَنّانا »
١٨١	١٠	خبيصة : . . الأبيات فى كتاب المسعودىّ مروج الذهب ج ٢ ص ٣٩٤
		« خبيصةٌ تُعقَدُ من سُكّره و بُرْمة تطبخ فى قنبره
		عند فتى أسمح من حاتم يَطبخُ قدرين على مِجْمَره
		وليس ذا فى كلّ أيامه لكنّه فى الدعوةِ المُنْكَرَه
		فى يوم لهوٍ فَطِـمٍ هائل ومجمعَ اللذّات والقرقَره
		يقول للآكل من خبزه تَعْسًا لهذا البَطْنِ ما أكبره »
١٨٣	٧	يعرين صوابها : « يَعْرِ بْن »
١٨٤	١٥	طُفْج « طُغْج بالغين المعجمة (ابن جُفّ)
١٨٥	١	يأأيها الاستاذ . . . الخ هذه القصيدة أجّلنا تصحيحها لضيق الوقت
	١٣	أبو الفضل بن حنزابة هو أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر ابن محمد بن الحسن بن الفرات المعروف بابن حِنْزابهْ بكسر الحاء المهملة وسكون النون وآخره هاء ساكنة ، وحنزابه هى أم الفضل ابن جعفر
	١٦	بعرْسه صوابها : بعِرْسه بكسر العين المهملة
	٢١	يرميها (كذا) « : يَمرّ بها
١٨٦	١٧	فجعلت تمونى الخ (كذا) صواب العبارة : فجعلتْ تَمُونُنى وتُحْسِنُ التدبير فى المال وتوفيره عَلىّ ، إِلَى أَنْ بَلَغْتُ . . . »

ص	س	
١٨٧	٢١	وإن بين . . . الخ (كذا) هذه عبارة مستبهمة ولم أتبيّن صوابها
١٨٨	٣	ولا تبذلها « صوابها : ولم تبتذِلها
١٩٠	٢	إلى الأوال « « : إلى الأَبوال
	١١	لمته « لعله صوابها : « ألفيتهُ »
	١٩	نصب صوابها : « نُصِبَتْ »
١٩١	١	دائرة (كذا) « : « دائبة »
	١٢	يحشى « : يُخْشى
	١٤	حين تبغى (كذا) « : حَيْثُ تبغَى
	١٧	فى ورف « : فى وَارِف
١٩٢	١٢	عتابة « : عتَّابة يريد عتبة صاحبته
١٩٣	١٣و١٧	ز كرة (كذا) « : « رِكْوَة » بالراء وهى إناء من جِلدٍ
	١٦	ألبسبله (كذا) إما أن تكون « بالرملة » أو « أرسلته » وهى أقرب إلى الرسم
١٩٤	١٤	رءى صوابها : رُؤَى
١٩٧	٢	وأقبل آخر . . . الخ (كذا) العبارة مبهمة ، والذى يظْهَرُ لى أنه يُريد أن يصف راقصاً دخل يَرْقُص ، وذلك لقوله « مجنونٌ ورب الكعبة
	٨	على بن عيسى (كذا) الصواب أنه على بن يحيى الأرمنى والأبيات فى ديوانه

واكثرتُ غشيان المقابر زائراً عَلِيَّ بن يحيي جار أهلِ المقابِرِ

فإلّا يَكُنْ ميتَ الحشاشةِ فى الذى يُرَى ، فهو ميْتُ الجود ميْتُ المآثر

ولا فَضْل عند الأرمِنِي يَعُدّه سِوَى أنّه ثَوْرٌ سَمِينُ الجازر

ص	س	
		سرقت سهام المسلمين ولم تكنْ لهمْ يوم زحف المشركين بحاضِرِ
		وكان على بن يحيى هذا من كبار قوّاد المتوكل . وكان على الثغور الشامية ثم صرف عنها وعقد له على أرمينية وآذر بيجان فى شهر رمضان سنة ٢٤٨ . ثم قتل بالثغور الجزرية سنة ٢٤٩ فى حرب الروم ويقول الطبرى عنه وعن عمر بن عبيد الله الأقطع : « كانا نابين من أنياب المسلمين شديداً بأسهما ، عظيما غَنَاؤهما فى الثغور التى هما بها » وهذه شهادة عظيمة تأكل هجاء البحترىّ
	١٩	نفيلك . . . الخ (كذا) لعل الصواب « نَفِيُّكَ من البُؤْس »
١٩٨	٤	جزاك . . . حباك صوابها : جَزَاءَك . . . حِبَاءَك
	١٨	أخص « : خَصّ
	٢١	مشتكا « : مُشْتَكَى
١٩٩	٥	النكك « : لنكاك
	٧	تَبَصّر (كذا) « : لِنَصْرٍ يعنى الخبز أرزى
	٨	من السقف . . . الخ « : مِنَ السَّعَفِ المُدَخَّنِ للثياب
		وهذه الأبيات رواها الخطيب البغدادى فى تاريخه ج ١٣ ص ٢٩٩ وذكر جواب الخبزأرزى عنها بأبياته الظريفة التى أولها
		منحت أبا الحسين صميم ودّى فداعبنى بألفاظ عِذاب
		أتى وثيابُه كقتير شيب فعدن له كريعان الشباب
	٢٠	التَأَنى صوابها : التأَتِّى (بتاءين) من قولهم تأتيت للأمر إذا تهيأت أو ترفقت لادراكه بوجه من الحيلة
	٢٢	فلا يزال أخ . . . الخ (كذا) هذه عبارة مضطربة لم أهتد إلى صوابها
٢٠٠	١	بطبائعها . . . الخ (كذا) لعل صواب العبارة « بطىء معها صلاح القلوب ، قليل بها بقاء المودة »
	٣	وكنت لا أزال . . . الخ (كذا) لعل صوابها « وكنت لا أزال (أَرُد)

ص	س	
		مايرد على منها » وفى هذه الرسالة خطأ كثير لم نوفق لتصحيحه بعد
٢٠٠	٢٢	تأبت . . . كما تأبى . (كذا) صوابه : تأنت . . . . . الخ كما تتأنى
٢٠١	٣	على بأسها « صوابها : على يأسها بالياء التحتية المثناة
	٤	الثقاة « « : الثِّقافْ
٢٠٧	٢٠	على العُجْب (كذا) صوابه : عَلى العَجْبِ كُنْتَ على الغارب » والعَجْبُ بفتح العين عظْم فى أسفل صُاب الانسان عند العَجُز و إنما أرادَ العسيبَ وهو من الدابة بمنزلة العَجْب من الانسان فاستعمل هذا مكانه
٢٠٨	٤	يوَقى المكاره (كذا) صوابه : « لهُ فى المكاره »
٢٢٣	١٩	ورقته صوابها : « ودقّته »
٢٢٦	١٤	نخلاته (كذا) لعلها : نخلاته
	٢٠	فى شىء « صوابها : فى « هيَتِى »
٢٢٨	٤	هاتِم « « : « هَلمّ » أى هات أو أعطى
	١١	ولقد رأيتك « صواب إنشاده « ولقد أيتك فى النساء فسؤتنى وأبا بنيك فساءنى فى المجالس » وهذا البيت فى هجاء أبيه وأمّه معاً
٢٢٩	٤	أخت شمس الضحَى . . . (كذا) هذا البيت غير مستقيم ، وفي القصيده ألفاظ لا تتجه مع المعانى ، ولم تقع إلىّ قبل اليوم فاترك تصحيحها لمن عنده نسخة من ديوان هذا الشاعر البليغ المجيد
	١٣	مبينتى لى (كذا) فى هذا تحريف لم أهتد لصوابه
	١٥	لها أذنٌ . . . . الخ (كذا) صوابه : « لها أُذنٌ حَشْرٌ . . . » يصف ناقته التى سماها صيدحاً والحشر الدقيقة الطرف
٢٣٠	٥	ليت يشمر لعلها : « ليست تشمرُ »

ص	س		
	١٠	ذلة	(كذا) صوابها دَالّةُ
٢٣١	٢	ما عَنَا	صوابها : ماعَنَى ، من قولهم عَنِىَ عناء أى تعب
	٢٣	شاء	صوابها : « مَشّاء »
٢٣٢	١	الجنس	صوابها : « الجِبْسَ » وهو الثقيل الدنىء الفدم من الرجال
	٦	دينا أو دينا	صوابها : دينا أو دنيا
٢٣٤	١٠	قائمة	« : قائمهْ
٢٣٦	١	مُنعّما	« : مُنْعِماً
	٩	حذور	إن تبعنا الرسم كان أوفق لفظ « حَزْوَرُ » وهو الفتى الشاب ، والذى فى ديوانه المطبوع ! ! « جؤذر »
٢٣٧	١١	دقة خرسائه	صوابها : « رِقّةِ خِرْشَائِهْ » وهو الجلدة التى تعلوه وأصلها جلدة البيضة الداخلة . وهى أيضاً سلخ الحية وجلدها
	١٩	تلقا كم	صوابها : « تِلقاءَ كم »
٢٣٨	١٠	ستّة	« : سِتَتَه
٢٣٩	١٣	عليهم	« : عليه
	٢١	فقلّ	« : فقُلْ
٢٤٠	٧	قُرّط	« : قرّط
	٨	بلا مزيد	« : بلافريدٍ ، والفريدُ جمع فريدة وهى الشذرُ من الفضة شبه اللؤلؤة
	١٢	للدزور	صوابها : للذّرور وهو الشروق و فى بقية أبياته أخطاء كثيرة
٢٤١	١٣	أرى مَنْ	(كذا) صوابها : أرَ ابنَ روميّك
٢٤٨	٨	يمنع من . . .	« : يمنع من أن أؤدبك . . . .
٢٤٩	١٨	وعن قليل	« : وَعْرٍ قليلِ الأنيس
٢٥٠	٣	لأبدلنك	« لعلها على الرسم « لأنزلنّك »

ص	س	
٢٥١	٢١	وذلك أنه . . . الخ (كذا) عندى أن صواب العبارة وذلك أنه كان كاتب بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه الديلمى ابن عمّه ، و بين ابى شجاع و بين بختيار منافسة بالرياسة . . . » فإن فناخسرو وهو ولد ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمى أخى احمد بن بويه معز الدولة. وقد كان الصابى يكتب إلى عضد الدولة فناخسرو ما يؤلمه فحقد عليه لذلك
٢٥٢	٢	أربع وستين وثلثمائة « كانت ولاية الطائع سنة ٣٦٣ وأول ما ولى خلع على سبكتكين خلع السلطنة ، فجرت بينه و بين بختيار حوادث فقدم عضد الدولة فناخسرو إلى بغداد لينصر ابن عمه بختيار على سبكتكين فأعجبته بغداد فملكها واستمال الجند وأفسدهم على بختيار . وكان قدوم فناخسرو إلى بغداد سنة ٣٦٤ وهو التاريخ المذكور هنا . وجرت الوقائع بين بختيار وفناخسرو حتى انتهت بالتقاء الجيوش وقتل يوم ذاك بختيار يوم الأربعاء ثامن عشر شوال سنة ٣٦٧
	١٣	أشتام (كذا) صوابها : أستام بالسين المهملة
	١٤	شفت قرماً « رواية اليتيمة « شَفَتْ كمداً »
	١٥	السادة « صوابها : « السارق »
	١٧	من المنسر . . . الخ « قبل هذا البيت كذا الـكُرّز اللّمّاحُ يَنْجُو بنفسه إذا عاين الأشراك تنصَبُ للقَنَصْ ونص اللغة أن الـكرّز هو البازى ، ومن الطير : الذى قد أتى عليه حَوْلٌ . وقوله « من المنسر الأشفى » فى اليتيمة « الأشغى » بالغين ولم أوفق لتحقيق المعنى بعد
	١٨	الريق . . . مَغَص (كذا) صوابها : الدِّبْق ؛ وهو حمل شجر فى

ص	س	
		جوفه كالغراء لازق ، يلزق بجناح الطائر فيصاد به . وقوله « مفص » صوابه « قَعَصْ »
٢٥٢	٢١	تَمّم (كذا) صوابها : يَمّم
٢٥٣	١	تقنصت انصافى . . . (كذا) رواية اليتيمة : « تقنصت بالألطاف شكرى ولم أكن »
٢٥٤	٨	جنبيها صوابها : « جنينها »
	١٤	صديق « : « صديقاً »
٢٥٦	١٠	لا تدفعوا إلى (كذا) « : « لم تدفعوا إلىّ
٢٥٧	٦	وممّادها « : وِممّادَهَى
٢٥٨	١٤	بالمرء يزرى « « : بالمرء قد يزرى
	١٧	حليم جهول . . . « لم أجد الأبيات وفيها تحريف
٢٦١	١٧	بتحسين الخط . . (كذا) لعلها « ببخْسِ الحظ مِنْ . . . »
	١٨	يزيد . . . « صوابه « يزيد بن مزيد » وهو الشيبانىّ
٢٦٢	١٠	عكاشة القمى « « : عُكّاشَة بن الصمد العَمِىّ منسوب إلى بنى العَمّ وكانوا قد نزلوا ببنى تميم بالبصرة زمن عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم فقال الناس : أنتم ، وإن لم تكونوا من العرب إخواننا وأهلنا وأنتم الأنصار والإخوان وبنو العمّ فلقبوا بذلك ، وأقحموا فى العرب
	١٥	أبادره (كذا) صوابها : أبادرُ
٢٦٣	١	يمجج « : يُمَجْمِجُ
	٢	فى النقد . . . الخ (كذا) صواب إنشاد « فى النقْرِ يَنفِى بَهْرَجاً وزيُوفاً »
	٣	أبى شجرة . . . هو أبو شجرة عمرو بن عبد العُزّى السُّلَمِىّ

ص	س	
		وَلَدُ الخنساء الشاعرة وكان أسلم فى بنى سُلَيْم بن منصور ثم ارتدّ عن الاسلام فيمن ارتدّ منهم ثم عاد بعد القتال فأسْلَم . وقدم المدينة زمان عمر بن الخطاب فأدْركه وهو يعطى المساكين من الصدقة ويقسمها بين فقراء المسلمين فقال : ياأمير المؤمنين ، أعطى فإنى ذو حاجةٍ . قال : ومن أنت ؟ قال أبو شجرة بن عبد العُزَّى السلمىّ قال أبو شجرة ! ! أى عَدُوّ الله ؟ ألست الذى تقول ؟
		« فروّيت رُمْحى من كتيبة خالدٍ وإنّي لأرجو بعدهَا أن أُعَمّرا »
		ثم جعل يعلوه بالدرّة فى رأسه حتى سبقه عَدْواً ، فرجع إلى ناقته فارتحلها ثم أسندها فى حَرَّة شَوْران (وهى من أرض قومه) راجعاً إلى بنى سليم فقال
		ضَنَّ علينا أبو حَفْصٍ بنائله وكلُّ مختبطٍ يوماً له وَرَقُ
		الأبيات (الطبرى ج ٣ ص ٢٣٦) ورواية البيت الذى هنا
		تطيرُ مَرْوُ أبانٍ عن مَنَاسِمِها كما تُنُوقِدَ عن الجِهْبِذِ الوَرِق
		من قولهم نَقَد الدراهم وتَنَقَّدها وهو نَفْي الزيف منهـا . والوَرِق الدراهم المضروبة . وفى رواية « كما يُنَقَّدُ » أما الرواية التى هنا فلم أرها ولعلّ صوابها
		« يطيرُ عنها حصَا الصَّوّان مِنْ نَفَذٍ كما تنقّد عنـد الجِهْبِذِ الوَرِق »
		وهذا هو تشبيههم ألا ترى قول شاعرهم
		« تَنْفِي يداها الحصَى فى كلّ هاجرةٍ نَفْيَ الدراهيم تَنْقادُ الصياريف ».
٢٦٣	٦	كأن صليل . . . الخ (كذا) صواب إنشاده

ص	س	
٢٦٣	٦	« كأنّ صليلَ المَرْوِ حين تطيرُهُ
		صليلُ زُيُوفٍ يُنتقَدْن بعَبْقَرَا »
	٨	كأن أيديهن . . . الخ (كذا) صواب إنشاده
		« كأنّ أيديهنّ بالقَاعِ القَرِقْ أيدى نِسَاءٍ يتعَاطين الوَرِقْ »
		وفى رواية « أيدى جوارٍ » والقَرِق المستوى
	١٥	مطولات (كذا) صوابها : « مُطْفِلاتٍ »
	١٧	منعمات « « : « مُفْعَماتٍ »
	١٩	أمة . . . الخ « صواب إنشاده
		« أُمُّهُ — دَهْرَهَا — تُتَرْجِمُ عَنْهُ
		وهو بادى الغِنَى عن التَّرْجمانِ »
٢٦٤	١	ليس . . . الخ (كذا) لعل صواب إنشاده
		« لَيْس بالسَّائل الضعيف إذا ما
		رَاضَ نَعْماً ، ولا الشنيع الجَهِيرِ »
٢٦٥	٣	عدنَ (كذا) صوابها : « عُدْنَ »
	٥	دعوت « « : دَعَوْنَ
٢٧٠	٣	أزكى « : أَذْكَى أى أوقد
٢٧١	١	على تبعيتهم (كذا) لعلها : على طبقاتهم
٢٧٢	١	متنحل صوابها : « مُتَتَخَّل »
	٦	بالنذر « : « بالنَّزْرِ »
	٨	نسور صِعاد (كذا) هذا لفظ محرف
٢٧٣	١	تتحرّبُ لعلها « تتحزَّبُ »
	٢	ولا استعرضوا « الصواب : « ولا استُصْرِخُوا »

ص	س		
	٥	ملحب	(كذا) » : مُنْجِبُ
	١١	بَدْرٌ	» الصواب : « شمس » يشير إلى قول النابغة في النعمان فإنك شَمْسٌ والملوك كواكب إذا طلعت لم يَبْدُ منهنّ كَوْكَبُ
٢٧٤	١٦	ذباذب	صوابها : زبازب ، بالزاى جمع زبزب وهو ضرب من السفن صغار
٢٧٦	١	فانها حين	(كذا) لعلها : فانّها كانت
	١٨	الأرمنتى	» » : الأرمنى
	١٩	أجنابه	» صوابها : أجناسه
٢٧٧	١٣	الفراة	» : الفُرَات
	١٥	الذيارب	(كذا) » : الزبازب ، وقد مضى تفسيرها
٢٧٨	١	الشرب	» » : السّرَق ، وهوضرب من الحرير يقولون هو معرب « سره »
	١٣	خصيص	» : خصيصاً
٢٨١	٤	أبو دراج	(كذا) » : ابن درّاج وهو أبو سعيد عثمان ابن دراج الطفيليّ صاحب نوادر في التطفيل عجيبة
	١٢	ينخمس	(كذا) صوابها : يخمّس
٢٨٢	١	كاسب	» » : كاسِباً
	٥	منه	» » : مَعَه
٢٨٣	٣	جدير	(كذا) هذه كلمة محرفة و يريد بها نباتاً كالفقع والكمأة مما يوصف بالحقارة
٢٨٦	٢٠	أسنانا	صوابها : إنسانا

ص	س	
	٢١	يعزل (كذا) « : « يعذُلُ » بالذال
٢٨٧	٥	واحدة « « : « واجدةً » بالجيم
	١١	دفاريك « : « ذَفَارِيك » بالذال المعجمة جمع ذِفْرة وهى من الانسان من لَدُن المَقَذّ إلى نصف القذالِ
	٢٠	أتَطَنّزُ . . . الخ (كذا) صواب العبارة « أأتطيّرُ — على مَنْ أُحِبّ — بالخَرَس »
٢٨٨	١٥	دواء العذارى (كذا) الصواب « دَوَارالعَذَارَى » ، ودَوَار صنم كان من نسك الجاهلية ينصبونه ويطوفون حَوْلَه . يقول بشار ، هى للعذارى ، كهذا الصنم عند نساءِ الجاهلية إكراماً وعزّة . ويقول امرؤ القيس فعنّ لنا سَرْبٌ كأنّ نِعَاجَهُ عَذَارى دوَارٍ فى مُلاءٍ مُذَيَّلِ
	١٦	عمرو بن العلاء (كذا) صوابها : عمر بن العلاء
	١٨	بِسَمْ « « : بِدَمْ
٢٨٩	٣	كالمضرجى الفدم « « : « كالمُضْرَحِيّ القَرِمْ » بالحاءِ فى الأولى ، والقاف بعدها راء فى الثانية ، والمضرحىّ : ما طال جناحاه من النُّسُور وكان كريماً عتيق النِّجار ، والقَرِمُ من قولهم قرم إلى اللحم قَرَماً اشتدت به شهوته
٢٨٩	١٣	شجاعاً (كذا) لعل الصفة التى يجب أن تقع هنا «شاعراً» فان بشّاراً عرف بالشعر قبل المنثور والمزدوج وغيره
	١٦	ثم عدا صوابها : ثمّ غدا بالغين المعجمة
	١٩	بدت بجد (كذا) الرواية ، صدَّتْ بِخَدٍّ
	٢٠	وساحب . . الخ « صوابه إنشاده « وصاحب كالدُّمَّلِ المُمِدِّ»
	٢١	ومادرى . . الخ (كذا) فى البيان والتبيين « وما وراء رغبتى من زهد »

ص	س	
٢٩٠	٢	أبا المكدّ صوابها : « أَبَا المَلَدّ » باللام
	١٣	خرح من مكة (كذا) الصواب : « خرج الى مَكة » يعنى للحجّ ، فكيف يُضحّى عندهم ببغداد وقد عزم الحجّ
	١٨	زهقت (كذا) الصواب : « زَلقت »
٢٩١	١	اليك « : « لك »
٢٩٢	١٣	مُساعدا « : « مساعدٌ »
	١٤	حبّاقة . . .الخ « لعل صواب العبارة « حبُاقَة مقْرُون بنُثَاله ، فلو أمسك لترَجّيتُ ، ولو أفردَ لتعزّيت » والُحبَاق ضُرَاط الدّواب ونَثَل الفرسُ وغيره ينْثُلُ راثَ ، ولم يذكر أصحاب اللغة الاسم مِنه ، وعندى أنّه يدخل فى قولهم ، بَصق يبصق فهو البُصَاقُ ، وتفَلَ يتفُلُ فهو التفال وغيرها كثير
	١٦	داؤه (كذا) الصواب : « دَاوِهِ »
٢٩٣	١	يسب « الصواب « يَسْلُب »
٢٩٥	١	نضا . . . نبذوا « صوابها : نِضْواً . . . شَدُّوا
	٤	متأخِر . . . متقدّم « : متأخِّرٌ . . . مُتقدَّم
	٢٠	بأبى . . . الخ (كذا) لعل صوابه : « بأبِى مَنْ بكفِّهِ بُرْءُ دَائى من الدّنَفْ »
٢٩٦	٣	مجنّبا صوابها : مَحَنَّبا بالحاء من الحَنب والتحنيب وهو احديدابٌ واعوجاجٌ غير بيّنٍ فى وظيفَىْ الفرس . وهو من صفة الفرس الشديد
	٥	قوله مهاوش (كذا) لعلها : « حَوْلَهُ تَهارُشٌ »
	٧	إذ حللته « الصواب : « إذْ جَلَلْتَهُ » . وهذه القصيدة فيها تحريف وتصحيفٌ ولم نجدها بَعدُ

ص	س	
٢٩٩	٢	لولا أخاف . . . (كذا) صواب العبارة : « لولا أنى أخاف أن أن أشُقَّ . . »
	١٤	فأتاهُ جماعةمن القبائل (كذا) صواب العبارة: « فأتى بجماعة من القبائل »
	٢٠	الوصيدة . . . الخ « هذه لفظة مصحفة ولعله يعنى القديمة البالية وقوله : « فأتاه رجلى » الصواب « رَجُلٌ »
٣٠١	٣	ثمام (كذا) لعلها « ثُمام » وهو نبت دقيق
	٤	وضلوعُ السلو . . الخ لعلها : « الشِّلْوِ » وهو الجَسَد أو بقيته وقوله نبعٌ وثمام صوابه : نبعٌ وبَشام وذلك لأنه يذكر الضلوع وهى أعواد من عظمٍ ، فذكر النَّبْع وهو الشجر الذى تتخذ منه القسِىّ ، ثم يذكر البَشام وهو شَجَرٌ طيبُ الريح تتخذ أعوادُه مساويك
	٥	نَمَام لعل الصواب : ثَغَام ، وهو نبات جُمّاحته بيضاء مثل هامة الشيخ ، وهو من نبات البادية ويكثر بنجد . والبيت الخامسُ من هذه القصيدة يتعلّق بأبيات حذفها الحصرى ولا بُدّ — فان العطف لا يستقيم على ماقبله
	١٣	محمد بن البعيث هذا من غلط الحُصْرى فان الأبيات لكميت ابن زيد يمدح بها محمد بن سليمان الهاشمىّ
	١٧	ألفى . . . الخ صواب إنشاده « تلقى الأمانَ على حياض محمّد ثَوْلاءُ مُخْرَفَةٌ وذئبٌ أطلسُ لاذِى تخافُ ولا لهذا جُرأةٌ تُهْدَى الرّعيةُ مااستقام الرّيِّسُ والثولاء النعجة التى بها ثَوَلٌ وهو جنونٌ يصيب الشاة فلا تتبع الغنم وتستدبر فى مرتعها، والمخرفة التى معها خروفٌ يتبعها وقوله «لاذى» إشارة إلى الثولاء «ولالهذا» اشارة إلى الذئب ، أى ليس له جرأةٌ على أكلها مع شدة جوعه ، ضرب ذلك مثلا لعدله و إنصافه،

ص	س	
		و إخافته الظالم ، ونصرته المظلوم حتى إنه لَيشربُ الذئبُ والشاةُ من ماء واحد . وقوله « تهدَى الرعية ما استقام الريّسُ » أى إذا استقام رئيسهم المدبّر لأمورهم صلحتْ أحوالهم باقتدائهم به . . . هذا من كلام ابن برّى لسان مادة (رأس)
	٢٢	متملّق (كذا) لعلّ صواب إنشاده
		«لا العاتقُ التيّاحُ يمنعُ هارباً في البُدمنكَ ولا البِناءُ الأشوَس»
		والعاتق الفرس السابق الجواد ، والتيّاح الذى يعترض فى جِريته نشاطاً . والأشوس من الناس الطويل والمتكبر وهو متقول ولم أجد البيت فى مصدر من المصادر
٣٠٢	٣	السكلى (كذا) صوابها : « الطُّلَى » وهى الأعناق
	٦	خاذل (كذا) اعلها « حارب » للمقابلة بينها و بين قوله « سالمه »
	١٠	خدى لى ... الخ (كذا) صواب إنشاده
		خِدِى بى ابتلاكِ اللهُ بالشوْقِ والهوَى وشاقَكِ تحنانُ الحمامِ المُغرِّدِ
	٢٣	لا تقوى صوابها « تغْوِى »
٣٠٣	٩	تبدو « : يبدُو »
	١٠	عليها . . (كذا) صواب إنشاده
		« عليها كرَدْعِ الزعفران يَشُبُّه »
		والرّدْع أثرُ الزعفران أو الخَلُوق على الجسد . وهذه أبيات جيّدة فيها تصحيفُ وأنا أذكرها ولكنى أنسيتُ مكانها من كتبى
٣٠٤	٢	البلغم . . . ؟ (كذا) لعلها « التعلم ينشُئهم وهم يعلنونى »
	٩	كاف صوابها « كلبٌ »
	١٩	إذاهزل.. الخ لعل صواب العبارة الذى إذاهزل أغربْ و إذاجدّ أطربه

آخر المستدرك

الفهرس

صفحة

صفحة

آخر الفهرست والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وضعه محمد أمين الخانجى